مركز دلائل
DALA'IL CENTRE

مكتبة ٩٩٩

رحلة
في عقل نسوية

عرض ونقد لأفكار النسوية الأمريكية :

كاميل باليا

م . أحمد حسن   ترجمة : م . مصطفى هندي

مكتبة | 999
سُر مَن قرأ

رحلة
في عقل نسوية

رحلة

في عقل نسوية

عرض ونقد لأفكار النسوية الأمريكية :

كاميل باليا

م. أحمد حسن

ترجمة :

م. مصطفى هندي

مكتبة | 999
سُر مَن قرأ

ح دار وقف دلائل للنشر، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

رحلة في عقل نسوية

م. أحمد حسن ترجمة : م. مصطفى هندي

٣٦٨ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ترقيم دولي : ٩٧٨ - ٩٧٧ - ٨٥٦٩٩ - ٤ - ٠

مكتبة 8 10 2022
t.me/t_pdf

الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

مضمون الكتاب يعبر عن رأي مؤلفه
ولا يعبر بالضرورة عن رأي المركز

مركز دلائل
DALA'IL CENTRE

Dalailcentre@gmail.com

الرياض - المملكة العربية السعودية

ص ب: ٩٩٧٧٤ الرمز البريدي ١١٦٢٥

Dalailcentre@

+٩٦٦٥٣٩١٥٠٣٤٠

دار تشويق للنشر والتوزيع

مصر - +٢٠١٠٦٨٤٣١٧٧٠

DarTashweek@gmail.com

تصدير

إن الناظر في مختلف الساحات الفكرية ليجد قضايا المرأة حاضرة فيها بقوة، ومن هنا كان الإسلام سباقاً إلى إعطائها قدرها الذي تستحق من الأهمية، وسباقاً إلى بيان حقوقها وما لها من مكانة خاصة لا نجد مثلها في أديان وتشريعات إلى اليوم.

ونحن إذ نسير على نفس الدرب من الاهتمام، فكانت هذه السلسلة المتميزة من إصداراتنا : (سلسلة المرأة)...

وفي هذا الكتاب نقدم عرضاً ونقداً لأفكار واحدة من أشهر النسويات الأمريكيات في العقود الأخيرة، وهي أستاذة الفن والأدب الكلاسيكي (كاميل باليا)، صاحبة الفكر المتمرد، والتي توصف بأنها (نسوية ضد النسوية)، حيث سطع نجمها مع أول كتبها الرسمية المنشورة (أقنعة جنسية)، أحد الكتب التي صنعت علامةً فارقةً في الجدل النسوي الغربي، خاصةً مع جرأتها في الدفاع عن مختلف القضايا الجنسية والإباحية والحريات، حيث نستكشف ونحلل معاً مختلف أفكارها منذ نشأتها كطفلة وإلى اليوم، في محاولة لاستخراج ما يمكن الاستفادة منه في قراءةٍ فاحصةٍ للعوامل المؤثرة في مثل هذه الأنماط النسوية (المتحررة)، وإسقاطها الواقعي والشرعي على ما يحدث في عالمنا العربي والإسلامي اليوم، من تنامي لنفس الأصوات النسوية (المتحررة) من كل قيود الدين والأخلاق بدافع (المساواة) أو (الحقوق) أو (الحريات) الخاصة أو الشخصية.

مركز دلائل

بسم الله الرحمن الرحيم

" أول شيء، دعوني أقول أني أعتبر نفسي كائناً متحولاً جنسياً، ليس رجلاً ولا امرأة، وسوف أرحب بتقديم خيار "آخر/أخرى" كتصنيف جنسي في جوازات السفر وغيرها من الوثائق الحكومية ".[١]

كاميل باليا

First of all, let me say that I consider myself a transgender being, neither man nor woman, and I would welcome the introduction of "OTHER" as a gender category in passports and other government documents.

مكتبة
t.me/t_pdf

---

[١] من مقابلة (الانغلاقية والتعصب ضيّق الأفق أصاب العديد من النسويات) Cliquish, Tunnel-vision intolerance Afflicts Too Many Feminists- أجرتها (كاميل) مع (ديبورا كوغلين) من مجلة التايمز النسوية – Feminist Times (المملكة المتحدة)، ١٤ يوليو ٢٠١٤م.

المحتويات

مقدمة ١١

مقدمة المترجم ١٩

شخصية (كاميل باليا) ٣١

نساء ضد النساء ! ٦٧

نسويات متحررات خارقات ! ٨٣

فتنة الجسد ١٤١

الإعلام : ملهم الانحراف النسوي ! ١٦٣

تاريخ الموجات النسوية.. ١٩١

الوجه الآخر لعمل المرأة والاختلاط ٢٤٣

العنف ضد المرأة والاغتصاب ٢٩٩

الإباحية .. والسادومازوخية .. والإجهاض ٣٣٧

الخاتمة ٣٦٧

مقدمة

مكتبة
t.me/t_pdf

الموجات النسوية

إن المتابع للتيار النسوي لأكثر من قرن مضى؛ يعلم أنه دائم التغير والتلون تفاعلاً مع التحولات المجتمعية السريعة سلباً وإيجاباً، ولعل أكثر ما يبرز على سطح هذه التغيرات هي (التحديثات) الهامة في استراتيجيات التناول النسوي مع تلك المعطيات، هذه التحديثات التي تصير بمثابة (بداية موجة جديدة) من الحراك، وبمثابة (فاصل واضح) بين ما قبلها وما بعدها، وعلى هذا يتم تقسيم الحراك النسوي الأوروبي والغربي الأمريكي عموماً إلى ٤ أو ٥ موجات – سنتعرف عليها لاحقاً في هذا الكتاب بإذن الله – لكن ما يهمنا الآن هو :

إن مجتمعاتنا العربية والإسلامية ليست بمعزل عن ذلك الحراك وعن تلك التغيرات أو (التحديثات) أو (الموجات) بل : وهي إن كانت تتسم بالـ (تأخر) عنها قليلاً فيما مضى لاعتبارات مجتمعية ودينية وضعف الاتصال وبُعد المسافة، فهي اليوم أشد تسارعاً في نقلها وتقليدها والتأثر بها، خصوصاً مع القوة المتزايدة للإعلام في نقل الأفكار، والتي صاحبها في هذا الربع الأول من القرن الـ ٢١ الانتشار الهائل لوسائل التواصل الاجتماعي.

إذن اليوم – ونحن نعايش التغيرات النسوية الكبيرة في المجتمع خاصة بين نساء المسلمين – فإننا نسعى لاستمرار دور (الراصد الأمين) تجاه ما تحمله الموجات النسوية من أفكار، مع توضيح ما أصابوا فيه الحق تارة، وتوضيح ما يخدعون به النساء أنفسهن تارة أخرى، فليس كل ما يلمع ذهباً، وكذلك للأسف ليس كل مَن زعم نصرته للمرأة وحقوقها يريد نصرتها بالفعل كما سنرى !

من أبرز طرق العرض والمواجهة

إن المطالبة بحقوق المرأة تبدأ غالباً عادلة (فنحن لا ننكر أوجهاً من الظلم الواقع عليها)، لكن سرعان ما يقطع طريقها ويستغلها الكثير من المفسدين والمتربصين بأمن المجتمعات واستقرارها، فالمرأة نصف المجتمع، وهي التي تربي المجتمع بأكمله في بيتها وفي أحضانها، فيبدأون بث سمومهم وسط تلك المطالبات العادلة، إلى أن يخرجوا بالمرأة نفسها عن فطرتها وعن طبيعتها النفسية والجسدية، بل وعن دورها الأساسي في الأسرة والذي لا يحل محله أحد، فيزينون لها كل ما يأتي عليها بالضياع النفسي والعاطفي والأسري كما سنرى، وأمام هذه المفاسد تظهر حاجتنا إلى طرق فعالة لكشف حقيقتها، أبرزها في رأيي :

١- **الدين**... وذلك بما يحمله من مصدر محايد متعالي عن أهواء الرجال والنساء (من خالق المرأة والأعلم بنفسيتها وطبيعتها وصالحها)، وبما يحمله من تعاليم وآداب وتشريعات تنصرها وتعدل في حقها، وبما يستدعيه من رصيد إيماني وأخلاقي لديها يحميها من الفساد الشخصي والإفساد المجتمعي باسم الحرية.

٢- **اعترافات الكثير من النسويات**... وذلك على غرار "من فمك أدينك"، ومنهن مَن تركن النسوية بعدما تبين لهن حقيقتها المدمرة للمرأة نفسها ولأبنائها وللمجتمع، واعترافهن بالتدرج المشين لتقع النساء في جرائم لم تكن إحداهن لتتخيلها من قبل (مثل الزنا وانتقالها بين راغبي المتعة، ثم الإجهاض وقتل الجنين البريء باسم الحرية في جسدها). ومن هنا، كان اهتمامنا بترجمة الانتقادات (الغربية) للنسوية بأكثر من لغة مثل : (الإنجليزية – الفرنسية – الألمانية)[١].

---

[١] ترجمنا من الإنجليزية عدة مقالات هامة في كتابنا (المرأة بين الداروينية والإلحاد) والذي شمل مقدمة شرعية ومدخل هام عن تاريخ النسوية للأستاذة (ملاك الجهني)، ثم ترجمنا عدداً كبيراً من الفصول المنتقاة من أقوى الكتب الفرنسية الناقدة للنسوية،

ومع هذا الاهتمام بالنقد الغربي (والنسائي خصوصاً) للنسوية : اقترح علينا البعض ترجمة مختارات للنسوية الأمريكية الناشطة (كاميل باليا) Camille Paglia [1]، على اعتبار أنها إحدى الناقدات للنسوية المتطرفة، والتي اشتهرت ببعض النقاط التي نتفق معها فيها بالفعل مثل :

- نقدها القوي للنسوية اللاتي تعادي الرجال، والتي تنادي بإنكار دورهم في الحياة أو في تقدم المجتمعات، بل وتنادي بالمساواة التامة وتزعم نفي الاختلافات التشريحية والبيولوجية بينهم وبين النساء !

- دفاعها عن المرأة التي تختار الأمومة والعطاء في بيتها وعدم السخرية منها (وهو من جملة تناقضات باليا كما سنرى فيما بعد) وهكذا.

ولعل آخر كتبها (**حرائر وأحرار : الجنس، الجندر**[2]**، النسوية**)، والصادر مؤخراً في عام ٢٠١٧م حمل خلاصة أفكارها عبر مسيرتها.

وذلك في كتابنا (جناية النسوية على المرأة والمجتمع) والذي شمل مقدمة قوية عن النسوية وتناقضاتها للدكتور (عصام البشير)، وأخيراً يصدر لنا كتاب (المرأة الجديدة)، وهو دراسة لكتاب الإعلامية الألمانية (إيفا هيرمان) : (مبدأ حواء).

(١) هذا هو النطق الغالب لاسمها، وقد ينطقه بعض الأمريكيين (كاميلي) (باجليا) أو (باغليا)، لكن الأكثر سماعاً هو ما ذكرناه. وهي من مواليد ٢ أبريل عام ١٩٤٧م، أي تبلغ من العمر اليوم ٧٤ سنة تقريباً.

(٢) الجندر Gender هو (النوع الاجتماعي) الذي يختاره الفرد لنفسه، فمن يختار جنسا مخالفاً لجنسه المولود به يسمى متحولاً أو عابراً Transgender فالمرأة يمكنها وفق ذلك النوع الاجتماعي أن تكون رجلاً مثلاً وتلزم المجتمع بمعاملتها وفق ذلك بقوة القانون (وهو الوضع الحالي في عدد من الدول الغربية)، وكذلك الرجل يمكنه اختيار أن يكون أنثى، وقد ظهر مصطلح الجندر في ثمانينيات القرن الماضي

حيث اشتمل على ٣٦ مقالة متفرقة تغطي معظم مسيرتها النسوية. توزعت ما بين مقالات قديمة مكررة (أي قامت بنشرها في كتبها السابقة وفي بعض الصحف والمجلات منذ ٤٠ عاماً تقريباً) وبين تفريغات لبعض الكلمات التي ألقتها في لقاءات ومؤتمرات وبرامج تليفزيونية ومناظرات.

ولم يكن ليمنعنا من ترجمة مختارات من كتاباتها أنها (ملحدة) و(شاذة جنسياً) إذا كان نقدها للنسويات يستحق بالفعل النقل إلى جمهورنا وقرائنا، وذلك على اعتباره نقداً ثميناً يأتي من (الداخل النسوي) - وهو المطلوب -.. لكن مع قراءة المقال تلو الآخر وجدنا أنها ليست إلا (نسوية) أخرى ربما أشد خطراً من النسويات اللاتي تنتقدهن ! نعم .. هي تقدم بعض النقد المفيد، لكنها تعود فتناقضه بأراء أخرى تصب في عكسه ! بالإضافة إلى أفكار عديدة أكثر تطرفاً في اتجاه إفساد المرأة والتحرر الجنسي خصوصاً ! وهذا حال الباطل دوماً يتناقض، والنسويات لسن فكراً واحداً ينافحن ويدافعن عن مطالب واحدة، بل هن أشد اختلافاً.

فهناك مثلاً نسويات يحاربن النظرة (الجنسية) من الرجال للمرأة

واشتهر على يد الحركات النسوية في محاولتها للتهرب من الفروقات التشريحية الطبيعية بين النساء والرجال (والتي رأين أنها تساعد في التمييز ضد النساء في العمل وفي الأسرة وفي التعاملات)، لكن مع الوقت ومع عبثية الانحلال الفكري والجنسي والحقوقي صار الأمر مفتوحاً وأكثر تنوعاً في الغرب، فظهر مثلاً مَن يرفضون حصر جندرهم في ذكر أو أنثى وإنما يمكنهم الجمع بينهما أو أكثر وهم Bigender رغم جسدهم واضح التمييز كذكر أو أنثى، أما الأشخاص العاديين الذين يوافق تشريحهم نوع الجندر الاجتماعي فيسمون Cisgender، بل وظهر مَن يرفضون تصنيفهم أو تحديدهم بصنف معين Non-binary، وقد يملكون ٣ تصنيفات أو أكثر !

واستغلالهم لأنوثتها في استثارة الغرائز والترويج للسلع، في حين أخريات (يشجعن) ذلك بدعوى حرية المرأة في جسدها والتحرر الجنسي وهكذا.

ومن هنا جاءت فكرة تغيير توجهنا من ترجمة مختارات من نقد (باليا) للنسويات المتطرفة : إلى ترجمة مختارات نستعرض بها عقليتها هي نفسها كنسوية متحررة، خاصة أن هذا هو النوع الذي يتعمد الغرب والإعلام إبرازه وتلميعه والتركيز عليه أكثر من غيره لما يحمله من :

حزمة هائلة من المفاسد وهدم الأخلاق والأسرة بما يشغل الشعوب رجالاً وإناثاً وشباباً عن المطالبة بحقوقها والنافع لها من التشريعات والقوانين !

فكان دوري هو قراءة عدد كافٍ مما قمنا بترجمته من كتاباتها ومقالاتها واختيار المناسب منها للعرض والنقد، مع توسعي في بعض فصول الكتاب لنقل وترجمة أبحاث ودراسات وأخبار تؤكد طرحنا، بالإضافة إلى عدد من الوقفات الشرعية التي أرى الحاجة إليها مع التغيرات المتسارعة في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم، ومع الجهود الجارية لفرض نموذج النسوية (المتحررة) على نسائنا، والذي يعد أحد أبواب ازدراء الدين والتشريعات عاجلاً أو آجلاً، فيتدرج معهن بالتنازلات والاعتراضات حتى يقعن فيه للأسف.

شكر خاص

لذلك كله أتوجه بالشكر الخاص للأخ الفاضل م. (مصطفى هندي) جزاه الله خيراً على عمله الوافي في ترجمة العشرات من مقالات (باليا)، رغم معرفته بأننا لن ننشرها كاملةً، بل سأختار وأقتبس منها فقط ما يخدم رحلتنا في كشف عقليتها (سواء مما اتفقنا معها فيه أو اختلفنا)، مع العلم أن

محتوى عدد من مقالاتها هو سرد مكرر لأحداث معينة، فضلاً عن فحش وبذاءة وتعرض لتفاصيل الأعضاء الجنسية بصورة مقززة وفجة عافانا الله.

كما أن دوره لم يتوقف فقط عند الترجمة (رغم صعوبة عدد من المصطلحات والتعبيرات) وإنما وافاني معها بعدد من الحواشي المفيدة التي عدّلت فيها وأضفت إليها عند صياغتي للكتاب، ووافاني كذلك بروابط مقالات مترجمة قوية في نقد النسوية من موقع (أثارة) Atharah – وهو الموقع الذي تولى قسم الترجمة فيه مؤخراً – فجزاه الله عني خير الجزاء.

أما بالنسبة لما قمت بنقله وترجمته بنفسي من الأخبار والاقتباسات من المواقع والأبحاث والدراسات، فقد تعمدت نقل عدد من الجمل والفقرات بلغتها الأصلية كما هي مع الترجمة لأهميتها، ولمن يريد الاطلاع على الأصل بنفسه أو نقله ونسخه أو البحث عنه، كما أني لم أستخدم في وضع المصادر والتوثيق طريقة الروابط الإلكترونية لكثرة ما تتغير في المواقع الكبرى كل فترة، حيث يقع ذلك عند تغيير هيكلة تلك المواقع، أو لأن بعض المقالات يكون شائكاً فيتعمدون تغيير روابطه كثيراً (حتى يصعب الوصول إليه أو الاستدلال به)، وربما يتعمدون حذفه نهائياً كما سنرى، لذلك ركزت طريقتي الأساسية في وضع العناوين بلغتها الأصلية مع ترجمتها ليسهل البحث عنها في محركات البحث مثل (جوجل)، وأما في حال حذفها من الموقع نهائياً كما أشرت، فيمكن بعد وضع العنوان في (جوجل) والذي يؤدي إلى الصفحة المحذوفة : أن ننسخ رابط الصفحة URL الذي سيظهر في أعلاها ثم نضعه في موقع أرشيف الإنترنت web.archive.org والذي يحفظ نسخاً عشوائية من تواريخ مختلفة من كل مقال للتوثيق حتى بعد الحذف.

كذلك فقد عملت جاهداً على أن تأتي أرائي وطريقة عرضي متماشية

مع واقع الحياة اليوم، ذلك الواقع الذي بات يفرض على الحياة الأسرية والزوجية عدة أنماط وليدة الظروف؛ لم يعد يصلح معها التمسك ببعض الآراء الفقهية أو الاجتماعية دون النظر في عواقبها ومآلاتها وما صرنا نراه من مشكلات على أرض الواقع، ولعل أشهر الأمثلة هنا موضوع (عمل الزوجة) حتى مع ضوابط خروجها الشرعية، إذ رغم أفضلية بقائها في البيت وهو ما يعطي الرعاية الأكبر لأبنائها وزوجها، إلا أن شبح موت الزوج أو انتشار الطلاق في كثير من الأسر للأسف (لأسباب سأتعرض لبعضها في هذا الكتاب، وربما أفردت لها كتاباً كاملاً مستقبلاً عن الزواج ومشاكله والطلاق) : جعل من عمل المرأة وسيلة (تأمين مستقبلية) تزداد الحاجة إليها خاصة مع تلاشي روابط الأسرة الممتدة (أي الأسرة التي تجد فيها المرأة وأبناؤها مأوى وكفالة في كنف الأجداد أو الأخوال أو الأعمام)، حيث ابتعدت المسافات، وزاد السفر والاغتراب واستقلال الأسر وتفككها إلى أسر نووية منفصلة (الأسرة النواة هي الأب والأم والأبناء فقط).

كل ذلك جعل من (عمل المرأة) واقعاً مطروحاً بلغة المصالح والمفاسد (أي أنه يتاح شرط ألا يترتب عليه خسائر أو مفاسد أكبر من المكاسب التي تنالها المرأة والمجتمع به)، وذلك كله بشرط التزامها بحدود الشرع وآدابه التي تحفظها من خطر التحرش أو الاعتداء أو الافتتان العاطفي، وتحفظ الشباب والرجال كذلك من فتنتها، وهو ما يعني (على الأقل) تعليمها لحيازة الشهادة الجامعية أو المتوسطة لتستطيع مواجهة ظروف الحياة عند الحاجة.

إذن.. بهذا الفهم الذي يراعي (الظروف ومختلف الأحوال والواقع) يمكننا عرض أفكارنا عن الإصلاح الأسري والمجتمعي إلى كل أسرة وإلى كل زوج وزوجة، بل وقبل هؤلاء جميعاً إلى المرأة، فيكون لها أذان صاغية لا تنفر من

انفصال الأفكار عن الواقع، بل تستمع إلى الفكر الأمين المراعي لمصلحتها.

الرجال أيضاً ليسوا في منأى عن الاهتمام بتلك القضايا، إذ لو كانت النسوية الغربية تأخذ حقوقاً (قانونية) من الرجال بالباطل أحياناً، فإن النسوية المسلمة المنقلبة على الدين في بلادنا للأسف ستجمع إلى ما تناله بالباطل (القانوني) حقوقاً أخرى كثيرة يكفلها لها (الشرع) الإسلامي أصلاً ! والتي في مجملها أفضل من قوانين غربية عديدة لا مقارنة بينها وبين ما أقره الإسلام للمرأة (خاصة في حقوق الميراث والنفقة وحضانة الأطفال حال الطلاق وغيره). وبذلك تجمع النسوية المسلمة (ذات الفكر المشوه للدين) على الرجل حقوقاً (قانونية) وأخرى (شرعية) تجعله بين شقيّ الرحى ! فإذا طالبها بالمساواة في بعض الحقوق مما تزعمه النسوية من مساواة : تحججت ساعتها بالشرع الذي يفرق في تلك الحقوق بينهما لصالحها ! أما إذا طالبها بما تكره من الشرع : تحججت ساعتها بما تقره النسوية من مساواة !

لن أطيل عليكم .. ولأترككم مع (مقدمة المترجم) قبل بدء رحلتنا، ففيها خلاصات هامة.

قراءة موفقة...

م. أحمد حسن

مقدمة المترجم

الحمد لله الذي هدانا للإيمان وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي أوصى أمته بالنساء خيراً.

مكتبة
t.me/t_pdf

أما بعد...

إذا تأملنا الخريطة الزمنية للفكر الغربي في الماضي والحاضر وقارناها بأختها في العالم العربي الإسلامي؛ سنرى أنه في حقبة زمنية معينة كان الفكر العربي تالياً لما يدور في الغرب من سجالات فكرية، وربما تجاوز الغرب حقبة فكرية معينة ودخل في غيرها ولا زال العالم العربي يخوض نفس المعارك والسجالات، ونرى في هذا إحدى نبوءات النبي ﷺ القائل :

"لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»" (متفق عليه).

كانت السُحبُ الفكرية بادئ الأمر تُخيمُ على الغرب وتُنزلُ ثقلها هناك أولاً، ثم تنقشع وتقطع المحيط حتى تُخيمُ على العالم العربي؛ في الوقت الذي تُخيمُ فيه سحابةٌ فكريةٌ أخرى على الغرب، وهكذا دواليك... يومذاك كان للحاجز الزمني والمكاني تأثيراً ملحوظاً على العدوى الفكرية، لكن اليوم وبعدما أصبح العالم قريةً صغيرة، وبفضل تكنولوجيا الاتصالات؛ أصبحت السحابةُ الفكرية الواحدة تستطيع أن تُخيمُ على الشرق والغرب في آنٍ واحد، وصار هناك شيءٌ من التوازي في المرحلة الفكرية؛ بعد ما كانت تسير

بالتوالي.

هذه السمة في حد ذاتها تمثل تحدياً جديداً لرجال الفكر وحراس الشريعة، وتتطلب منهم استجابةً جديدة تختلف في تفاصيلها عن ردود الأفعال التي كانت تظهر كاستجابةٍ لظرفٍ تاريخي وفكري مختلف عما نحن فيه.

فلم يعد يصلح أن نصم آذاننا داخل برجنا العاجي بينما تعصف الفتن والشبهات بشباب الأمة وفتياتها، بل ولم تعد تصلح الطرق القديمة (في نظري) لمواجهة الشبهات، فالظرف الفكري والتاريخي الحالي وطبيعة المخاطبين والمستهدفين = مختلفان تمام الاختلاف عما كان قبل ١٠٠ عامٍ أو أقل، فاليوم (حيث تلاشت الحواجز الزمنية والمكانية) لم تعد تصلح المبالغة في إحكام الأبواب بينما صارت أكثر المجتمعات بلا حوائط.

نعيش اليوم حالةً من السيولة الفكرية، حيث تحولت الشبهات من الجانب التنظيري الذي كان في الماضي يخاطب المهتمين من الكُتَّاب فقط ورجال الفكر والأكاديميين : إلى جانب وضع الشبهات في قوالب سهلة الفهم على عموم الناس والشباب، عميقة الأثر، سريعة الانتشار، لقد تحولت الشبهات إلى ما يُشبه المُعلبات الفكرية التي تستطيع أن تجدها في كل مكان وفي أي وقت.

ومن هنا كان لزاماً على حراس الشريعة أن يقابلوا هذه الموجة بموجةٍ مضادة من التفنيد والبيان لحقيقة هذه المُعلبات الفكرية وفحواها، فكوننا مسلمين يحظر علينا أن نكون أتباعاً أو مستقبلين سلبيين للقوالب الفكرية الغربية، بل يجب أن يكون للمسلم أصولٌ وثوابتٌ ومنظومةٌ قيميةٌ كاملة

يُحاكِم إليها ما يستجد من نوازل عقدية وفكرية، وأعجبُ العجب أن يُحاكِمَ الغربُ جميع قيمنا وأفكارنا إلي منظومتهم الفاسدة، وعندما نقوم نحن بنفس الأمر نرى سهام النقد توجه إلينا ! ونرى دعوات من قبيل "**لا تقحم الدين في كل شيء**" فصار مقبولاً عندهم محاكمة الغرب بأهوائه وشهواته لشريعة الملك عز وجل، والرفض كل الرفض لمحاولة ضبط هذه الأهواء والأفكار وبيان قيمتها بميزان رب العالمين !

ومن هنا كانت هذه الدعوات التي أضلت الكثير من الشباب والفتيات، الذين تشربوها بحُجة أنها لا تملك "انتماءً" ولا "أجندةً" خاصة يريدون تطبيقها، وغفل المساكين عن حقيقة أنه : "**إن لم تكن تطبق مبادئك وتحقق أفكارك.. فأنت تطبق وتحقق مبادئ وأفكار غيرك ولا شك**" ! وغفلوا عن أن هذا الادعاء بـ"الحياد" التام و"الموضوعية" الخالصة ليس إلا أكذوبةً كبيرة، فكل الناس لديه أفكاره وتحيزاته المُسبقة علمها مَن علمها وجهلها مَن جهلها، ناهيك عن أن المسلم لا يمكنه أن يكون مُحايداً، فشريعته ودينه يفرضان عليه موقفاً معيناً تجاه القضايا والنقاشات الدائرة على الساحة من إلحاد وشذوذ جنسي ونسوية وغيرها.

ومن الملاحظ أن الموجة الفكرية القادمة التي تلوح بوادرها في الأفق هذه الأيام ترتكز على دعامتين هما :

١- دعم وتطبيع الشذوذ الجنسي..

٢- النسوية.

وعلى الرغم من أن تلك التيارات ليست جديدة على مسامعنا، إلا إنها اليوم أخذت سمات العصر الحالي من السيولة وسرعة الانتشار وعمق التأثير،

وهو ما يجعل الشريحة المهددة أوسع بكثير مما مضى، والأثر الناتج للغفلة عن مواجهة هذه التيارات أعظم وأنكى.

ومن هنا تأتي أهمية عرض ونقد أفكار نسوية بارزة مثل (كاميل باليا) في تدعيم المكتبة الإسلامية لمواجهة هذه الموجات الفكرية الجديدة.

كاميل آنا باليا Camille Anna Paglia

هي ناشطة نسوية أمريكية وناقدة اجتماعية (من مواليد ٢ أبريل ١٩٤٧م) ولدت في ريف إحدى ضواحي مدينة نيويورك لأبوين إيطاليين، عملت أستاذة بجامعة الفنون في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا منذ عام ١٩٨٤م. وهي تنتقد العديد من جوانب الثقافة الحديثة، وصاحبة كتاب **(أقنعة جنسية: الفن والانحطاط من نفرتيتي إلى إميلي ديكنسون)** عام ١٩٩٠م وغيره من الكتب.

وهي أيضاً ناقدة شرسة للنسوية الأمريكية المعاصرة وما بعد البنيوية، بالإضافة إلى تعليقها على جوانب متعددة من الثقافة الأمريكية مثل الفن والموسيقى وتاريخ السينما.

تعد (كاميل باليا) من أشرس نقاد النسوية المعاصرة — من النسويات أنفسهن — نظراً إلى لهجتها الحادة وهجومها الشرس على معظم النسويات في الماضي والحاضر، حتى قالت عنها إحدى النسويات :

"**إنها لا تتورع عن إلقاء الشتائم الوقحة على النسويات**" وقد بررت (باليا) هذه الوقاحة بأن النقد يجب أن يكون ملموساً ولاذعاً.

توجه (باليا) سهام نقدها إلى ما يعرف **بالموجة الثالثة** للحركة النسوية، وقد وصفتها كثيرٌ من تيارات النسوية بأنها "معادية للمرأة" نظراً لأنها تكسر الكثير من تابوهات الحركة النسوية، وتصر على وصف الكثير من أفكار النسوية المعاصرة بالسذاجة والغباء، بدءًا من إلغاء الفروق البيولوجية بين الجنسين، إلى الأقسام الجامعية لدراسات المرأة التي لا تذكرها إلا للتهكم والسخرية.

تُصنِّف المؤلفة نفسها على أنها (نسوية أمازونية) لتؤكد بذلك على براعة الإناث البدنية كوسيلة لتحقيق هدف المساواة بين الجنسين، ويستلهم هذا التيار صورة البطلة الأنثى من الروايات الخيالية، والفنانات المقاتلات في الأفلام والمسلسلات، وغيرهن من النساء اللاتي أظهرن قوتهن البدنية في المجتمع والفن والأدب. كما تقول عن نفسها أنها (نسوية ضد النسوية).

المؤلفة شاذة جنسياً (مثلية) ملحدة، وقد صرحت بذلك في أكثر من موضع، إلا إن هذا لم يدفعها إلى الانغماس في محاربة الدين بشكل مباشر مثل مشاهير الملاحدة، بل أحياناً كانت تنتقد بعض الأطروحات الإلحادية والنسوية نقداً لاذعاً.

لكن لم يمنعها ذلك أيضاً من الوقوع في بعض الانحرافات الفكرية التي أثرت على آرائها وأطروحاتها للأسف، مثل تمجيدها لبعض قيم المجتمع الأمريكي، ومنها تأييدها للرأسمالية، وما تحمله من مساوئ على الفرد والأسرة والمجتمع تحت دعوى الحريات الفردية وحرية الكسب مهما كان مصدره أو مجاله، وهو ما يفسر تأيدها التام للشذوذ الجنسي، والحرية الجنسية، وصناعة الإباحية وغيرها.

كتاب (حرائر وأحرار)

رغم انشغال (باليا) عن تأليف الكتب بأنشطتها الإعلامية والمقالات والمناظرات لسنوات طويلة، إلا أنها عادت إلى ساحة الكتب من جديد بنشرها كتاب (حرائر وأحرار) عام ٢٠١٧م، والذي جمعت فيه قرابة ٣٦ مقالاً وتفريغاً منوعاً يمثلون محطات كثيرة من مسيرتها، ولتغطي بذلك مواضيعاً مثل نقد النسوية المعاصرة، والحديث عن القضايا الجنسية والجندرية التي تشغل الساحة الفكرية في أمريكا، أو تعبر عن موقف المؤلفة من قضايا واقعية حدثت في القرن الماضي، مثل مؤتمر الأمم المتحدة لقضايا المرأة، كما تناقش ما حل بالجامعات الأمريكية من قيود، وما تفرضه على طلابها من أفكار، فتعترض عليه وعلى تدخل الإدارة في حياة الطلاب الخاصة، فتنقل كل ذلك بتصرف من أعمالها السابقة إما كاملاً أو مجتزأً.

ويقوم نقد (كاميل باليا) للنسوية المعاصرة على عدة نقاط، يستطيع القارئ أن يستخلصها من ثنيات كتابها كالتالي :

١- إن الحضارة التي صنعها الرجل هي التي صنعت وعي المرأة، وهي التي مكنتها من الوصول إلى مكانة لم تكن تتمتع بها فيما مضى، وتعني (باليا) بالحضارة هنا الليبرالية الأمريكية، فليس من المقبول أن تخرج النسويات بعد ذلك وتتجاهل كل إنجازات الرجال على مر التاريخ.

٢- إصرار تيار من النسويات على استبعاد حقائق البيولوجيا التي تؤكد بوضوح أن هناك اختلافات جوهرية بين الجنسين سببها طبيعي وليس اجتماعي = يجعل من أطروحات المؤسسة النسوية سخافات، ويجعل النسوية في عداء مع العلم، في **حين أن نفس هؤلاء النسويات يلجأن** إلى العلم من

أجل التشخيص المبكر لسرطان الثدي والتحكم في الخصوبة [1] !

٣- جهل عدد من النسويات بالتاريخ الذي يبين أن اضطهاد المرأة لم يكن السمة العامة لتاريخ الرجل، بل إن هناك تضحيات كثيرة على مر تاريخ قدمها الرجال للنساء، كما أن ادعاء النسويات بأنهن أول مَن يندد بظواهر مثل الاغتصاب = يفضح جهلهن المطبق بالتاريخ الذي يذكر أن الرجال لطالما قاموا بحماية النساء ومعاقبة المغتصبين.

٤- القصور العلمي والفقر الفكري لدى كثير من النسويات ظاهر بوضوح في علاقتهن بعلم النفس، فأقسام دراسات المرأة وضعت (جاك لاكان) بينها وبين (فرويد)، رغم أن (لاكان) قد شوّه أفكار (فرويد)، حيث ترى (كاميل) أن أي طرح لنظريةٍ في علم النفس دون قراءة (فرويد) قراءة متأنية يعد ضرباً من الحماقة والسفه، وهو ما تفعله النسويات.

٥- الكثير من المؤسسات الأكاديمية والسياسية تخدم الأجندة النسوية، فعندما يتم مناقشة قضايا المرأة يتم تصوير بعض المشاكل العامة كأنها تقع على النساء فقط، رغم معاناة الرجال فيها أيضاً.

٦- ابتعاد النسوية المعاصرة عن القضايا الواقعية المُلحة، ومعاناة النساء الحقيقية (مثل حق الأمومة مقابل الإجهاض الذي ترفعه النسويات إلى حد القداسة) واتجاهها إلى التنظير والقضايا التافهة التي تخدم أبناء الطبقة

---

[1] ورغم ذلك نرى في طرح (باليا) نفسها تجاهلاً لبعض هذه الفروقات عندما تريد مثلاً حث النساء على الخوض في بعض المجالات مثل الرجال وتحمل مشاقها رغم تعارض ذلك مع تكوينها الطبيعي والفطري والنفسي والعاطفي، وهو تناقض من تناقضات أخرى كثيرة تقع فيها كما سنرى. (م. أحمد)

المتوسطة.

٧- خروج النسوية المعاصرة عن سنن أسلافها وتحولها إلى أيدلوجية تقصي كل مَن يخالفها وترميه بـ"معاداة المرأة".

حيث ترى (باليا) أن المرأة لن تتمكن من تحقيق أي إنجاز طالما أنها ترفض الاعتراف بمنجزات الرجال.

٨- عندما نبذت النسوية المعاصرة الدين، وقطعت صلتها بعوام النساء المتدينات = استطاعت أفكار وفلسفات (ماركس) و(فوكو) الدخول إلى الساحة والهيمنة على ثقافة التيار النسوي.

٩- إذا استمرت النسويات في إنتاج هذه الكتابات الضعيفة والكتب التي لا تقدم بحثاً علمياً محرراً :

فلا يحق لهن بعد ذلك الشكوى من عدم اهتمام الرجال بهذه الكتابات، وعدم خروج امرأة نابغة في الشعر أو الأدب، بل إن هذه الكتابات (للأسف) تؤكد حقيقة أن النساء لا يستطعن إنتاج عمل فكري رفيع المستوى.

١٠- معاداة النسوية للأمومة والحياة الأسرية والسخرية منها في مقابل الإعلاء من شأن الطموحات المهنية للمرأة :

قام بتنفير الكثير من النساء والعائلات من التيار النسوي، خاصةً أنه لم يقدم للمرأة المكانة التي تحلم بها، لأنه ببساطة قمعٌ للطبيعة الجنسية الأنثوية، ناهيك عن أن نساء القرية — اللاتي نادراً ما يغادرن المطبخ- يتمتعن بسلطة ونفوذ أكبر في محيطهن حتى من الرجال عن أي نسوية.

تناقضات واضحة

رغم هذه الانتقادات المُجملة من (كاميل) للحركات النسوية، إلا إنها تقع في عدد من التناقضات لمن يجمع مواقفها وآراءها جنباً إلى جنب.

١- فتنديدها مثلاً بتقديس النسويات للمرأة العاملة وازدرائهن للأمومة، يقابله عدم تعرضها للوجه السيئ للرأسمالية الذي يدفع المرأة دفعاً إلى السباق الوظيفي وإهمال الأمومة وازدرائها ! وهكذا نرى التغافل المتعمد عن دور "السياسة الاقتصادية" في التأثير على سلوكيات المجتمع.

٢- يظهر ذلك التغافل مثلاً في مسألة الحديث عن (الإنجاب) خاصةً فكرة استغلال فترة الخصوبة المبكرة في حياة أي امرأة، حيث لا يتم التعرض للنموذج الرأسمالي (بجناحه التعليمي والاقتصادي) الذي يضغط على أكثر النساء لتأجيل قرار الإنجاب كثيراً في مقابل الوظيفة المرموقة (التي يجعلها النظام هي الغاية الكبرى)، وبذلك يتأجل قرار الإنجاب لأنه يمثل (من الناحية المادية والرأسمالية) عبئاً سيثقل كاهل الوالدين أو المرأة وشريكها، خاصةً عندما يتم إعطاء المرأة صورة أن الوظيفة هي المجال (الوحيد) لتحقيق أو إثبات الذات : وليس نجاحها في بيتها مثلاً أو في زواجها (كل ذلك يتم تهميشه جداً للأسف بل ومحاربته وتشويهه في أكثر الأحيان).

كل ذلك تغض (باليا) الطرف عنه مع النظام الرأسمالي الذي لا تفتأ تُجمله وتمدحه، وهو الرابح الوحيد من تأجيل (الإنجاب) للحد من إنفاق الأموال على الرعاية (سواء الصحية أو النهارية أثناء العمل)، كما أنه يحفظ تواجد النساء لأكثر عدد ممكن من الساعات في العمل مثل الرجال وإلا كان راتبها أقل (وهي الخسائر التي يسمونها للمرأة بضريبة الأمومة)..

حيث يصورون لها أنه بدون الأطفال فإن الطريق سانحة لتحقيق الطموح المهني، ولسان حالهن يقول "**ما دمت ناجحة في عملي**" أو "**مهتمّة بدراستي**" أو "**أحقق ذاتي**" هنا أو هناك.. فليس هناك من داعٍ للإنجاب ومواجهة تبعاته القاسية.. وهو منطق زائف، لكنه قوي للتأثير على الفتيات والشابات للأسف عند وجود المقارنة مع غيرهنِ في نفس السن.

٣- في الوقت الذي تتحدث فيه (باليا) برمزيتها السطحية عن (هدف) الطبيعة في التكاثر واستمرار الجنس البشري (وهو ما يتطلب أقل قدر من الوعي والحس الجمعي) : نراها تدافع بشراسة عن (الفردانية) – والتي هي أقوى سمات الرأسمالية والليبرالية والعلمانية الحديثة - إذ يسعى الكل إلى تحقيق رغباته وطموحه هو.. لا الجماعة ولا المجتمع ! فلا مكان إلا لـ "أنا"، أو كما قال (زيجموند باومان) Zygmunt Bauman أنه :

"**في ظل الحداثة الصلبة كان (الأطفال) هم مستقبل الأمة، أما في ظل الحداثة السائلة فهم عبء على (الفرد) فلا وجود أصلاً لمفهوم الأمة**".

وما كان للسلوكيات الجنسية المنحرفة - بدءًا من الشذوذ الجنسي وانتهاءًا بالتحول الجنسي والسادية – لتكون مقبولة في أي مكان في العالم إلا على أساسٍ من (الفردانية) البحتة وإلغاء مفهوم "نحن"، ولسان حال صاحبها يقول : هذه غريزتي أشبعها كيفما أشاء.. وليذهب الجنس البشري وتكاثره وبقاؤه إلى الجحيم !

ومن هنا نرى أن المؤلفة ليست متسقة مع نفسها في عدم اعترافها بالدور الخفي للقيم الرأسمالية والليبرالية الحديثة في مواقف النسويات من الإجهاض والأمومة، كما أنها أغفلت دور الفردانية التي تروج لها الرأسمالية في انتشار

السلوكيات الجنسية الشاذة.

ملاحظات حول الترجمة

وهي ملاحظات عامة بخصوص مقالاتها وكتاباتها :

١- اللغة التي تكتب بها كتبها هي "عامية" في أغلبها (وقد ذكرت ذلك بنفسها في مقدمة كتاب حرائر وأحرار)، مما يجعل الترجمة من العامية الإنجليزية الأمريكية إلى العربية الفصحى يتطلب مجهوداً أكبر، خاصةً مع اختلاف معاني الكثير من الكلمات في العامية الإنجليزية عن معناها في اللغة الرسمية.

٣- تعتمد (باليا) في كثير من كتاباتها على السخرية والتهكم، سواء بالكلمات أو بالتشبيهات، فربما تأتي خمس أو ست كلمات متتابعة كلها للسخرية، مما يجعل مهمة ترجمة كل هذه الكلمات ونظمها معاً في جملة عربية صحيحة مهمة شاقة، هذا لو تيسر الوقوف على مرادف عربي للكلمة، بالإضافة إلى أن بعض المقالات مأخوذة من تسجيلات صوتية وليست مكتوبة في الأصل.

كما أن أسلوب (كاميل) مُغرق في الرمزية أحياناً بشكل معقد قد لا تسعفه كلماتها في بيان المراد بوضوح، مما يؤثر سلباً على ترجمته العربية، أو يضطر المترجم لعمل بعض الإضافات في سياق الجملة أو العبارة لإضفاء معنى متسق عليها أقرب ما يكون لمرادها.

٤- تمتلئ كتابات (باليا) - انطلاقاً من كونها ناقدة اجتماعية - بالمصطلحات والتركيبات المستوحاة من المجتمع الأمريكي، وبذلك تحتل

المُلابسات والبيئة التي خرجت منها تلك المعاني أهمية كبيرة في فهم المراد من النص، فالترجمة الحرفية للمصطلحات والتراكيب لن يوصل المعنى إلى القارئ العربي، ومن هنا كانت أهمية التعريفات والتعليقات التوضيحية في الحواشي.

والله المستعان...

م. مصطفى هندي

شخصية (كاميل باليا)

في أحد مقالات (النيويورك تايمز) الذي يتحدث عن (باليا والفن) يقول : "**أي متابع للذين انخرطوا في الحروب الثقافية في العقود الأخيرة يعرف مَن هي باليا**"[1]. كما تم اختيارها في عام ٢٠٠٥م كواحدة من أفضل ١٠٠ مفكر بارز بواسطة مجلة (فورين بوليسي) الأمريكية، و (بروسبكت) البريطانية.[2]

وترجع هذه المكانة الثقافية كونها مختصة أكاديمية في الفن والأدب الكلاسيكي كذلك، حيث عملت في كُلية (بيننجتون) عام ١٩٧١م كمُدرسة، ثم تقدمت برسالة الدكتوراه لجامعة (ييل) عام ١٩٧٤م بعنوان :

(أقنعة جنسية : الخنثى[3] في الأدب والفن).

---

(1) Adams, John (November 30, 2012). "Paglia on Art". The New York Times. Retrieved July 7, 2014.

(2) Wente, Margaret (October 18, 2007). "Camille Paglia: Hillary Clinton can't win – and shouldn't". The Globe and Mail. Toronto.

(٣) المقصود بالخنثى هنا Androgyne هو الشخص الذي عندما تراه لا تستطيع التمييز هل هو ذكر أم أنثى، سواء كان ذلك بسبب ملابسه وتصرفاته، أو لصفاته الجسدية الخليطة (مثل أن يكون رجلاً بثديين كبيرين مثلاً ونحوه)، وللوصف أصل في اللغة الفارسية المعربة وهو (الزنمردة)، وقد نهى النبي ﷺ عن تعمد تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ولعن مَن يفعل ذلك لأثره المدمر على الشخص والأسرة والمجتمع، أما الذين لديهم خلل هرموني جسدي خاصة في الأعضاء التناسلية، فقد خصص لهم الفقهاء في الإسلام أبواباً غاية في الدقة للتعامل معهم وما لهم وما

Sexual Personae: The Androgyne in Literature and Art.

وهو الموضوع الذي يبدو هاجسها الأول منذ طفولتها للأسف، أي ميولها للتصرف كالذكور (وسيأتي ذلك في حديثها عن نفسها فيما بعد)، وهي الصفة الملازمة لها إلى اليوم (أي حب الظهور كالرجال خاصة في لبسها للسترات الرجالية ثم نشرها كصور لجلسات تصوير أو على أغلفة الكتب والمجلات وافتخارها بذلك).

قوة شخصية وحضور

بعد قراءة العديد من كتاباتها ومشاهدة بعض لقاءاتها المصورة، يظهر تمتعها بقوة شخصية أثناء طرح أفكارها وفي طريقة الكلام (ربما كان لذلك علاقة بتصرفها كالذكور منذ الصغر، واتصافها بالجرأة في القول والفعل مهما كان فاحشاً، وهو عكس السائد في المجتمع الأمريكي وقتها).

وذلك بغض النظر عن صحة ما يصدر عنها (فليس كل ذي شخصية قوية أو جرأة يكون على حق – وقد حذرنا النبي ﷺ من كل منافق عليم اللسان). لكن لقوة الشخصية تأثير كبير - ولا شك - في تلقي المستمع أو المشاهد للأسف، لأن الثقة في طريقة الكلام توحي بصدق وصوابية

عليهم، وقسموهم إلى (خنثى غير مُشكل) وهو ما يظهر أصل جنسه خاصة بعد البلوغ، و(الخنثى المُشكل) وهو ما لا يظهر أصل جنسه حتى بعد البلوغ، وفي العصر الحديث أباح عدد من العلماء للخنثى إجراء عملية تحويل جنسي إلى الجنس الغالب فيه أو ما يظهر أنه غالب فيه أو يميل إليه.

صاحبها، وهو ما يُخفي غالباً تناقضاته وسيء أفكاره عن الشخص العادي أو غير المتخصص.

أيضاً من الواضح ظهور روح التمرد لديها منذ الصغر فيما تحكيه عن نفسها، مثل تعمدها لبس ملابس الأولاد كما أشرنا (خاصة في الأعياد التنكرية والهالووين[١])، ومثل ما ذكرته من تفجيرها لدورة مياه خارجية (وهي المبنى الخشبي الصغير خارج البيوت الريفية) عندما وضعت الكثير من الجير الحي (أكسيد الكالسيوم) في المرحاض، وعندما انفجر تقول :

"هذا يرمز إلى كل شيء سأفعله بحياتي وعملي. تجاوز الحدود، والتهور، والانفجار، سأكون شخصاً ينظر في مرحاض الثقافة، في المواد الإباحية والجريمة وعلم النفس ... وسأسقط القنبلة فيه" ! [٢]

كما تعد (كاميل باليا) مثالاً حياً (بل أبرز مثال حي رأيته في حياتي !) على خطر الإعلام، خاصةً ما يبثه من سموم الأفكار على الصغار، فهي امرأة ترى قدواتها في الحياة : مجموعة الممثلات المتحررات اللاتي تم تلميعهن في القرن الماضي ليقدمن أدوار التحرر من كل قيود الدين والأخلاق والحشمة ! وكذلك البطلات الخياليات في القصص المصورة والمسلسلات !

---

(١) بدأ عيد (الهالووين) Halloween بطقس ديني مسيحي لتذكر القديسين الأموات، ثم انحرف مع الوقت ومع الثقافة الأمريكية العلمانية والرأسمالية الهادفة للربح ليتعلق بكل ما هو مرعب من قصص وأشباح وزيارة الأماكن التي يقال أنها مسكونة بالعفاريت، ليشمل بذلك بيع الملابس الشعبية والأسطورية والتنكرية والغريبة.

(2) Steiner, Wendy (November 20, 1994). "Advertisements for Themselves". The New York Times.

وهو يؤكد ما كنت ذكرته في كتابٍ سابق[١] من خطورة ما يشاهده الأطفال للأسف، خاصةً إذا وافقت الأفكار الشاذة والمنحرفة فساداً في شخصيتهم، فتنمو بذور الباطل معهم بدلاً من تقويمها، ليجني المجتمع ثمارها الحنظل بعد ذلك من إسقاطاتهم وأمراضهم النفسية فيما يُصدِّرونه للناس.

ومن هنا يتواصل تحذيرنا من مئات الأفلام والمسلسلات الأجنبية (خاصة المدبلجة بل والعربية كذلك) بما تحمله بشكل مباشر أو غير مباشر من هدمٍ للفضائل وتشويهٍ للفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهو ما يقتل أجيالاً من أمتنا في غفلةٍ من الأسرة (الأب المشغول والأم التي صارت مشغولة كذلك عن أبنائها للأسف)، مع الغياب المتعمد من التعليم والإعلام لأي توجيه حقيقي للتفريق بين الصواب والخطأ (في إقرارٍ خطيرٍ لنسبية الأخلاق) !

مكتبة
t.me/t_pdf

خارج إطار النقد !

حين تتقمص (باليا) شخصية المُحقق والمُحلل لمُعارضي أفكارها من جنسها من النسويات الأخريات :

فإنها تزعم تأثرهن بمؤثرات نفسية مختلفة على تفكيرهن وشخصياتهن : إما لظروف طفولتهن، وإما لمواصفاتهن الجسدية القبيحة وغير ذلك، والسؤال :

لماذا ترى (باليا) أن أفكارها صوابٌ (بما فيها الحرية الجنسية والممارسات الجنسية الشاذة والإباحية والدعارة وعدم ممانعة الإجهاض)، في حين لا

---

[١] كتاب (الميديا والإلحاد : السينما واللاوعي، الخطاب الشعبي للإلحاد)، مركز دلائل ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

تضع افتراضاً - مثلما تفعل مع غيرها – أن تكون تلك الأفكار نتيجة لنشأتها كطفلة غير طبيعية، أو للعلل النفسية التي قد تعاني منها ولا تريد تركيز الضوء عليها ؟

لماذا لا تكون (كاميل) وأشباهها هن كما وصفتهن الناشطة الأمريكية المحافظة (فيليس شلافلي) [1] Phyllis Schlafly :

"**مجموعة من النساء اللائي يعانين المرارة ويسعين إلى الحصول على علاج دستوري لمشاكلهن الخاصة**" ؟! [2]

A bunch of bitter women seeking a constitutional cure for their personal problems.

لاسيما عندما نجد (كاميل باليا) نفسها تؤكد هذه العلاقة (أي تأثير الظروف الشخصية على الأفكار) وهي تصف الشذوذ الجنسي مثلاً (أو المثلية) Homosexuality بأنه :

" **تكيف مع الظروف الاجتماعية، وانتشاره في الوقت الحالي هو بسبب الإرهاق أو الاستياء من الأدوار الجنسية التقليدية الفاشلة، وهو رفض للحالة المتضاربة للعلاقات بين الجنسين. والذي تجلى أيضاً**

---

(١) (فيليس شلافلي) من مواليد ١٥ أغسطس ١٩٢٤م (توفيت في ٢٠١٦م عن عمر ٩٢ سنة)، تعتبر "الأم المؤسسة" لحركة المحافظين الأمريكية الحديثة، حيث خاضت العديد من المعارك ضد النسويات في السبعينيات من القرن الماضي.

(2) Sara Evans, Born for Liberty, Simon and Schuster Inc. 1997, p. 304.

والشكر للمترجم المهندس (مصطفى هندي) فهو الذي دلني على الاقتباس.

في الارتفاع الجنوني لمعدلات الطلاق في الأعوام الثلاثين الماضية".[١]

بل وعندما أرادت الانتقاص من الناشطة النسوية الرافضة للإباحية (أندريا دوركين)[٢] Andrea dworkin، كتبت عنها في مقالها لأشهر مجلة إباحية كلاماً لا يوصف إلا بأنه (شخصنة) من النوع الرخيص ! حتى إنها لم تترك جسد (دوركين) البدين إلا وانتقدته وسط سيل تهجماتها على طفولتها ونشأتها وحياتها فقالت :

" قامت (دوركين)، مثل (كيت ميليت) بتحويل التاريخ المرعب لاضطراباتها العقلية إلى أوبرا نسوية كبرى. تفتخر (دوركين) علناً بعمليات اغتصابها المتكررة، والاعتداءات والضرب والصدمات النفسية التي مرت بها، كما لو أن سلبيتها وعجزها عن مواجهة الحياة كان خطأ الرجال الأوغاد وليس خطأها.

إنها تتظاهر بأنها جريئة بما تحكيه، لكنها لا تذكر أبداً مشكلتها الأكثر وضوحاً : الطعام، ومن ثَم فهي منافقة ومخادعة.

إن صراخ (دوركين) وعويلها المدوي وكلماتها الركيكة ليست سوى تصرفات طفولية قذرة" !

---

(١) من محاضرة (معركة الجنسين الحديثة) The Modern Battle of the Sexes من سلسلة Sounding the century – قاعة الملكة إليزابيث، ١٩٩٧م.

(٢) (أندريا دوركين) كاتبة وناقدة نسوية راديكالية أمريكية، ولدت في ٢٦ سبتمبر عام ١٩٤٦م وتوفيت في ٢٠٠٥م. اشتهرت (دوركين) بكتاباتها في نقد المواد الإباحية في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن العشرين. حيث قادت هي وزميلتها (كاثرين ماكينون) حملة ضد الإباحية. وكتبت (دوركين) العديد من الكتب والمقالات حول كراهية النساء وإخضاع الرجال للنساء والعنف ضد المرأة.

وتواصل بعدها بعدة أسطر رسم صورة تخيلية لنشأتها :

"أدعوها (الفتاة المصابة بالإنفلونزا الأبدية)، أي هذه الطفلة البدينة القصيرة الخرقاء والعابسة، والتي دائماً ما تسكب لبنها في المعسكر الصيفي، وتوقع الحلوى في التراب، وتتشنج كلما تحركت، والأحجار تملأ حذاءها، والحشرات في شعرها.

وفي الكُلية، الفتاة من هذا النوع تكون مريضة بالفطرة وتعاني من البرد طوال العام، فهي تسعل وتعطس في وجه الجميع، ولا تستعمل المناديل أبداً، وتجلس تحت الشمس ومعها لفافة من ورق الحمَّام في حجرها.

إنها كابوس المُعلمة، والمنبوذة التي لم تحظى أبداً باستحسان واهتمام والدتها، ولذا فهي تسعى لأن تكون محط اهتمام الجميع بأي ثمن. انتهزت (دوركين) النسوية واتخذتها كقناع لإخفاء معاناتها في هذه الدراما العائلية المُملة".[1]

والسؤال مرة أخرى (وبغض النظر عن هذا السيل من الافتراضات) : ما الذي يمنع من أن تكون (كاميل باليا) هي الأخرى صنيعة نمط ضائع وغير سوي في طفولتها ونشأتها ؟ وأنه الذي أخرج لنا هذه الأفكار التي تعتنقها وتدافع عنها وتسير بها ضد الدين والأخلاق السوية والفطرة ؟!

---

[1] من مقالها في مجلة (#####) الإباحية عدد أكتوبر ١٩٩٢م بعنوان : (عودة كاري نيشن : كاثرين ماكينون وأندريا دوركين The Return of Carry Nation: Catharine Mackinnon and Andrea Dworkin)، حيث شبهت مجهود الناشطتين النسويتين (كاثرين ماكينون) و(أندريا دوركين) في محاربة الإباحية، بمجهودات النسوية السابقة من الجيل الأول (كاري نيشن).

المرأة المتحررة جنسيا : أسرع طريقا للشهرة !

من طبع الناس الانتباه دوماً إلى كل شاذٍ أو غريبٍ عن الفطرة أو عن السائد، فالعين تنجذب بطبيعتها للنقطة السوداء على الورقة البيضاء، ومن طبع المرأة الستر والحشمة بفطرتها، لذلك صار أسهل الطرق لشهرة مَن تصنعهم أيادي الفساد كنساء مؤثرات في المجتمع : أن تكسر ذلك التابوه (أي القيود المجتمعية) فتتعرى أو تتكشف أو تتجرأ وتتحرر جنسياً، وبذلك يمكنها جذب الأنظار إليها وإلى ما ستقوله وتنشره من سموم بين الناس !

ومن الواضح أنه رغم تمكن (كاميل) من التقعير الفلسفي في كلامها وترميز كل شيء في الحياة بشكل جنسي متناقض ومضحك : إلا إن سبب شهرتها كان (إباحية) تلك الترميزات (خصوصاً صدورها عن امرأة) واهتمامها الواضح بالكتابات الجنسية الفجة (خصوصاً العلاقات الشاذة منها) منذ بداياتها، حيث إن صدور الكتابة الجنسية الفجة والبذيئة والجريئة من (امرأة) : كان ذروة كسر التابوه المطلوبة لتغذية الثورة الجنسية التي اجتاحت الغرب منذ ستينيات القرن الماضي، والتي حاربت كل قيود الأخلاق والعرف والدين، وهو ما لفت الأنظار إلى (باليا) بالفعل، ودفع فسدة المجتمع إلى تلميعها ككاتبة ومفكرة و (نسوية) بل و (حقوقية)، ولجعلها (أيقونة) جديدة على طريق إفساد النساء، تقول عن طفولتها :

" أنا مؤيدة للإباحية. فمنذ أن كنت طفلة، وأنا أرى أن الجنس يملأ العالم. لقد شعرتُ بإيقاعات الطبيعة والطاقات العدوانية للحياة الحيوانية. إن المعروضات الفنية – سواء في المتحف أو الكنيسة – تتوهج بجمالها الحسي. إن أصحاب السلطة في الكنيسة والمدرسة والأسرة لم يرق لهم ما رأيته وتعاملوا معي بقمعية شديدة، لكن مثل

(مادونا)، تمسكت بنظريتي الوثنية من وجهة نظرهم. إنني أنتمي إلى جيل الستينيات الذي حاول تحطيم جميع الأعراف والمحرمات الجنسية، لكنها محاولة باءت بالفشل. في كتابي (أقنعة جنسية) روجت للفسوق، والشبق الجنسي، والشذوذ الجنسي، والسادومازوخية[1] التي تملأ كل التقاليد الغربية الراقية".[2]

وهو ما يدل عليه عناوين ومواضيع أوائل كتبها وأشهرها كما نرى :

(أقنعة جنسية : الخنثى في الأدب والفن) ١٩٧٤م (رسالة دكتوراه). Sexual Personae: The Androgyne in Literature and Art.

(أقنعة جنسية : الفن والانحطاط من نفرتيتي إلى إيميلي ديكنسون) ١٩٩٠م. Sexual Personae: Art and Decadence from Nefertiti to Emily Dickinson.

---

[1] السادومازوخية Sadomasochism أو السادوماسوشية أو S-M : هي الوصول إلى المتعة أو اللذة الجنسية عن طريق التعرض للألم أو التعذيب الجسدي والإهانة والإذلال، وهي إحدى القضايا الجنسية التي تروج لها (كاميل باليا) على أنها مُمارسة لا يجب استهجانها لأنها تتماشى مع قسوة الطبيعة التي أنجبتنا كبشر! في حين يراها كل عاقل انتكاسة في الفطرة وخلل نفسي يحتاج إلى علاج، وذلك رغم محاولة تمريرها عالمياً اليوم بحجة (التراضي) بين الطرفين (كما تم وقف وصف الشذوذ الجنسي بالخلل السلوكي مع نهايات القرن الماضي، وفي طريقهم الآن لنفس العمل مع البيدوفيليا أو الاستغلال الجنسي للأطفال). وينقسم المصطلح إلى (سادو) أي السادية وهي التلذذ بالتعذيب : نسبة للروائي الثوري الفرنسي (ماركيز دي ساد) صاحب الكتابات السادية المثيرة للجدل، و(مازوخية) وهي التلذذ بالشعور بالإهانة أو الألم : نسبة للأديب النمساوي (ليوبولد فون زاخر مازوخ).

[2] من مقالها (عودة كاري نيشن) في مجلة (#####) الإباحية – مصدر سابق.

(الجنس، والفن، والثقافة الأمريكية) ١٩٩٢م Sex, Art and American Culture.

(غانيات وعاهرات) ١٩٩٤م. Vamps and Tramps

بماذا يختلف طرح (كاميل) عن باقي النسويات ؟

اشتهر عن (باليا) أنها : "**نسوية ضد النسوية**" Anti-feminist feminist، فهي ضد الهجوم على دور الأمومة وامرأة البيت إذا اختارت ذلك، وهي تعادي فكرة المساواة التامة بالرجال والتطرف في زعم التساوي البيولوجي كذلك على مستوى الجسد ! أيضاً هي ضد تهميش دور الرجل في الحياة، أو التهرب من الاعتراف ببصمة الرجال عبر التاريخ والحضارة الإنسانية، لكن كل ذلك له منطلق آخر عندها (كما سنرى بعد قليل) غير ما قد يتبادر إلى الذهن عند سماعه لهذه الآراء المنصفة منها.

أيضاً فإن (كاميل باليا) ملحدة، ومن منطلق إلحادي بحت تنسب جميع الأشياء إلى الطبيعة، وينسحب ذلك على (معاني) و(فلسفة) تلك الأشياء وليس مجرد (إيجادها) فقط !

فهي ترى مثلاً أن الطبيعة مكتسحة، وقوية، وشيطانية في شهواتها وما تثيره من نزعة حيوانية في الإنسان، ومن هذا المنطلق ترى أن (الدين) ما هو إلا (فكرة) إنسانية لمحاولة التملص من وحشية وهمجية الطبيعة بداخلنا !

هذه هي النقطة التي تنطلق منها جميع أفكار (باليا) بكل ما فيها من تخبط وتناقض، حتى إنها تقول أن (أهم جملة قالتها على الإطلاق) هي :

"**الله أعظم أفكار الإنسان**" [1] God is man's greatest idea.

ومن هنا فهي تروج إلى أنها كنسوية قوية أو مقاتلة شرسة في الحياة (أو نسوية **أمازونية**[2] كما يحلو لها وصف نفسها) لا تجد الحاجة للدفاع عن الإباحية مثلاً أو السادومازوخية... فهي تراها عودة للطبيعة عند استبعاد قيود الدين والمجتمع !

كذلك تتعجب من النساء اللاتي بعدما يجلسن مع الرجال بكامل زينتهن وتعريهن وتمايلهن وإثارتهن : يشتكين تعرضهن للاغتصاب الجنسي في المواعدة رغم قولهن (لا) ! إذ أن ذلك التصرف (المتناقض) لا يتماشى مع طبيعة الرجال ومع الرغبة (الكامنة) بداخل المرأة للجنس الخفي، فهي ترى أن هذا التمنع بقول (لا) لا يعبر عن حقيقة ما فعلته المرأة في تلك المواعدة من استعداد للجنس والتلويح به أو بإمكانيته (وهو ما يفهمه الرجل جيداً)، فترى أن تصرف النسويات هنا ومطالباتهن بتجريم الاغتصاب في المواعدة لا يعبر عن سطوة العلاقة الجنسية من نظر الطبيعة !

وعلى هذا تقرر (باليا) أن المرأة إذا لم ترغب في علاقة جنسية فعليها أن تكون واضحة بكل حسم، وأن تتخلى عن تمثيل دور الضعيفة المغلوبة على

---

(1) "Camille Paglia". Big Ideas. TVO. November 7, 2009. Archived from the original on May 24, 2012.

(٢) مأخوذة من أسطورة شعب (الأمازونيات) Amazons القديمة التي انتشرت في حوض البحر المتوسط من سوريا وجنوب اليونان (الإغريق) إلى شمال أفريقيا، والتي تنص على وجود شعب من النساء المقاتلات اللاتي يمتطين الجياد ويستخدمن الأسلحة والنبال كالرجال (واللفظ قد يكون أمازيغياً)، ويُقال أن عثور المستكشف الإسباني (فرانسيسكو دي أوريلانا) على نساء مقاتلات عند نهر أمريكا الجنوبية هو ما جعلهم يسمونه نهر الأمازون تشبيهاً لهن بشعب الأمازونيات.

أمرها، والتي تلجأ بعد كل مواقعة إلى القضاء بتهمة الاغتصاب في المواعدة (وهو ما يحدث أحياناً بعد سنوات من الواقعة ! مما يوحي بشيء من الابتزاز) ورغم صحة كلامها إلا أنه يناقض رأيها المتحرر الآخر !

وبنفس المبدأ ترفض (كاميل) تشريعات تحديد سن شرب الخمر للشباب والفتيات، حيث تعاني الفتيات من الاغتصاب تحت تأثير الخمر، وعلى هذا تتوجه (باليا) باللوم إلى الفتيات أنفسهن (خاصة فتيات الجامعات) وتطلب منهن عدم الذهاب إلى حفلات الشباب الصاخبة التي يتناولون فيها الخمر.

ويلخص رؤيتها في الحياة والطبيعة والجنس بكل وضوح المقطع التالي من أول فصول كتابها (أقنعة جنسية) حيث تقول :

"إن العدوانية مصدرها الطبيعة، ولهذا أطلق عليها (نيتشه) إرادة القوة، وبالنسبة إلى (ساد)، فإن العودة إلى الطبيعة – المتمثلة في الحتمية الرومانتيكية التي لا تزال تتخلل ثقافتنا من الاستشارات الجنسية إلى الإعلانات التجارية – ستُطلق العنان للعنف والشهوة، وهذا صحيح، فالمجتمع ليس هو المجرم، بل السلطة التي تسيطر على الجريمة. فعندما تضعف القيود الاجتماعية، تنفجر قسوة الإنسان ووحشيته الفطرية. إن الأوضاع الاجتماعية السيئة لم تصنع المُغتصب، بل فشل التكيف والتأثير الاجتماعي. ومع سعي النسويات لإلغاء العلاقات بين القوة أو السلطة وبين الجنس : فإنهن يتحدين الطبيعة. فالجنس قوة، والهوية قوة. ففي الثقافة الغربية، لا توجد علاقات لا تقوم على استغلال كل طرف للآخر، فالجميع يقتل كي يعيش. إن قانون الطبيعة العالمي : (البناء يبدأ بالهدم) يسري على الفكر كما يسري على المادة. وكما يؤكد (فرويد) – وريث (نيتشه) – إن الهوية صراع، وكل جيل يقوم على

رُفاةِ سابقه.

تعاني الليبرالية الحديثة من تناقضاتٍ لم تُحل بعد. إنها تمجِّد الفردانية والحرية من ناحية، وبوجهها الراديكالي تدين الطبقية والأنظمة الاجتماعية باعتبارها قمعية من ناحية أخرى، فإنها تتوقع من الحكومة أن تمنح الجميع أعمالًا بطولية لا يمكن تحقيقها إلا من خلال توسيع نطاق السلطة وتضخيم رقعة البيروقراطية. وبعبارة أخرى، ترى الليبرالية في الحكومة : الأب شديد البطش، لكنها تطالبها بالتصرف : كأم حنون. وقد ورثت النسوية هذه التناقضات، فهي تعتبر كلَّ تسلسلٍ هرميٍ قمعياً ونوعاً من الوهم الاجتماعي، وترى أن كل ما هو سلبي عن المرأة ما هو إلا كذب قام بتلفيقه ذكرٌ هدفه الوحيد تثبيطها وإحباطها. لقد تجاوزت النسوية مهمتها الصحيحة المتمثلة في السعي لتحقيق المساواة السياسية للمرأة، وانتهت برفض الحالة التي لا دخل لأحد فيها وهي : محدودية وضعف الإنسان أمام الطبيعة أو القدر.

إن الحرية الجنسية والتحرر الجنسي أوهام مُستحدثة، فما نحن إلا حيوانات بعضها فوق بعض في تراتب هرمي، إذا أزحت أحدها، فسرعان ما سيحل محله آخر، وربما لا يحظى بنفس قبول سابقه. إن التسلسل الهرمي في الطبيعة يوازيه تسلسل هرمي آخر في المجتمع. في الطبيعة، القوة الغاشمة هي في كثير من الأحيان القانون السائد، أما في المجتمع، فهناك حماية للضعفاء، والمجتمع هو حصننا الهش ضد الطبيعة. عندما تذهب هيبة الدولة والدين، يكون الناس أحراراً، إلا إنهم لا يطيقون الحرية ويبحثون عن طرق جديدة لاستعباد أنفسهم، فيلجؤون إلى المخدرات أو يقعون في شراك الاكتئاب. نظريتي هي أنه كلما اقتربنا

من الحرية الجنسية أو حققناها بالفعل، فإن السادومازوخية ليست ببعيدة، وستتحول الرومانسية دائماً إلى الانحطاط. إن الطبيعة صعبة المراس وليست للترويض، إنها سيد لا يرحم، إنها المطرقة والسندان الذي يسحق الفردانية، وإن عناصر الطبيعة (التراب والهواء والماء والنار) ستبتلع الحرية المطلقة".[1]

هذه الفقرة قد تلتقط العين منها بعض النقاط التي تكشف بعض تناقضات الحركات النسوية بالفعل، لكنها في المقابل تكشف تناقضات (باليا) نفسها كنسوية أخرى لا تعرف ماذا تريد بالضبط ؟ تراها تنصح النسويات بألا يحاولن مواجهة عنف الطبيعة وعنف الرجال وسيطرة الأقوى على الأضعف ! تبرر للمغتصب اغتصابه بأنه يتصرف وفق (الطبيعة) وأن القيود المجتمعية والسلطة القانونية تحده وتقيد حريته ! كلام (كاميل باليا) يمتلىء في كتبها بهذه الفلسفة (أو النظرية) كما تشير إليها أحياناً، لكن عندما تقع جريمة قتل بالفعل من متربص بالشابات الجامعيات (كما سنرى فيما بعد) : فإنها تعود القهقرى وتتراجع إلى الخلف محاولة تبرئة ساحتها، وتنقلب ساعتها إلى تقمص دور الناصح الرؤوف بالمرأة : فتخبر الشابات أن يحترزن وينتبهن لأنفسهن ومن العيون التي قد تتصيدهن وتراقبهن !

تظل (باليا) نموذجاً فكرياً شاذاً في تكوينه، تهدم باطلاً بيد : ثم تبني باطلاً آخر باليد الأخرى مكانه ! هكذا رأيتُ شخصيتها من قراءة أعمالها، ولذلك رأيت أنه لا يجب تقديمها كمحاربة في وجه بعض الأفكار النسوية، وإنما هي نفسها تستحق تسليط الضوء عليها كنموذج على تخبط النسوية وتناقضها !

---

[1] من فصل (الجنس والعنف، أو الطبيعة والفن) Sex and Violence, or Nature and Art الفصل الأول من كتاب (أقنعة جنسية).

امرأة التناقضات – وأسلوب (حفظ ماء الوجه) !

لقد غرس الله بالفطرة في داخلنا : معرفة الفجور والتقوى، وهما أقصى طرفي الخير والشر اللذان لا يخطئهما أحد، وذلك بعكس التدرجات المتفاوتة بين هذين الطرفين والتي قد تختلف فيهما الآراء، والتي لا يبت فيها إلا الوحي والدين، لكن عند أمثال (باليا) : وعندما تتحدث بالحق أحياناً : فهو يكون من باب **حفظ ماء الوجه** أمام المصائب التي تجرها على المجتمع بآرائها الحقيقية، حيث يجبرها التزامها بـ (الحريات) التامة والروح (الليبرالية) و(الرأسمالية) على ما هو عكس ذلك الحق، فتنفيه في أحيان أخرى لتتنصل من لوازمه ونتائجه ومغباته، أو على الأقل تزعم ساعتها نسبيته.

فترى (باليا) مثلاً تطالب النساء بالاهتمام بجمالهن ومواطن الإثارة لديهن كإناث وسط الرجال، وفي نفس الوقت تطلب منهن التوقف والحزم في رفض العلاقات الجنسية في المواعدات الخاصة قبل وقوعها بدقائق. يعني تجيز للمرأة أن تسعى بكامل أنوثتها وزينتها وسط الرجال : ثم تنتظر منها أن تملك نفسها وترفض بقوة الشخصية !

ونجدها تدافع عن الإباحية، وتحارب بقسوة النسويات اللاتي يهاجمن السعار الإباحي في الغرب ويرون فيه امتهاناً للمرأة وإثارة غرائز الرجال للتحرش بها أو اغتصابها، ثم نجدها في موضع آخر تعترف بدور الإباحية في إشعال خيال الرجال وغرائزهم !

تشجع الشابات الجامعيات على الجرأة الجنسية والبذاءة القولية لمجاراة الشباب ومزاحهم الفاحش، ثم تطلب منهن عدم الانجراف بالذهاب لحفلات الشباب أو عدم السكر حتى الثمالة، وذلك حتى لا يتعرضن

للمواقعة أو الاغتصاب وهن غائبات عن الوعي، فيتسبب ذلك في مشاكل الحمل والإجهاض !

هذا بالنسبة للشابات الجامعيات، فماذا عن فتيات المدارس ؟ نجدها في دفاعها عن التعليم الجنسي للأطفال تنطلق من مبدأ ضرورة (**التدخل**) لتوعية الفتيات بمخاطر الحمل والإجهاض، وضرورة تعريفهن بأنهن الطرف الخاسر غالباً إذا استجبن لدعوات وإغراءات الفتيان والشباب !

بل وتنادي هنا وبشكل متوازي بضرورة (**التدخل**) لتعليم الفتيان الأخلاق ! وقد قمت بوضع كلمة (**التدخل**) بين قوسين لإظهار موافقتها على (**التدخل**) الخارجي لحماية الفتيات !

حيث لم يمثل مشكلة لها هنا (طالما كانت هي مصدره) لمحاولة حفظ ماء الوجه من مصائب الحمل والإجهاض التي تجتاح المدارس في أمريكا سنوياً، أما لو صدر نفس الأمر عن غيرها (سواء رجال أو نساء) من الدعوة للـ(**تدخل**) لحماية المرأة بشكل عام من أن تكون لعبة في أيدي المجتمع أو فريسة لبعض الرجال : فلا وألف لا ! تقول في مقالها عن التعليم الجنسي :

"**من العبث تجنب الواقع القاسي المتمثل في أن الذكور ليس لديهم ما يخسرونه من الممارسة المستمرة للجنس من أجل المتعة، على عكس الفتيات اللاتي يخاطرن بالحمل، وقد تتعرض خصوبتهن للخطر في المستقبل بسبب الأمراض. يحتاج الذكور إلى دروس في الأخلاق والحس الأخلاقي حول الجنس (على سبيل المثال، عدم استغلال المواعدات التي تشرب فيها الفتاة الخمر حتى يذهب عقلها)، بينما يجب أن تتعلم الفتيات التمييز بين الطواعية والخضوع الجنسي، وبين نيل الحظوة**

وتحقيق الشهرة".[١]

والسؤال : لماذا لم تذكر (باليا) هنا الطبيعة الوحشية واحترامها ؟ لماذا لم تنظر إلى ما يفعله الذكور هنا نظرة تفهم لاستغلالهم لشخصيتهم ومكمن القوة لديهم : في مقابل ضعف الفتيات وانجرافهن العاطفي ؟ إنه **أسلوب حفظ ماء الوجه** كما قلنا، وحتى لا يتم نسبة كل (مصائب) الفتيات والشابات إلى أمثالها من (النسويات المتحررات جنسياً) وما يتسببن فيه من بؤس ومعاناة ليس لنصف المجتمع فقط (النساء)، بل لملايين المواليد الذين سينتجون عن الزنا من غير زواج رسمي أو أب معروف !

هذه المآسي لو أنصف العاقل لتم إقصاء الداعين لها من المجتمع حفاظاً على سلامته النفسية وسلامة أجياله ![٢]

---

[١] من مقال (أعيدوا الجنس إلى التعليم الجنسي) Put The Sex Back in Sex ED. صحيفة التايم، ٢٤ مارس ٢٠١٤م.

[٢] لنتصور جانباً واحداً من تلك الفاجعة الأخلاقية، وبعيداً عن الإحصاءات عن مئات الآلاف من حالات الإجهاض (الرسمي) في أمريكا فقط وأكثرها لفتيات تحت ١٨ سنة : فهناك برنامج توك شو أمريكي شهير باسم (موري) Maury قدمه لأول مرة في تسعينيات القرن الماضي المذيع (موري بوفيتش) Maury Povich، البرنامج كان يعرض على الهواء مباشرة الجانب القبيح لثمار (الحرية الجنسية) علناً بلا استحياء، كان يعرض عشرات حالات حمل المراهقات Teenage pregnancy، والخيانة الزوجية Sexual infidelity، واختبار نسب الأبوة بالحمض النووي Paternity test DNA، وتجده يستضيف الفتاة أو الشابة مع طفلها وقد أتت بقرابة ٩ أو ١٤ شخصاً عاشرتهم بالزنا بدون زواج ! (أو بالخيانة الزوجية هكذا أمام ملايين المشاهدين) ليتم البحث عن مَن هو والد الطفل بتحليل DNA، ثم يظهر التحليل وتكون المفاجآت والصدمات والتوقعات، بل وقد يظهر أنه ولا أحد من الذين أتت بهم، وتخيلوا الصدمة النفسية (بل انهيار الشخصية) الذي يتعرض لها طفلها ساعتها.

وأما المفاجأة : فلنقرأ كلامها التالي عن رأيها الحقيقي في محاربة أي (تدخل) أو وصاية على المرأة لحمايتها .. تقول :

"حطمت الثورة الجنسية لجيلي في الستينيات الأعراف القديمة التي كانت ترى أن السيدات المحترمات يجب أن يَصُنَّ أنفسهن عن استخدام الكلمات البذيئة والفاحشة، وكانت إحدى مطالبنا هي وضع حد للمعايير المزدوجة التي تميز بين الرجال والنساء. لكن ما يزعجني في "عدائية" سياسة التعامل مع التحرش الجنسي هو أنها تعود بالنساء إلى تلك الكائنات الوردية الحساسة التي يجب حمايتها من اعتداءات الذكور المتوحشين، ألا يُعَد طلب معاملة خاصة للنساء مناهضةً للنسوية ؟

بالتأكيد هو كذلك".[١]

بل وماذا تقول (باليا) في النسويات اللاتي يرين أنه من العبث تضييع الوقت في قطع ذيل الثعبان، في حين العاقل سيسعى لقطع الرأس مباشرة ؟ (أي وقف الإباحية التي تناصرها باليا وهي رأس الفساد الجنسي في المجتمع).

---

[١] من مقال (القضية الغريبة لكلارنس توماس وأنيتا هيل) The Strange Case of Clarence Thomas and Anita Hill، صحيفة The Philadelphia Inquirer، ٢١ أكتوبر ١٩٩١م. وهو بخصوص قضية شهيرة أثارتها المحامية السمراء (أنيتا هيل) بدعوى التحرش اللفظي بها من المحامي والقاضي (كلارنس توماس) الذي كان مرشحاً للمحكمة العليا آنذاك، الغريب أن قضية التحرش أثيرت بعد قرابة ١٠ سنوات من الواقعة ! مما يشير إلى لعبة سياسية لتشويه (كلارنس) كعادة اللوبيات في أمريكا، وفي الوقت الذي احتفت فيه النسويات بـ (أنيتا هيل) هاجمت (باليا) المشهد بأكمله، واتهمت المحاكمة بالسطحية لأنها لم تستعرض موقف الإثنين معاً وقت الواقعة هل كان هناك ضحك ومزاح وتقارب وابتسام أم لا ؟ وهكذا. والموقف بأكمله يعكس أحد أوجه تناقضات الاتجاهات النسوية وتدخل السياسة فيها.

لقد علقت على موقفهن قائلة :

"عندما ظهرتُ على الساحة بعد صدور كتابي الأول في عام ١٩٩٠م، قمتُ بمهاجمة (دوركين) و(ماكينون) بكل ما أوتيتُ من قوة. أنا فخورة جداً بالدور الذي لعبته في الدفاع عن حرية التعبير ومساعدة الجناح النسوي المناصر للجنس في الظهور مرة أخرى، وانتصاره في النهاية على حملة (دوركين) و(ماكينون) والنسوية المُتشددة التي أرست قواعدها (غلوريا شتاينم). ومن ثَم فإن ارتداد النسوية المعاصرة إلى فرض الرقابة على الفكر والكلام أمرٌ مروع ومأساوي، يبدو أن النسويات الشابات لسن على دراية كافية بالمعارك الحاسمة التي خضناها وفزن بها منذ ربع قرن".[١]

"نسوية متشددة"...

هكذا تصف النسويات اللاتي يحاربن الإباحية، وفخورة بفوزها في تلك المعركة آنذاك (وعلى رأسها مقالها آنذاك في أشهر مجلة إباحية ! فهل كان مدفوع الأجر ؟)، بل وتصف كل مَن يعود من النسويات اليوم إلى الحديث عن أي وصاية لحماية المرأة بأنه (ردة نسوية) !

تقول (باليا) هذا الكلام، لكن عندما تريد التهرب من بعض تبعات مصائب الجامعة على الشابات : فلا تجد بداً من الترفق والتسامح مع الفتيات والطالبات الجامعيات اللاتي يخترن (العفة) منهن (**أسلوب حفظ**

---

(١) مقابلة بعنوان (مشكلة النسوية : كاميل باليا تقيم الوضع الشائك للنسوية المعاصرة) Feminist Trouble, Camille Paglia Assesses the Parlous State of Today's Feminism، أجرتها معها (إيلا ويلان)، مجلة Spiked Review، المملكة المتحدة، ديسمبر ٢٠١٥م.

ماء الوجه من جديد) ! وتتحجج في ذلك بأنه (اختيارهن الشخصي) ! وأن اختلافهن وشذوذهن عن السائد حولهن هو عين (النسوية الحقيقية) ! ويكأن الذي يقود الفكر النسوي في نظر (باليا) هو الشذوذ لمجرد الشذوذ ! أو الاختلاف لمجرد الاختلاف ! تقول :

"من المؤكد أن من بين وجهات النظر المنشقة الحالية حركة الامتناع عن ممارسة الجنس، كظاهرة بروتستانتية إنجيلية وكحُجة واردة في كتاب (ويندي شاليت) الأول "العودة إلى الحياء" الذي أحدث ضجةً كبيرةً عندما نُشر قبل تسع سنوات، ولكن يمكننا أن نرى تأثيره في أندية الحشمة داخل الحرم الجامعي اليوم، بما في ذلك جامعة هارفارد. وعلى الرغم من أنني محاربة نسوية قديمة مؤيدة للجنس وما زلت أؤيد استخدام المواد الإباحية والدعارة، إلا إنني أتقبل آراء جميع هؤلاء الشابات العفيفات اللائي يدافعن عن فرديتهن ويتحدين التفكير السائد والأعراف الاجتماعية، هذه هي النسوية الحقيقية" ! [١]

وهكذا نرى دفاعها عن (حرية الرأي) وثناً : تكون أول المنقلبين عليه عندما يتعارض مع ثوابتها (الإباحية والدعارة وحرية الجندر والخنوثة) ! ثم لا تلبث أن تعود فتصبغ كلامها رمادياً محايداً حتى لا تترك لأحدٍ فرصة الطعن في منطقها وتعارضه مع حرية الرأي !

وحتى لا أطيل عليكم في هذه النقطة من شخصيتها، سأختم بهذا الملمح حول موقفها من حرية (الإجهاض)، حيث تدافع عنه من منطلق مساندتها

---

[١] من كلمتها بعنوان (النسوية الماضي والحاضر: الأيديولوجيا والتطبيق والإصلاح) -Feminism Past and Present: Ideology, Action, and Reform مؤتمر "إرث النسوية ومستقبلها" – جامعة هارفارد – ١٠ أبريل ٢٠٠٨م. والتي تم نشرها في مجلة Arion ٢٠٠٨م.

لحرية المرأة في جسدها (**وهو من أسلوب حفظ ماء الوجه أيضاً لتخفيف تبعات الحرية الجنسية وما يتبعها غالباً من حمل غير مرغوب فيه قد يهدد دراستهن أو عملهن**)، لكن على الصعيد الآخر تحاول التحلي ببعض الحكمة في إظهار (تعاطفها) مع (جريمة قتل) هذا الجنين المسكين بأبشع قتلة (غالباً تكون بتقطيع أوصاله وأعضاء جسده لإخراجه من الرحم) ! تقول في رؤيتها للإجهاض الذي تعده تمرداً على الطبيعة :

" لذلك فأنا أتفق مع (ساد) بأن لدينا الحق في أن نخرق جبرية قانون التناسل الطبيعي من خلال الشذوذ الجنسي أو الإجهاض".[1]

لكن عندما تتحدث عن أرض الواقع وما يحمله الإجهاض بغير ضرورة من قتل نفس بريئة كان لها الحق في الحياة، وبدون أي ذنب إلا عبث أمها الجنسي، نراها تقوم هنا بالتخفيف من عبارتها لكي تظهر بمظهر الحقوقية التي تتسع مظلتها لتشمل هذا الجنين المسكين فتقول :

"تبين المقالات في هذا الكتاب موقفي المناهض للمؤسسة النسوية بما في ذلك رفضي حقيقة أن (أنيتا هيل) كانت بطلة نسوية؛ كما تبين هجومي على (كاثرين ماكينون) و(أندريا دوركين) كمثالين على الاستالينية المتعصبة؛ ودفاعي عن حقوق الإنجاب غير المقيد مع الاعتراف بالتفوق الأخلاقي للحجة المؤيدة للحياة في المناقشات حول الإجهاض".[2]

فرغم اعترافها بالتفوق (الأخلاقي) للحجة المؤيدة لحياة الجنين إلا إنها :

---

(1) من مقال (الجنس والعنف) كتاب (أقنعة جنسية) – مصدر سابق.

(2) من مقدمة كتابها (حرائر وأحرار) – مصدر سابق.

لا تلقي لها بالاً ! وأي (أخلاق) هذه عند ملحدة شاذة جنسياً تسعى للدفاع عن الرذيلة والفاحشة بين الناس ؟! وهي تعرف بقوة الحجة الأخلاقية والدينية لمنع قتل النفس بغير ضرورة ولا ذنب :

"المجال الآخر الذي أساءت فيه الحركة النسوية هو دورها في حملة حقوق الإجهاض عندما بدأت في الولايات المتحدة. أنا أؤيد عدم فرض قيود على خيار الإجهاض، وبصفتي عضواً في المنظمتين الرئيسيتين المؤيدتين للإجهاض القانوني في أمريكا، فإنني أشعر بقوة أنه لا يجوز لأحد التدخل في سيطرة المرأة على جسدها. ومع ذلك، أصبحت هذه القضية ملتهبة في الولايات المتحدة بسبب الحماقة التي تعاملت بها قادة النسويات مع الحجة المؤيدة للحياة، حيث صوروا بشكل زائف المؤيدين للحياة على أنهم "متعصبون" و"معادون للمرأة".

مرة أخرى، كان هناك عدم احترام غير مبرر تجاه القيم الدينية، والتي كانت في النهاية تقدم حجة أخلاقية مفادها أن الجنين هو فرد بشري كامل له الحق في الحياة"[١].

(السفسطة الفلسفية) تستر العيوب ! (فرويد) أنموذجا

تتميز (باليا) بقدرة كبيرة على (السفسطة الفلسفية)، تلك القدرة الفائقة على (الترميز) لكل ما هو جنسي أو إباحي أو فاحش أو بذيء، و(إسقاط) معاني غريبة وفجة على أشياء عادية مثل شكل الأعضاء

---

[١] من محاضرة (معركة الجنسين الحديثة) – مصدر سابق.

التناسلية للرجل والمرأة، ثم التكلف في ربط كل ذلك بفلسفة الحياة ! ورغبة الحياة ! وقصد الطبيعة (وكأن الطبيعة المادية تعي وتتصرف) !

والملاحظ أن هذا المسلك لم تكن فيه (بالي) رائدة، بل هو مسلك معروف لدى الكثير من المفكرين والمتفلسفين الذين عرفوا (قبل غيرهم) مدى رداءة أفكارهم، وشذوذها، وعدم منطقيتها، فلجأوا إلى سترها بغطاء من التفلسف والسفسطة والترميز والخيال والإسقاط.

وإني على يقين بتأثرها في ذلك المسلك بعالم النفس الشهير المهووس بالجنس والرمزية الموغلة في الافتراض والخيال : (سيجموند فرويد)[1] Sigmund Freud، حيث نطالع مثلاً في كتابها الأخير (حرائر وأحرار) تكرار الإشارة إليه قرابة ٣٢ مرة !

بل ويعد أحد انتقادات (باليا) للنسويات هو أنهن في مجال علم النفس لا يعطين (فرويد) حقه من القراءة المتأنية للاستفادة من أطروحاته ! وإني لأستحي حتى من اختيار أمثلة من كلام (باليا) الجنسي الفج والصريح

---

[1] (سيجموند فرويد) طبيب نمساوي يهودي الأصل (١٨٥٦م - ١٩٣٩م)، تخصص في دراسة الطب العصبي، ويعتبر مؤسس علم التحليل النفسي، وضع العديد من التبريرات النفسية للفساد الجنسي والأخلاقي، والذي كان بدأ الانتشار في عصره، تم تلقيبه بمؤسس علم النفس الحديث رغم فشل الكثير من أفكاره كما وضحه بعض تلامذته أنفسهم الذين تركوه. اشتهر (فرويد) بنظرياته عن العقل واللاوعي خاصة في تأثير الجنس على الشخصية والاعتلالات النفسية، ومن هنا كان اهتمامه الكبير بالرمزية ووضع السيناريوهات والافتراضات الخيالية لمحاولة تفسير اعتلالات مرضاه، تكلم أيضاً عن آليات الدفاع النفسي، وعن الرغبات اللاواعية ودورها في الأحلام، كما روج للنسبية الأخلاقية، واهتم بالممارسة السريرية في التحليل النفسي والحوار بين المريض والمحلل أو ترك المريض ليتحدث عن نفسه.

للتدليل على سخافة وسطحية رمزياتها وإسقاطاتها المضحكة، إذ ما يهمني هنا ليس مجرد الاقتباس والعرض والنقل وإنما : تقريب الفكرة للقارئ، لذلك... سأختار أمثلة معبرة من (فرويد) نفسه كنموذج على (السفسطة الفلسفية)، والرمزية المغرقة في الخيال والافتراضات بدون دليل.

نلاحظ مثلاً في كتابه : (**علم النفس المَرضي للحياة اليومية**) The Psychopathology of Everyday Life عام ١٩٠٤م والذي خصصه لتفسيراته النفسية للكثير من الهفوات العفوية التي تظهر في الحياة اليومية :

أنه ارتكب العديد من الأخطاء في تفسيراته الافتراضية، والتي لا زال يتعجب مُنها المختصون إلى اليوم (حتى اللادينيون منهم) ! مثل الناقد والمتشكك الفرنسي (رينيه بوميير) René Pommier الذي نشر كتاباً في عام ٢٠١٥م خصصه للرد على كتاب (فرويد) بنفس عنوانه : (**علم النفس المَرضي للحياة اليومية : عندما ينتقل فرويد من الصباح إلى المساء**) ! [1]

فمثلاً يزعم (فرويد) أن هفوة نسيان أسماء الأشخاص تدل على :

قمع (لا واعي) للمشاعر والدوافع تحت ضغط التربية الأخلاقية كالأنانية والغيرة والعداء والتيارات الجنسية المختلفة ! في حين أثبت العلم أن **نسبة النسيان تزيد مع ازدياد كبر السن ليس إلا** ! إذ لو صح أن النسيان هو نتيجة ضغط نفسي لكان النسيان في الشباب أكثر من كبار

---

(1) La « Psychopathologie de la vie quotidienne » Ou quand Freud déménage du matin au soir, Paris, Kimé, 2015.

السن بسبب صعوبات الحياة والتحديات التي في انتظارهم أو تواجههم، وهو عكس الحقيقة والواقع اللذان يشهدان بأن كبار السن هم الأكثر نسياناً.[١]

كما فسر (فرويد) إعطاءنا لصدقة أو مال للمتسولين بشكل أكبر من المفترض أو من المعتاد أحياناً : بأن ذلك يصدر عن (**اللا وعي**) منا في صورة **تضحية من أجل تذليل المصير/ أو الأقدار المستقبلية أو تفادي مصيبة !** وضرب مثلاً على ذلك بأم لديها طفلٌ مصابٌ بمرض خطير، فتؤمن بأن الله سينقذ طفلها إذا ما كانت سخية مع متسول. والرد هنا أن ذلك يحدث بالفعل، لكنه بكل تأكيد يكون عن (وعي) وليس عن (لا وعي) كما يزعم (فرويد) ![٢]

بل وحتى عندما أخطأ (فرويد) في إحدى المرات بكتابة (بوركارد) Burckhard بدلاً من (بوكرارد) Buckrhard في أحد مقالاته، فقد فسر ذلك في كتابه عن الهفوات بأنها كانت علامة **(لا واعية)** منه على **احتقاره لذلك الشخص !** في حين رد (رينيه بوميير) على ذلك بأنه من المعلوم أن الكلمات التي تتضمن أربعة أو أكثر من الحروف الساكنة المتتالية ليست سهلة التذكر، فيمكن هنا النسيان بسهولة أو قلب أماكن الحروف، بعكس النية في احتقار شخص ما حيث يكون ذلك مقصوداً بشكل واضح.[٣]

---

[١] ذكر (رينيه) ذلك في كتابه واستشهد بمقال في العدد ٣٠ من دورية الذاكرة واللغة :

What causes word finding failures in young and older adults ? Journal of Memory and Language, 30 : 542-579.

[٢] ذكرها وعلق عليها (رينيه بوميير) في كتابه ص ١٠٤.

[٣] المصدر السابق ص ٦٤.

وهذا بالفعل كان من أكبر الانتقادات الموجهة إلى تراث (فرويد) ومعظم استنتاجاته، حيث كان يقيس حالات خاصة بنفسه في خياله : على عموم الناس وبقية البشر بغير مسوغ ! تماماً كما استساغ تفسير نسيانه لحرف في اسم الرجل الذي يحتقره : فاتخذ من تفسيره الخاص ذلك منطلقاً لتفسير جميع مواقف النسيان المشابهة لدى بقية الناس، والتي لا سبيل حتى للتأكد (العلمي) منها لأنها بلا تجربة ولا توثيق !

بل وأوضح منتقدوه (بما فيهم كبار تلامذته الذين انشقوا عنه) أن أغلب استنتاجاته وافتراضاته الغريبة إنما بناها على الحالات المرضية التي لديها بالفعل اختلالات ومشاكل نفسية، فقام هو بتعميمها في نظرياته على بقية البشر متوقعاً بذلك انطباقها على الجميع بما فيهم الأسوياء أو الأصحاء !

(هل تذكرون الآن نقطة استثناء باليا نفسها من النقد وعدم وضعها في الاعتبار أن الخلل يمكن أن يكون منها لا من الناس ولا من معارضيها ومخالفيها في الرأي) ؟!

ولقد تعمدتُ ذكر أمثلة من الحياة العادية البسيطة عند (فرويد) لأترك لكم تخيل أنه : إذا كان قد امتلك مثل هذه الجرأة على الإسقاط والترميز الاعتباطي هو وأمثاله (ومنهم باليا) : في أشياء حياتية بسيطة مثل هذه ...

فما بالنا بالأشياء الجنسية أو ما لها علاقة بالجنس ؟!

كل مَن قرأ لـ (فرويد) سيدرك بكل سهولة أن (الجنس) يعد عنصراً أساسياً في أغلب أفكاره وتفسيراته واستنتاجاته النفسية.

وهو نفس ما نجده عند (كاميل باليا) عندما تتحدث عن الجنس أو الأعضاء التناسلية فتخترع نفس الإسقاطات الغريبة والفاحشة والفجة (حتى

في طريقة التبول وأوضاع استعراض المفاتن) فتضفي عليها معانٍ وترميزاتٍ لربطها بالطبيعة وبالشهوة الداخلية وبالعقد النفسية وبالحسد الجنسي وبعشرات الافتراضات التي لا يشعر الأصحاء والأسوياء منها بشيء ولا يفكرون فيها بمثل ما تفترض إلا في خيالها، ولعلها تتهرب عند مواجهتها بذلك مثل (فرويد) بأن الناس لا تشعر به لأنه في العقل (اللاواعي) ! أي أنه حسب منطقهم يمكننا اتهام الناس بأشنع الاتهامات والنوايا ثم نقول لهم أنتم لا تشعرون بذلك لأنه في (اللا وعي) بداخلكم !

واحدة من أشهر حالات الدراسة لـ (فرويد) كانت المريضة (دورا) Dora، وهو اسمها الوهمي المُستخدم في النشر الأكاديمي، واسمها الحقيقي (إيدا بوير) Ida Bauer (١٨٨٢م - ١٩٤٥م) والتي درس حالتها لمدة ١١ أسبوعاً في عام ١٩٠٠م، ثم نشر تفاصيلها لاحقاً.[1] كانت (دورا) مصابة بالهيستريا، وهي الاضطراب النفسي العصبي الذي يصاحبه أعراض اضطراب وانفعالات جسدية، حيث كان لديها نوع من السعال يقطع صوتها، كانت (دورا) ابنة لزوجين غير متحابين، وكانت تجلس أوقاتاً مع ثنائي آخر هما (فرو ك.) Frau K و (هيرر) Herr، حيث في إحدى المرات اتهمت (فرو ك.) بأنه تحرش بها جنسياً، مما دفعها إلى أن تصفعه على وجهه، ومع إنكار (فرو ك.) لذلك أتى بها والدها إلى (فرويد)... والذي نجح في البداية في إعادة صوتها إليها عندما طمأنها بأنه يصدقها، خاصةً بعدما أخبرته بأن والدها على علاقة بـ (هيرر)، وأنها تشعر كما لو كان قد تركها لـ (فرو ك.) في مقابل ذلك !

(1) Fragments of an Analysis of a Case of Hysteria 1905 [1901], Standard Edition Vol. 7, pp. 1–122.

لكن سرعان ما بدأت إسقاطات (فرويد) عملها للأسف على الفتاة المسكينة، إذ وصف حالتها بأنها حالة (**استمناء عقلي**) ! Mental masturbation، وأن (دورا) في الحقيقة كانت (**تتمنى**) أن يتحرش بها (فرو ك.) ! لكنها لصغر سنها لم تستطع التجاوب معه عندما تحرك تجاهها لأول مرة، **وهو ما نفته الفتاة تماماً**، لكنه اعتبر هذا النفي **علامة قبول في (اللا وعي)** ! مما انتهى بالفتاة لقطع جلسات العلاج وإعلان فشل الحالة. ومن الذين انتقدوا ادعاء وطريقة (فرويد) لاحقاً في تشخيصه لـ (دورا) أخصائي النفس د . (إريك إريكسون) Erik Erikson وكذلك بعض النسويات.[١]

إن ميل (فرويد) الكبير للإسقاطات الجنسية في حياته قد يمكننا فهمه في إطار خلل تربوي منذ الصغر (تماماً مثل باليا)، فعائلته كانت من اليهود (الحسيدية) من بولندا، وهم فئة ضالة من المتصوفة الذين يعتقدون بحلول الله في البشر، وكان جده لأمه بمنزلة (تساديك) عندهم، أي القائد الذي يحل فيه الإله بزعمهم !

ومثلهم مثل أي فئة حلولية ضالة تجدهم أكثر انغماساً وارتكاباً للمعاصي بحجة أن الإله متجسد معهم (فممَّ الخوف إذن ؟!) والحقيقة هذه عادة يهودية عند ضعفهم للتغلغل بها في المجتمعات عن طريق نشر الدعارة والبغاء، خصوصاً تلك البؤرة التي جاء منها (فرويد) وأمه (منطقة برودي في

---

(١) مثل النرويجية : أستاذة الدراسات الأدبية والرومانسية واللغة الإنجليزية (توريل موي) Toril Moi انظر (Gay, p. 761) ومثل الكاتبة الأمريكية (جانيت مالكولم) Janet Malcolm انظر (Malcolm, p. 73)، وبالنسبة لنقد الألماني الأمريكي (إريك إريكسون) Erik Erikson انظر (Gay, p. 686).

مدينة جاليشيا ببولندا وهي أكبر مورد للدعارة وتجارة الرقيق الأبيض في وقته)، ومع انتقال الكثير من اليهود إلى النمسا : انتقل معهم الفساد الجنسي والشهواني إلى هناك. هذا كان (الوسط) الذي اختمرت فيه أفكار (فرويد) عن الجنس والإسقاطات الجنسية... أي بهدف تسويغ الرغبات الـمُحرمة في المجتمع وقتها، والتقليل من الحساسية ضدها في تلك المرحلة الانتقالية بين : الالتزام الأخلاقي في عصر ما قبل النهضة الصناعية، وعصر الانفتاح على الشهوات الجنسية وشيوعها علناً !

لذلك نجد كتابات غريبة لـ (فرويد) عن الشهوة لدى الرضيع عند التقام ثدي أمه ! وعن اللذة في مرحلة تعلم قضاء الحاجة ! بل وقد بث في نظرياته أفكار الأساطير الإغريقية القديمة مثل عقدة (أوديب) Oedipus complex (وتشير إلى قتل الابن لأبيه ليظفر بأمه)، وعقدة (إليكترا) Electra complex (أي محبة الابنة لأبيها وغيرتها من أمها) !

والسؤال : هل يستشعر الشخص السوي ذي التربية السليمة والأسرة المتزنة أي شيء من هذه التفسيرات الاعتباطية ؟ والتي استغل فيها (فرويد) بعض التصرفات العادية ليخلع عليها هذه الاستنتاجات المختلة من خياله ورمزياته الشاذة ثم يعممها ؟! هذا بالضبط ما تشربته وفعلته (كاميل باليا) في كتاباتها الخاصة عن الجنس، وتأليف الإسقاط الخيالي لكل شيء فيه !

مكتبة
t.me/t_pdf

مَن شابه (فرويد) فما ظلم ؟

إن مَن يقرأ لـ (كاميل باليا) في المواضيع الجنسية والإسقاطات النفسية الغريبة والفجة : ليشعر وكأن (فرويد) هو (أباها الروحي) في ذلك إن صح

التعبير، خصوصاً مع كثرة ذكرها له وإشادتها به وبـ (علمه) و (تفكيره) ! فهل يصدق عليها أيضاً قول : "**مَن شابه أباه فما ظلم**" ؟!

إن الفجور والتقوى لا يجتمعان في إنسان واحد، لأنهما طرفان بعيدان في أقصى الخير والشر كما قلنا من قبل، نعم قد يجتمع في الإنسان خليط منهما فيحمل مثلاً الكثير من الشر (فاجراً) لكن لديه بعض الخير (وبهذا البعض يمكنه التحول يوماً ما إلى الكثير من الخير)، لكن يستحيل أن يجتمع طرفي النقيض معاً في شخص واحد (أقصى الشر مع أقصى الخير)، لذلك... فإنه بالنظر إلى ما ينادي به (فرويد) أو (باليا) من الفساد الأخلاقي والتفسخ الجنسي والإباحية والشذوذ (وهي من أقصى الفجور) : فلا يتوقع عاقل من أحدهما (على الجانب الشخصي) أن يكون إنساناً (صالحاً تقياً) مثلاً !

وبالعودة إلى (فرويد) كمثال (مع اعتداد باليا به) : فقد كان استغلالياً في حياته، حيث جذب إليه مثلاً (كارل يونغ) Carl Jung ليضمن بذلك واجهة (مسيحية) لترويج مدرسته التحليلية عوضاً عن واجهته (اليهودية) المثيرة للشك، حيث كان والد (يونغ) قسيساً مرموقاً في الكنيسة الإنجيلية بسويسرا، لكن لم يشفع له ذلك عندما عارضه (يونغ) فيما بعد وانشق عنه بمدرسته التحليلية الخاصة به، فرغم اتفاقه معه في بعض الآراء التشخيصية، إلا إنه كان لا يوافقه على **(مركزية الجنس)** التي يزعمها في الطفولة المبكرة، ولا حتى في (رمزيته) التي يفسر بها الأحلام وفق (أفكار مسبقة) وليس وفق معرفة حالة الشخص وظروفه الحالية التي يمر بها.

مشكلة (فرويد) هنا أنه ينقلب بالتشويه على كل مَن لا يوافقه أرائه، فيصفه بأقذع الألفاظ، ويُقلّب المجتمع العلمي عليه (نفس ما فعلته باليا مع معارضيها)، فعلها (فرويد) مع (يونغ)، كما فعلها مع (ألفريد أدلر)

Alfred Adler كذلك، هذا بخلاف تشجيعه على (الكوكايين) كعلاج للنفس والأعصاب ! حيث كان **يتعاطاه بنفسه** ويوصي به **رغم أضراره وإدمانه** (تماماً كما تفعل باليا مع الإباحية والإجهاض وغيرهما رغم أضرارهم)، وهو ما أثر على سمعته عندما تم اكتشافه [1]، فتوقف عن ذكر الكوكايين، لكنه لم يتوقف عن تعاطيه إلا في عام ١٨٩٦م[2].

أيضاً قصص خيانته لزوجته مع شقيقتها ! وتلقيه رشوةً من امرأةٍ لينصح عشيقها (نفسياً) بترك زوجته !

وأختم هنا باعتراف ثمين من مترجم كتاب (أقنعة جنسية) إلى اللغة العربية - الأستاذ (ربيع وهبه) - حيث بدأ حياته كمختص نفسي، فنراه يصف كتاب (باليا) بأنه : "**سِفرٌ جليلٌ يستحق تأملاً وتدبراً في محتواه**" (انظر : أقنعة جنسية، مقدمة المترجم ص ٩). فيقول مثنياً على كتابها بحس علماني لا تخطئه العين في الصفحة التي تليها :

"ويُمثل هذا الكتاب –كما أرى – محاولة جادة لرد الاعتبار إلى المرأة ودورها وحقيقة كيانها، لا بوصفها نصف المجتمع، أو بوصفها أهلاً للمساواة بالرجل، إلى آخر هذه الكليشيهات السطحية والمبتذلة، التي لا يمل البعض من ترديدها. بل تكمن جدية نظرة الكتاب إلى المرأة هنا بوصفها "الكيان الأصل". فمثلما أن الطبيعة هي الأصل، كذلك كانت

---

(1) Thornton, Elizabeth. Freud and Cocaine: The Freudian Fallacy. London: Blond and Briggs, 1983, pp. 45–46.

(2) Masson, Jeffrey M. (ed.) The Complete Letters of Sigmund Freud to Wilhelm Fliess, 1887–1904. Harvard University Press, 1985, pp. 49, 106, 126, 127, 132, 201.

المرأة هي الأصل. ومثلما لم تستطع الديانات السماوية "بجلالة قدرها" أن تمحو الأصل الذي يخرج من رحم الطبيعة، كذلك خاب سعي الرجل في السيطرة على المرأة صاحبة الرحم بتجلياته الرمزية : المظلم، والكثيف، والمخيف، والحنون، هذا ما تريد الكاتبة أن تجعلنا نخلص إليه، معتمدة على تحليل نفسي رائع لأهم كُتَّاب وفناني الثقافة الغربية الرئيسيين، من مختلف عصورها، سواء الكلاسيكية أو الرومانسية، أو الحديثة". (انظر نفس المقدمة ص ١٠).

فهذا الهائم بهذا "**السفر الجليل**" و "**التحليل النفسي الرائع**" للمؤلفة، لم يملك نفسه من الاعتراف بعد كلامه السابق (بل وفي نفس الصفحة) بالمبالغة في (الرمزية الاعتباطية) التي تبني عليها (باليا) استنتاجاتها (الغريبة) عن المرأة والطبيعة والرجل ! فيقول محاولاً استباق نقد العقلاء لغرابة الإسقاطات التي يمتلئ بها الكتاب :

"**هكذا تطيل الكاتبة وتمعن في التحليل، وفي أحيانٍ كثيرة بنوع من ليّ ذراع النصوص والدلالات؛ كي تساوي بين الرجل والثقافة والإنجاز، وبين المرأة والطبيعة**" (ص ١٠ من نفس المقدمة).

ولقد تركتُ كل ما كتبته (باليا) من إشارات جنسية فجة خادشة للحياء دون أن أتعرض إليه في هذا الكتاب، فلستُ مع هذا الاتجاه الذي يتخطى حاجز الحياء بغير ضرورة، حيث يمكن للباحث أو المتخصص أو من أراد الاطلاع على كتاباتها تلك أن يقرأ ترجمة كتابها (أقنعة جنسية) الذي أشرتُ إليه آنفاً، وإليكم عينة فقط (أخف شيء وجدته في كلامها) لنقف على شطحات الترميز والإسقاطات غير المحسوبة لديها إذ تقول :

"يمكن أن تكون الأمهات خطراً قاتلًا على أبنائهن. لقد قام الرجال ببناء صرحهم الشاهق من سياسة وعقيدة سماوية فقط من أجل الوقوف أمام الأم. إنها (ميدوسا)[1] التي رأى فيها (فرويد) العانة الأنثوية المخصية والخاصية. لكن شَعر (ميدوسا) الذي تحول إلى أفاعي هو أيضاً تمثيل لنمو الطبيعة النباتية، وإن وجهها البشع تعبير عن خوف الرجال من ضحك المرأة. إن مَن تمنح الحياة هي نفسها التي تعوق الطريق إلى الحرية. لذلك فأنا أتفق مع (ساد) بأن لدينا الحق في أن نخرق جبرية قانون التناسل الطبيعي من خلال السدومية [أي الشذوذ الجنسي] **أو الإجهاض، وقد يكون الشذوذ الجنسي للذكور أكثر المحاولات شراسة للتهرب من فتنة الإناث وإلحاق الهزيمة بالطبيعة".**[2]

فكما نرى : يتميز هذا النوع من (**السفسطة الفلسفية**) بأنه يعطي (مَرضى التعالم) عبارات رنانة تصلح للاقتباسات والتعليق على جدران الحائط، أو للنشر مع صور معبرة على الإنترنت أو في صفحات التواصل الاجتماعي ! إنها عبارات توحي بعمق (زائف) في معنى لا علاقة له بالواقع ! معنى لم يخطر ببال الأسوياء من الرجال ولا النساء ! معنى يجذب إليه (مريدين) يحملونه بجهل فيما بعد ويناضلون من أجله للأسف ! معنى يناضلون من أجل عباراته الرنانة (لكن الخادعة والفارغة) مثل :

---

(١) في الأساطير الإغريقية الوثنية كانت (ميدوسا) Medusa فتاةً جميلة، غير أنها مارست الجنس مع إله البحر (بوسيدون) في معبد الآلهة (آثينا)، وهو ما أغضب (آثينا) منها، فقامت بتحويلها إلى امرأة بشعة المظهر، كما حولت شعرها إلى ثعابين، وجعلت كل مَن ينظر إلى عينيها يتحول إلى حجر.

(٢) من مقال (الجنس والعنف) كتاب (أقنعة جنسية) — مصدر سابق.

- "لقد قام الرجال ببناء صرحهم الشاهق من سياسة وعقيدة سماوية فقط من أجل الوقوف أمام الأم" !

- "إن وجه (ميدوسا) البشع تعبير عن خوف الرجال من ضحك المرأة" !

- "إن مَن تمنح الحياة هي نفسها التي تعوق الطريق إلى الحرية" !

- "لدينا الحق في أن نخرق جبرية قانون التناسل الطبيعي من خلال الشذوذ الجنسي أو الإجهاض".

(كاميل باليا) والجمال

وفي نهاية هذا الفصل عن شخصية (باليا)، فأشير إلى نقطة أجادت في كثير من طرحها فيها وهي نقطة (الجمال)، ولعل سبب إجادتها في بعض ما طرحته فيها يعود إلى انجذابها إلى كل عنصر (قوة) في المرأة، بما في ذلك (قوة الشخصية)، لذلك نراها تثني في أكثر من موضع في كتاباتها ولقاءاتها على المرأة القروية أو المرأة كبيرة السن التي لا تخجل من مظاهر العمر وتجاعيد الزمن (ولما تتميز به من مكانة وحكمة بين مجتمعها) بل وكذلك خبرة الحياة والحب، فليس كل عناصر الجذب الأنثوي تتمركز في جمال الجسد.

لذلك نجدها تشير إلى دور المعلمين في توعية الطالبات بذلك للحد من تأثير ما يشاهدنه حولهن من صور مبالغ فيها للجمال الجسدي بمقاييس خاصة (حيث ترى باليا من استعراض فن التصوير لجسد الأنثى عبر التاريخ أن معايير الجمال تتغير من زمن إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى والعين هي التي

تعتاد ذلك أو ذاك) فتقول :

" تتضح أهمية هذا بشكل خاص في تصوير نمط جسد الأنثى في الإعلانات ومجلات المشاهير. فمنذ ظهور النوادي الرياضية المختلطة في الثمانينيات، قُدِّمت للفتيات من الطبقة المتوسطة البيضاء صورة وهمية للفتاة التي تهتم بالتمارين الرياضية ولها جسد نحيف. وفي التسعينيات من القرن الماضي، تسبب ظهور الأبطال الخارقين في ألعاب الفيديو المتحركة بتسارع الفتيات إلى موضة تكبير الثدي. وهكذا، فعلى مدى العقد الماضي، برزت صورة مختلطة وغريبة وربما مستحيلة : وهي موضة الجسد الأنثوي النحيف والأنيق مع ارتداء ملابس علوية قصيرة تكشف الخصر النحيف المشدود، لكن مع الثدي الكبير.

يصعب الحفاظ على هذه الصورة الوهمية خلال سنوات المراهقة الهرمونية، لكن فرضُها على النساء الأكبر سناً يتطلب نظاماً مهووساً بالتمرينات والنظام الغذائي، بالإضافة إلى جراحات تجميلية مكلفة لشفط الدهون". [١]

كذلك لها مقال جيد عن **(عمليات التجميل)** الحديثة [٢] خاصة حقن البوتكس التي تصيب عضلات الوجه بالشلل لتبدو مشدودة يانعة، لكنها في نفس الوقت تحد من ظهور تعبيرات الوجه (خاصة للمثلين والممثلات

---

[١] من مقال (المرآة القاسية: نوع الجسد وصورته كما ينعكسان في الفن) The Cruel Mirror: Body Type and Body Image as Reflected in Art، Art Documentation, vol. 23, no. 2, Fall 2004.

[٢] مقال (المخاطر الخفية لجراحات التجميل) Harper's Bazaar, May 2005.

كبيري السن)، كما أنها تشير إلى تمييز جنسي كبير (لأن أغلب مَن يقم بها هن النساء، ثم القليل من الرجال)، وهي تذكر كذلك كيف انتشرت هذه العمليات حتى بين الناس العاديين بعد أن كانت خاصة بالممثلات والمشاهير، وهي لا ترفضها تماماً (رغم أنها لم تقم بأي منها لأن ذلك قد يتنافى مع كونها أستاذة جامعية ومفكرة – حسب رأيها – !)، لكنها ترفض أن تكون كلها بنمط واحد أو متشابه كأنها (دمى صناعية) ! وتطالب بمحاولة إظهار لمحة من شخصية كل إنسان فيها. (ونحن نراها تغييراً في خلق الله لغير ضرورة) فجمال كل شخص يصنعه ذاته واختلافه.

ومثل هذا المقال ومقالها **(عن الإجهاض)** [١] يستحقان النشر منفردين رغم مواقفها المتناقضة، فهي مثلاً تدعم الإجهاض كحق للأنثى في التمرد على الطبيعة التي ترغمها على الحمل، ثم تحاول **حفظ ماء الوجه** بذكر الأفضلية الأخلاقية والدينية التي تحترم حق حياة الجنين الحي ! بل وتذكر فيه تناقضات الليبراليين والديموقراطيين الذين يُعادون الإعدام ويؤيدون النباتيين في عدم قتل الحيوان، ثم يهاجمون بكل شراسة مَن يدافع عن حق الجنين !

أكتفي بهذا القدر من استعراض عددٍ من جوانب شخصية (كاميل باليا)، لأن باقي الجوانب سيأتي عرضه في سياقات أكثر تفصيلاً للوقوف عليها، وللتعليق حولها بصورة أفضل.

---

[١] مقالها (عن الإجهاض) On Abortion، على موقع Salon.com بتاريخ ٧ إبريل ٢٠١٦م. وربما نقوم بنشر مثل تلك المقالات منفردة في سلسلة (كراسات فكرية) التابعة لمركز دلائل.

نساء ضد النساء

لا شك في أن أهواء الناس تختلف (رجالاً أو نساءً)، وكذلك عقولهم وتفكيرهم واجتهاداتهم، فلا يكاد يتفقون، فإذا أضفنا إلى ذلك اختلاف الباطل نفسه واحتوائه على (دحض ذاتي) لجميع أطروحاته، سنفهم أحد أسباب تضارب واختلاف العديد من الاتجاهات النسوية في العالم.

فبدلاً من الالتزام بما شرعه خالق الرجل والمرأة الأعلم بالأفضل لهما : فإن النسوية الحديثة سعت في كل اتجاه لنيل ما تراه (حقوقاً لها)، لكن هذه الحقوق تتعارض عندهن، فالتي تريد حرية التفسخ الجنسي : تقابلها المحترمة التي ترى مكانتها في عفتها، وفي عقلها لا جسدها، وقيمتها في كونها مصونة غير مبتذلة لكل مَن هب ودب، وفي حين ترى بعض النسويات قدسية الخروج للعمل للاعتماد على النفس والمساواة بالرجال : يرى البعض الآخر مكانهن الأصلي في البيت وأن الخروج هو العارض الذي يمكن أن يكون لضرورة أو في حالات التميز في مجالات معينة بشروط مخصصة لحمايتها خارج بيتها، وفي حين ترى بعضهن حرية الإجهاض : ترى الأخريات أنه جريمة، وفي الوقت الذي تقدس فيه بعضهن حياتها الزوجية والإخلاص للزوج : ترى الأخريات ذلك تخلفاً واستحواذاً من الزوج على المرأة ! وفي الوقت الذي ترى فيه نسويات جسد المرأة (قوة جنسية) بيدها لتطويع الرجال والتأثير عليهم بالتعري والتكشف بحجة (الحرية الشخصية) : ترى الأخريات ذلك ضرراً على المحترمات وأزواجهن وأسرهن !

وهكذا لا تنتهي الاختلافات وموقف (النساء ضد النساء) بعيداً عن

الدين الصحيح والشرع القويم، وقد نعذر بعض الغربيات في ذلك التخبط نتيجة قصور كتبهم المحرفة عن بيان شرع الله لهم، بل ونقصان ما في تلك الكتب في باب الحقوق التفصيلية للمرأة أو للنساء بما يواكب متطلبات الحياة على أرض الواقع، لكن كيف نعذر (المسلمات) في ذلك للأسف ؟! كيف وديننا لم يترك حقاً لهن إلا وعظّمه وذكره وحث عليه ؟!

سنتعرض في فصل قادم لبعض حقوق المرأة في الإسلام، أما الآن فدعونا نقف على بعض هذه الاختلافات من كلام (باليا) نفسها :

"ما إن تأسست المنظمة الوطنية للمرأة حتى نشبت الخلافات والانقسامات الداخلية، الأمر الذي دفع (بيتي فريدان) إلى الخروج من المنظمة التي شاركتْ في تأسيسها. كانت هناك صدامات كثيرة بين : النساء الأصغر سناً والأكثر تشدداً النافرات من التحيز الجنسي لدى أقرانهن من الرجال المتطرفين في الحركة المناهضة للحرب، وبين : النساء المتزوجات من جيل (فريدان) اللاتي كن في الغالب غير مؤيدات للشذوذ الجنسي. تماماً مثلما خشي ناشطو حركة (حق الانتخاب) في القرن التاسع عشر من أن تؤدي القضايا الجنسية إلى عرقلة الحركة، شعرت (فريدان) أن الشاذات جنسياً المتشددات (أو "التهديد الأرجواني"، على حد تعبيرها) من شأنهن أن يدفعن نساء الحركة بعيداً عن أهداف النسوية". [١]

هذا مثال واحد من أمثلة نسوية موجودة ولن يتوقف إفرازها في كل يوم، حيث مع استمرار مصادمة بعضهن للفطرة ولتعاليم الأديان، ستنزعج حتماً

---

(١) من كلمة (النسوية الماضي والحاضر) - مصدر سابق.

المرأة المستقرة عاطفياً مع زوجها : من دعوة غيرها إلى الشذوذ الجنسي ! المشكلة هنا أن بعض النسويات الكارهات للشذوذ : لن يستطعن الدفاع عن ذلك إذا رفعن شعارات (الحرية) التامة بلا قيود ! سواء حرية الإنسان في اختيار الجندر (أو جنسه الاجتماعي)، أو حريته حتى في الزواج من كلب أو خنزير ! ففي باب (الحريات) غير المشروطة : لا استثناءات !

وقد تكون الاختلافات على مستوى أعمق يتعلق بوضع المرأة نفسه في المجتمع، فمثلاً بعدما كانت تتمتع بمكانة أسرية ومجتمعية خاصة يحوطها فيها الجميع بالرعاية والحماية والنفقة (من الأب إلى الأخ إلى الزوج إلى الابن) : فاليوم صارت أولى المتضررات من دعاوى تجريدها من تلك المكانة بزعم المساواة ! وبدعاوى قدرتها على العيش بمثل الرجال في كد وتعب دون النظر لطبيعتها العاطفية والنفسية ! مع تقديم نماذج (مشوهة) أو (غير كاملة الصورة) لنساء حققن تفوقاً وامتيازات في مجالات العمل الخاصة بالرجال.

تحكي لنا (باليا) — وبكل فخر– قصة مشاركتها في سحب هذه المكانة للأسف من الشابات والنساء فتقول (وكأنها سيرة نضال) :

"ليس لدى معظم النسويات في الخارج فكرة واضحة عن الطريقة التي انحرفت بها النسوية الأمريكية، وانجرفت إلى الاستبداد بعد نجاحاتها المبكرة في أواخر الستينيات. إن ما يُطلق عليه (مُعاداة النسوية) اليوم كان بالفعل تمرداً قام به المتمردون أمثالي من أنصار المساواة بين الجنسين... أي إننا نعتقد أن المساواة بين الجنسين أمام القانون هي فقط التي ستضمن تقدم المرأة. ونحن نعارض بشدة جميع أشكال الحماية الخاصة للنساء (كما هو الحال في التشريعات المناهضة للمواد الإباحية) ومعاملة المرأة كطفلة. هذه أطروحة قديمة داخل النسوية، فعلى سبيل

المثال شجعت (سوزان ب. أنتوني) حركة الاعتدال (التي طالبت بحظر البيع العلني للكحول لأن الرجال السكارى يهدرون كل أموالهم على الشراب ويعرضون النساء للخطر)، وبالتالي فقد أيدتْ التطفل المتشدد للدولة على الحياة الخاصة".(١)

فانظروا كيف تحارب النسويات (المتحررات) مثل (باليا) كل أوجه الوصايا (حتى الخمر) رغم شكوى (نسويات أخريات) من خطورتها عليهن من أفعال واعتداءات أزواجهن السكارى، فضلاً عن تضييع أموال الأسرة ! لكن عندما تصير المشكلة عامة وسيتم تحميل النسويات (المتحررات) المسؤولية الأكبر نتيجة ترويجهن للتفسخ الجنسي والإباحي في المجتمع (مثل حمل وإجهاض فتيات المدارس) : فساعتها لا ضير من القليل من أسلوب (**حفظ ماء الوجه**) الذي تحدثنا عنه سابقاً، والمطالبة بـ (تدخل) خارجي (لتوعية) و(حماية) الفتيات، ولرفع الوعي (الأخلاقي) عند الذكور !

وإليكم مثالاً آخر على أسلوب حفظ ماء الوجه، وادعاء الحيادية، واحترام مخاوف النساء (وهو الشيء المزاجي للأسف بلا أي قاعدة ثابتة عند أمثال باليا)، والذي سيتعلق هذه المرة بمخاوف (**التحاق النساء بالخدمة العسكرية مع الرجال**) وخطر ذلك عليهن نفسياً وجنسياً(٢)،

---

(١) من مقال (الحالة الراهنة للدراسات الجندرية الأمريكية) American Gender Studies Today استبيان مجلة (النساء) Women والذي استطلعت فيه آراء أربع ناقدات نسويات من مختلف التيارات حول مدى جودة وأهمية الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الجندرية، وتم النشر في ندوة (مجلة المرأة : مراجعة ثقافية – المملكة المتحدة، العدد ١٠، ٢، ١٩٩٩م).

(٢) رغم التكتم الإعلامي الرسمي على أعداد الاعتداءات الجنسية في جيوش العالم (وفي الجيش الأمريكي على الأخص) والتي تبدأ من اللمس والتحرش إلى الاغتصاب، إلا

وكذلك مخاوف (**بناء مراحيض عامة للجنسين**) ! وسأنقل إليكم الفقرة كاملة لفهم السياق .. حيث تقول (باليا) :

"الحدث الثاني الأبرز كان إنشاء (فيليس شلافلي) – وهي محامية وناشطة جمهورية وأم لستة أطفال – لمنظمة (أوقفوا ERA) STOP ERA، وهي منظمة عملت على إيقاف (تعديل المساواة في الحقوق ERA) الذي كان يشق طريقه ببطء خلال الهيئات التشريعية بالولاية. كانت هذه لحظة فاصلة في السياسة الأمريكية، لأن منظمة (شلافلي) على مستوى القاعدة الشعبية كانت حجر الأساس لإحياء الاتجاه المحافظ في المستقبل. قام زعماء النسويات – الواقعات في تيه الأيديولوجية الدوغمائية – بتهديد وشيطنة (شلافلي) دون النظر إلى المخاوف التي أثارتها، مثل مسألة التحاق النساء بالخدمة العسكرية، أو ما إذا كان سيتم بناء مراحيض عامة للجنسين. وبعد صراع دام عشر

أنه في ١٧ نوفمبر ٢٠١٧م ولأول مرة يعلن البنتاجون الأمريكي أعداداً رسمية للاعتداءات الجنسية حسب العام والمكان، والتي أكدت تزايدها في الأعوام الأخيرة لتصل إلى ٦١٥٣ اعتداء في ٢٠١٦م، مع تأكيد التقرير على أنه قبل ٢٠١٤م كان عدد البلاغات ١٥% فقط من عددها الفعلي، ومع التشجيع الرسمي على الإبلاغ وطمأنة المبلغين على أمنهم ووظيفتهم وصل عدد البلاغات في ٢٠١٥م إلى ٢٥%، ثم قفز في ٢٠١٦ إلى ٣٢% من حجم الاعتداءات الحقيقية، وهو ما يشير إلى أن حجم الاعتداءات الحقيقية تقريباً في ٢٠١٦م هو ١٩٢٢٨ حالة حسب موظفي برنامج SAPR المختص في رصد الاعتداءات الجنسية، ويمكن مطالعة التفاصيل بالبحث في الإنترنت بدلالة العناوين التالية :

Sexual assault reports in military have sharply increased since 2013. Pentagon releases sexual assault data for all its installations for the first time.

سنوات، فشل (تعديل المساواة في الحقوق ERA) في عام ١٩٨٢م في تجاوز العدد المطلوب من الولايات لاكتساب الشرعية القانونية، ثم انتهى الأمر. لكن هذه الهزيمة لم تحفز سياسة التحليل الذاتي بين النسويات، بل على العكس من ذلك، فقد تمسكن بمواقفهن المعارضة. إن النسويات الآن لا يرون في العالم إلا صنفين : نسويين .. ومعادين للنسوية".[١]

بالطبع هذه حالة مثالية لتجسيد تعارض (المطالب) أو (المصالح) بين النساء والنساء، أعني هنا السجال الأمريكي الذي دار حول إقرار (تعديل المساواة في الحقوق) Equal Rights Amendment أو ERA، والذي تم تقديم نسخته الأولى في الكونجرس عام ١٩٢٣م، حيث بدأ كمطالبات للمساواة في الحقوق القانونية للمواطنين الأمريكيين بغض النظر عن جنس الرجال أو النساء. وبما يشمل إنهاء أي تمييز قانوني بينهما في مسائل مثل الطلاق والملكية والتوظيف ونحو ذلك !

وهو أمرٌ مصادم للطبيعة (أي المساواة التامة)، بل وللفطرة التي تؤكد على الاختلاف (الجسدي والنفسي والعاطفي) بين الرجل والمرأة، لذلك نرى في ديننا الإسلام (الدين الخاتم الذي يحمل أصول الشرع الكامل لجميع البشر) تحقيق (**العدل**) بين الرجال والنساء... وليس (**المساواة**).

(**العدل**) هو أن تراعي الفروق الفردية أو فروق النوع ولا تتخطاها بدعوى (**المساواة**) ! لأن فعلك هنا سيكون هو عين (**الظلم**)، فأنت إذا لديك ثلاثة أبناء مختلفي الحجم والطول وربما الجنس، فمن غير المنطقي أبداً أن تشتري لهم جميعاً نفس القميص بنفس المقاس بدعوى المساواة بينهم !

---

[١] من كلمة (النسوية الماضي والحاضر) – مصدر سابق.

ومَن يستوعب مثل هذه الفروقات ستنحل لديه الكثير من الإشكالات.

وهكذا الوضع أيضاً بين الرجال والنساء في دين الله، إذ كما فرَّق الله بينهما في الجسم والتكوين، فقد فرَّق بينهما أيضاً في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، وجعل كل ذلك متوافقاً مع طبيعة خلقة كلٍ منهما، فلا يشعر أحدهما بالراحة الفطرية والنفسية : إلا عند موافقته وعمله بشرع الله.

إذن...

ماذا وقع مع نوعية مطالب النساء في (تعديل المساواة في الحقوق) ERA ؟

لقد تطورت المطالب بمرور الوقت منذ ١٩٢٣م : إلى وقت إقرارها لأول مرة في مجلس النواب الأمريكي عام ١٩٧١م. حيث كان الصراع محتدماً بين النساء من فئات المجتمع المتوسطة (**اللاتي يبحثن عن المساواة بالرجال في الحقوق**)، وبين النساء العاملات أنفسهن اللاتي كن (**يرفضن هذه المساواة التي لن تراعي طبيعتهن كنساء**) وذلك إذا ساوتهن بالرجال من حيث مقدار الجهد ووقت العمل ونحوه !

أضف إلى ذلك التطرف الذي وصلت إليه مطالب (**المساواة**) مما أقلق كل زوجة مخلصة وكل أم عطوف، إذ أن (**المساواة التامة**) تعني في هذه الحالة فقدان مكانتها الاجتماعية كزوجة وأم التي أشرنا إليها منذ قليل (**ومنها الوصاية والحماية والنفقة وهي مُعززة مُكرمة في بيتها**).

كل ذلك رأت فيه النساء العاقلات خطراً داهماً على طبيعة المرأة (لنا أن نتخيل حلم الكثير من النساء العاملات اليوم عند سؤالهن عن أمنياتهن الخاصة فتجدها : الراحة في البيت وقضاء وقت أكبر مع أبنائها أو زوجها

دون الاضطرار للكد والخروج يومياً) وهو ما توقعه عاقلات النساء منهن.

هذا بالطبع بجانب المخاطر الجنسية من التحرش والاغتصاب التي من المؤكد تعرض النساء لها إذا تمت الموافقة على انخراطهن في الجيش ونحوه مما سبق الإشارة إليه، ومن هنا كانت القوة الدافعة التي كَتبت لمجهودات (فيليس شلافلي) النجاح في حركتها المعارضة لـ (تعديل المساواة في الحقوق) وقتها.

حيث كان من المفترض التصديق النهائي عليه في ١٩٧٩م، لكن رغم موافقات حزبية عديدة ونقابية : لم يتمكنوا إلى اليوم من اعتماده إلا بصورة منقوصة في عدة ولايات فقط منذ ٢٠١٧م (ولاية نيفادا)، و ٢٠١٨م (ولاية إلينوي)، و ٢٠٢٠م (ولاية فرجينيا بشكل مضطرب)، فإلى اللحظة لا زال الجدل قائماً، خاصةً مع ظهور الموجة النسوية الرابعة منذ ٢٠١٢م، وكذلك ظهور حركة (**وأنا أيضاً**)[١] Me Too منذ ٢٠١٧م، والتي شارك فيها العديد من النساء حول العالم في إعلان تعرضهن للاعتداء أو للتحرش الجنسي أو الاغتصاب في العمل وغيره، وعلى رأسهن مشاهير الفنانات والممثلات في العالم من هوليود غرباً Hollywood (أمريكا) إلى بوليود شرقاً Bollywood (الهند) !

---

[١] حركة (وأنا أيضاً) انتشرت في صورة الهاشتاج : Me Too# وذلك على وسائل التواصل الاجتماعي (خاصة تويتر) منذ أكتوبر عام ٢٠١٧م، عندما بدأ الإدانة والاستنكار العلني من مجموعة نساء وممثلات تعرضن للتحرشات والاعتداءات الجنسية لمنتج أفلام هوليوود الشهير : (هارفي واينستين) Harvey Weinstein، ويعود استخدام التعبير نفسه (وأنا أيضاً) في هذا السياق إلى الناشطة (تارانا بيرك) في ٢٠٠٦م، ثم لاقى انتشاراً كبيراً وسريعاً بعدما استخدمته الممثلة (أليسا ميلانو)، وصار مع الوقت ملاذاً إعلامياً وحقوقياً للكثير من النساء للحديث عن الانتهاكات والسلوك الجنسي المسيء لهن من الرجال في العمل وغيره.

ولعل تعليق اعتماد (تعديل المساواة في الحقوق) إلى اليوم يعطينا صورةً حول كيفية تدخل السياسة كلاعب محوري في معظم القضايا النسوية، ففي العالم الغربي (وأمريكا بصورة أبرز) تتحكم اللوبيات (جمع لوبي Lobby أو جماعات الضغط ومراكز القوى) في نجاح أو فشل الكثير من السياسيين أو الرؤساء في الانتخابات وغيرها من شؤون البلاد (أي ليس المصلحة العامة هي المؤثر في اختيارهم كما يظن الغارقون في تقديس الأنظمة الغربية !).

وهكذا يتم (التفاوض) حول تسييس الأمور بمبدأ (تبادل المصالح)، بل وأحياناً بمبدأ (الجزرة) التي يتم تعليقها أمام الحيوان ليتبعها وهو يُمنّي نفسه بأكلها في وقتٍ ما، فإذا طال به الزمن دون أن ينالها وفكر في التوقف : يأتيه العقاب بالضرب بالعصا من خلفه (وهو أحد التفسيرات لطريقة السياسة الشهيرة بالعصا والجزرة) ! ويكون هذا العقاب هنا في حالة الضغط السياسي وفي حالة ضغط اللوبيات عن طريق الترهيب والتخويف من فقدان بعض أو كل المزايا، أو فقد ما تم تحصيله من حقوق وحريات إلى اللحظة.. ومن أشهر لوبيات التأثير في الغرب هي (لوبيات اليهود)، وكذلك العديد من الأحزاب والحركات الحقوقية مثل (الشواذ) و(النسويات)، والذين يغريهم كل مُرشح ببعض المزايا حتى ينتخبونه لتولي السلطة، فصاروا مع الوقت قوةً يخطب كل مرشح ودها بما يمكن تقديمه لها في صراع الحقوق والمصالح.

ومن هنا أيضاً يفهم كل عاقل سر التناقضات والتغيرات التي لا تُحصى في سياسات الأحزاب والدول، سواء الخارجية أو الداخلية، ذلك أن الموضوع ببساطة لا يتبع أي مرجعية أو قيمة (موضوعية) أو (ثابتة) خاصة في هذا العصر، وإنما يتبع المصالح التي تتغير بين يوم وليلة، فتجد عدو الأمس صديق اليوم، وصديق اليوم عدو الغد !

تسجل لنا (كاميل باليا) إحدى هذه التناقضات في الحركة النسوية نفسها، وذلك إبان اعتراف الرئيس الأمريكي السابق (بيل كلينتون) بعلاقته الجنسية مع (مونيكا لوينسكي) المتدربة في البيت الأبيض آنذاك (وهي أمريكية من أصل يهودي).

فرغم اعتراف (بيل كلينتون) بهذه العلاقة في النهاية (بعد فترة إنكار وكذب)، ورغم سابقة اتهامه بعلاقات جنسية أخرى وتحرشات بأخريات مثل (جنيفر فلاورز) و(بولا جونز) عندما كان حاكماً لولاية أركنساس قبل الرئاسة، إلا أن (باليا) تفضح تناقض المواقف قائلة :

"كان هناك عملٌ كبيرٌ أخيرٌ لزعيمات التيار النسوي السائد في التسعينيات ألا وهو : دفاعهن القوي عن (بيل كلينتون) ضد الدعوى القضائية التي رفعتها (بولا جونز) في عام ١٩٩٤م وحتى فضيحة (مونيكا لوينسكي) في عام ١٩٩٨م. وفجأة، أُسقطت الحُجج التي قدمتها (أنيتا هيل) حول التحرش الجنسي، على الرغم من أن اتهامات (جونز) – الموظفة السابقة في ولاية أركنساس – ضد (كلينتون) كانت أخطر وأكثر جدية من التي قدمتها (هيل) ضد (كلارنس توماس). وعلى الرغم من أنني انتخبته مرتين، إلا أنني ذُهلت من استغلال الرئيس (كلينتون) لـ (مونيكا لوينسكي) الشابة، حيث كانت هناك سلسلة من اللقاءات القذرة والنظرات الماكرة في المكاتب المُمولة من جهة دافعي الضرائب، والتي كان بها استغلال فادح للسلطة، تلك المواجهات – التي تزعم النسويات أنه لا يمكن الإحاطة بكافة تفاصيلها – أظهرت حزبية النسويات العلنية، وتحيزهن الواضح خلال أزمة استجواب (كلينتون) عن تشويه مصداقيتهن، وتدمير القضايا النسوية الأساسية.

أحد الأشياء التي يجب أن ننتبه إليها هي أن : شابات اليوم هن مَن سيبني نسوية المستقبل. يجب أن تختفي خلافاتهن العقائدية وحروبهن الضارية مع الجيل القديم (بما فيهن أنا). إنني أرفض مصطلح "ما بعد النسوية Post-feminism"، الذي أصبح شعاراً رائجاً في وسائل الإعلام في التسعينيات وغالباً ما يرتبط بي، لا يوجد مثل هذا المُسمى. النسوية مستمرة، لكنها تمر بدورات من الاضطراب والتراجع.

في الوقت الحاضر، لا توجد قضية رائدة واحدة يمكنها جمع النسويات على رأي واحد. من المؤكد أن الحركة النسوية ملزمة بأن تحتج وأن ترفع – إذا أمكن – الانتهاكات الواقعة على النساء والأطفال في دول العالم الثالث. لكن النسوية قد تبدو مستهجنة تماماً في المجتمعات المحافظة أو الدينية، حيث لا تزال الأمومة والأسرة موضع تقدير، وصورة المرأة العاملة المستقلة : غير مألوفة ولا تحظى بقبول كبير".[1]

هذه الفقرة الأخيرة : "*لا توجد قضية رائدة واحدة يمكنها جمع النسويات على رأي واحد*" تلخص لنا الكثير من صراع (النساء ضد النساء) !

وعلى أية حال فبالرغم من أن العلاقة الجنسية بين (كلينتون) و(مونيكا) كان ظاهرها التراضي (وكانت مداعبات جنسية وليست علاقة جنسية كاملة) وهو ما جعل النسويات المُحافظات والمُهاجمات للانحلال الجنسي (مثل غلوريا شتاينم) لا يعفين (مونيكا) من مسؤولية ما حدث، إلا أن (باليا) لم تفسر ذلك الموقف منهن إلا لأغراض (حزبية) بحتة !

فتقول في موضع آخر :

---

[1] من كلمة (النسوية الماضي والحاضر) – مصدر سابق.

"على الرغم من أنني صوَّتُّ مرتين لـ (بيل كلينتون)، إلا إنه يبدو أنني النسوية الوحيدة التي أدانت علناً معاملته التعسفية مع (مونيكا لوينسكي) ومع مَن احتجوا على الآراء الأخلاقية لزعماء النسوية مثل (غلوريا شتاينم) في رفضها المنافق – لأسباب حزبية محضة – تطبيق قواعد التحرش الجنسي الأساسية على هذه الحالة المؤسفة".[١]

ورغم الصراع الدائر بين النسويات (خاصة بين اللاتي تحاربن النظرة الجنسية للمرأة في مقابل المناديات بالحرية الجنسية لها)، إلا أن (كاميل باليا) لا تفتأ تذكر كل فترة حق الاختلاف وضرورة السماح به ! فتقول مثلاً :

"يجب أن تضم المناهج كتابات المُعارضين المُحافظين للحركة النسوية، وكذلك النسويات المنشقة، فبدون هذا التنوع، فإن ما يحصل عليه الطلاب ليس تعليماً بل عنصرية وتلقين".[٢]

فالظهور بمظّهر المدافعة عن الحرية بالنسبة لـ (باليا) هو (صورة أساسية يجب أن تحافظ عليها دوماً حتى تبدو (نسوية متسقة مع مبادئها) مهما تناقض ذلك مع أفعالها وأقوالها في تسفيه الآخر ! بل ومهما تكلفت في تشويه معنى التيار (المحافظ) والذي يعني – كما يظهر من اسمه – وجود (قيم ومبادئ) يتم (المحافظة) عليها حتى لو تعارضت مع الحرية والليبرالية !

لكن عند (باليا) .... تتحدث عن خلط المحافظة بالليبرالية !

أو كما تقول في اختيارها لعنوان كتابها (حرائر وأحرار) :

---

[١] من مقدمة كتابها (حرائر وأحرار) – مصدر سابق.

[٢] المصدر السابق.

"إن عنوان هذا الكتاب يُمجد الحرية كشرط لا غنى عنه لحضانة وازدهار الفردانية. إن النسوية التحررية، التي تأخذ أفضل ما في التيار الليبرالي والمحافظ على حد سواء ولا تنتمي بالتأكيد إلى أي منهما، تضع حرية الفكر والتعبير عن الرأي فوق أي أيديولوجية. أنا مُفكرة حرة قبل أن أكون نسوية، وهذا يعني التزام أخلاقي تام بالبحث عن الحقيقة، وأن أحث الكُتَّاب والفنانين الشباب الطموحين على تبني هذا الالتزام. اندلعت الحركة النارية لحرية التعبير بقيادة (ماريو سافوا) الإيطالي ثم الأمريكي في جامعة كاليفورنيا في بيركلي عام ١٩٦٤م، وهو العام الذي التحقتُ فيه بالكلية. لقد كانت لحظة فاصلة لجيلي، فقد كان الموقف المناهض للأعراف المترسخة لدى حركة حرية التعبير عن الرأي : يمثل الثورة الشعبية الأصيلة في الستينيات، والتي قاومت انتهاك النخبة القمعية للسلطة.

إلى أي مدى يدعم اليسار الأكاديمي اليوم رموز خطاب الحرم الجامعي والاحتجاجات كما يدعم مراقبة تصرفات الجميع وإفراطه في تنظيم حياة الطلاب ؟ لقد تخلت الكليات الأمريكية عن مهامها التعليمية وأصبحت مستعمرات حكومية يحكمها بيروقراطيون ضالون يفرضون الرغبات الفيدرالية، إن هذه الإمبريالية الاستبدادية ليس لها مكان في الديمقراطية الحديثة.

يمكن تتبع تراجع إخلاص الليبراليين في الدفاع عن حرية التعبير خلال قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٨م (بعد قانون ١٩٦٤م التاريخي)، الذي فرض عقوبات قاسية على الجرائم المرتكبة بسبب "العرق أو اللون أو الدين أو الانتماء القومي". إن تمييز مجموعات معينة بحماية خاصة

– وامتداد ذلك مؤخراً ليشمل حماية جنس معين وتوجه جنسي معين – هو ما يفصلهم عن عامة الناس من خلال تعريفهم على أنهم ضحايا دائمون، ومثقلون بماضٍ لا مفر منه.

أنا أعارض بشدة عبارات مثل "خطاب الكراهية" و"جرائم الكراهية" التي نشأت عن هذا القانون وغيره في جميع أنحاء أمريكا الشمالية وأوروبا، وللأسف أسفرت المحاولة الجادة لإصلاح الضرر الواقع بسبب الظلم الماضي عن إنشاء مناطق منفصلة عن نسيج المجتمع وذات امتيازات خاصة، وقد دفع ذلك الحكومة إلى كبح ممارسة حرية التعبير، وكما ذكرتُ في كتاب (غانيات وعاهرات) Vamps & Tramps، ليس من حق الحكومة التدخل أو التلاعب بدوافع أي مواطن، إلا خلال مرحلة إصدار الأحكام بعد الإدانة الجنائية".(١)

مشكلة (باليا) أن الإلحاد أغرقها في لامبالاة باردة تجاه الطبيعة الإنسانية، فمن أجل تقديسها لـ (حرية التعبير) فهي تحارب أية إجراءات لحماية الحرم الجامعي من استخدامه كمنابر للإضرار بالنساء أو غيرهن، وتعتبر أي وصاية هنا (على النساء أو غيرهن) هي وصاية على (حرية التعبير)، وتنظر إليها على أنها (أسلوب قمعي) من الحكومة أو من نظام الجامعة ! وأن ذلك هو ما يسبب (فصل) و (تمييز) تلك الفئات المعينة عن المجتمع (سواء الشابات أو غيرهن) عندما نخصهم بحماية لهم !

بل وتطالب بفتح الباب أمام (حرية التعبير) حتى ولو تضمنت (خطاب كراهيةٍ **عدائي**) لفئات معينة من المجتمع يُغذي نيرانه الإعلام المُسيس

---

(١) المصدر السابق.

(ومثلما يحدث في حق المسلمين اليوم وينتج عنه حوادث قتل فردية أو جماعية إلى اللحظة [1] أي تخطي الأمر **مجرد الشعور بالكره** وهو الشعور الإنساني الذي لا ننكره : إلى الاعتداء الفعلي)، وفي نفس الوقت : تنتقد (باليا) وقوع ما ينتج عن هذا الخطاب (والصواب وقف تغذية هذا الخطاب لا أن نتركه بدعوى أننا سنعاقبه) ! لأنه في رأيها : لا يجب أن نحاسب أحداً على ما يبثه من كراهية **وعداء** إلا وقت وقوع الضرر فقط ! فتقول :

"إن حريتك في أن تكره يجب أن تكون محمية تماماً مثل حريتك في أن تحب، ويجب أن يتدخل القانون ليصحح الأمر فقط عندما تتجاوز الكراهية حدودها وتجر إلى الفعل. ما لم تكن لدينا الحرية الكاملة لاستكشاف الحدود القصوى للعاطفة الإنسانية، فلن نتمتع أبداً بفنٍ عظيم مرة أخرى. حتى الكوميديا الجنسية، وهي نوع ينحدر من السلوك الجنسي لدى العشائر في العصور القديمة، كانت دائماً على قائمة انتهاك المحظورات. لقد تحققت حرية التعبير المثالية في الستينيات من القرن الماضي بفضل (ليني بروس)، الرمز الثقافي الجريء والساخر، الذي حوَّل الكوميديا إلى تعليقٍ بذيءٍ على الأحداث الاجتماعية، مما أدى إلى اعتقاله المتكرر بسبب الفحش. وفي الحرم الجامعي اليوم، يتم قمع غريزة

---

[1] للأسف الشديد يعد (خطاب الكراهية) ورقة تلاعب سياسي بالتواجد الإسلامي في الغرب، حيث مع ارتخاء القوانين الرادعة للاعتداءات على المسلمين المدنيين المسالمين أو الاعتداء على المحجبات أمهات وشابات وخفة العقاب الجنائي في حق المعتدين : فإن ضعاف العقول يزدادون جرأة على مواصلة شتى أشكال الاعتداءات والتنمر، بل ولما تركوا الحبل على الغارب للملاحدة وكتاباتهم العدائية الصريحة ضد المسلمين والإسلام مثل "سام هاريس" و"ريتشارد دوكينز" قام أحد الملحدين المتأثرين بهم بقتل ٣ من الشباب الجامعي المسلم (شاب وفتاتين) في مدينة "تشابل هيل" الأمريكية عام ٢٠١٥م، وفيما يعرف بجريمة Chapel Hill shooting.

الطلاب تجاه خرق القوانين الطبيعية، والميل إلى العنف من جهة الوكلاء الفيكتوريين الجدد الذين يفرضون حمايتهم بالقوة، وأصبحت الكوميديا ضحية أخرى للشرعية السياسية".[١]

ومن أبرز التناقضات كما قلنا هو ما يراه فريقٌ منهن من أنه على المرأة **الابتعاد عن الإثارة الجنسية في ملابسها العارية والضيقة وكعبها العالي وتصرفاتها**، والتركيز على **إنجازاتها الفعلية والعقلية** مثل الرجال، في حين يرى الفريق الآخر أنه لا يجب ترك فتنتها أبداً بل يجب عليها الإعلان عن أنوثتها في أي مكان (ثم يشتكين بعد ذلك من التحرش والاغتصاب) ![٢]

ولكي نوجز القول في هذه الحرب (حرب النساء ضد النساء) وصراع (تعارض المصالح) بينهن، السؤال : هل هناك إمكانية للتصالح أو الوفاق أو تقبل الآخر في يومٍ من الأيام ؟ تجيبنا (كاميل باليا) بنفسها قائلة :

"في حين يتغنى كلٌ من النسوية الأكاديمية والتيار النسوي السائد بتعزيز تنوع وجهات النظر وتقبل المخالف، فإن الواقع على النقيض تماماً من هذا الادعاء".[٣]

مكتبة
t.me/t_pdf

---

(١) من كلمة (النسوية الماضي والحاضر) - مصدر سابق.

(٢) العلاقة بين التكشف والتحرش واضحة لدرجة أنه في عام ١٩٨٢م قد التمست الدكتورة (باتريشيا وينكس) Patricia Winks العذر للمدرسين في أمريكا أمام الطالبات ذوات الصدور المكشوفة والسراويل المشدودة ! وذلك في دراستها بعنوان : "التداعيات القانونية للاتصال الجنسي بين المعلم والطالب" Legal Implications of Sexual Contact between Teacher and Student. والمنشورة في Journal of Law & Education, (1982), p.438. فما بالنا بملابس اليوم ؟!

(٣) من كلمة (النسوية الماضي والحاضر).

نسويات متحررات خارقات!

تتراوح المطالب النسوية بين الاعتدال (الذي يدرك الاختلاف الطبيعي بين الرجل والمرأة ويحترمه)، وبين الغلو (الذي يتعمد تخطي كل حقائق ذلك الاختلاف ليفرض رأيه الشاذ في ذلك).

فالمطالب **المعتدلة** تسعى لكسب حقوقها المنطقية بالقانون والتشريع.

والمطالب **المغالية** تسعى لفرض رأيها الشاذ بالقانون والتشريع.

ورغم سطوة النوع الثاني بالفعل (لأنه المفضل للإعلام المفسد للأخلاق والمفضل من جهة السياسيين للتلاعب بالنساء نصف المجتمع وشغل النصف الآخر بهن) : إلا إن كل القوة التي تم وضعها في أيديهن لم تستطع أن تغير من واقع وحقيقة المرأة شيئاً، **فالمرأة هي المرأة**... ذلك الكيان العاطفي الرقيق الذي يمكنه بذل أضعاف طاقته لراحة أبنائه أو في مقابل كلمة شكر أو ثناء أو محبة صادقة، ذلك الكيان القادر على احتواء الرجل... ويحتاج إلى الاحتواء.. يحتاج إلى كلمة حانية **ممَن يُحب** : ربما يكون لها الأثر الأقوى من الدواء !

أما الصورة التي تحاول أكثر النسويات المغاليات نقلها زوراً عن (**المرأة المتحررة الخارقة**) التي يمكنها أن تحوز كل شيء (نجاح العمل والاستغناء عن الحب والأسرة والرجال) : فتتحطم على صخرة الواقع، وعلى صخرة الحقائق ومشاكل النساء التي نشاهدها... لكن قليل مَن يتوقف ويتفكر !

وقبل أن أذكر لكم بعض الأمثلة لنساء كان يُنظر إليهن على أنهن مثال النجاح في مجالهن ومثال القوة والاستغناء عن الرجل أو مساعدة أي أحد أو كما

يسمونهن (سترونج إندبندت وومن) Strong independent woman :

أود أن أنقل إليكم أولاً هذا الكلام التالي، والذي احتفظت به من خلال متابعتي (أثناء كتابتي لهذا الكتاب) لبعض الأخوات الفضليات (أحسبهن كذلك والله حسيبهن) على مواقع التواصل، حيث كنت أقف على بعض الكتابات القيمة والعميقة، منها الكلام التالي للأخت (ندى عمر)، وهي أخت فاضلة تدرس ماجستير فقه وأصوله في الجامعة الإسلامية بولاية منيسوتا الأمريكية، إذ تقول في أحد مواضيعها على الفيسبوك :

" **زوجها منها لبمكان..!**

من تأملاتي الصامتة... تكرار هذا المشهد :

تحدثني امرأة متزوجة من القريبات أو الصديقات عن موقف أو أي أمر أحزنها أو أغضبها.. فأخفف عنها بالعقل قليلاً والعاطفة قليلاً، فأظن أنها اكتفت وهدأت..

ثم أكتشف منها أنها (لم تهدأ) حتى حدثت (زوجها) بما حصل لها فواساها أو استمع لها على الأقل..! فأقول في نفسي : يا ضيعة الأوقات.. إذا حضر الماء بطل التيمم..!

بل أكثر من ذلك : مَن رأيتها تتناول كومة أدوية بعد أن تشاجرت مع زوجها... فلما صالحها : إذا بها تستغني عن كل الأدوية... ورأيتها تضحك كما لم يصبها بأس قط..!

عندما خلق الله المرأة من ضلع الرجل.. جعل عنده سكنها وأمانها.. – وأحسب أن هذا من حكمة الله في خلق الزوجين ليستمرا في العلاقة

الزوجية –.. فلا تستغني المتزوجة عن زوجها في استقراراها النفسي والعاطفي ولو بالعالم كله..

بل ويخيّل إليَّ أن كثيراً ممَّن يسرن في قطيع النسوية.. كانت في الأصل تحتاج إلى الزوج فيما لا يسد حاجتها النفسية إلا هو... فلمّا منعها مارست العداء ضده.. ولذلك نسمع أن من النسويّات مَن تزوجت بعد سنين من رفعها راية الاستغناء عن الرجل..إذ لما وجدت سقاء عطشها باعت القضية..

لا يدرك كثير من الرجال أن هذا الأمر مهم في استقرار زوجته وبالتالي أسرته..على أنه لا يكلفه شيئاً، لكنه ينظر إليه كأمر تافه وليس هو كذلك عند المرأة...

بقليل من الكلام الطيب والمواساة والاهتمام بمشاعرها ...تغدو الزوجة كالماء المنساب يسيل بين يديه يوجهه حيث يشاء.. ويصم أذنها عن الاستماع لقطاع الطرق من الرجال والنساء..

الأمر لا يحتاج إلى كثير تعقيد..

أن تكون نبيهاً فتعطيها ذلك الاهتمام الذي قد لا يتجاوز الدقائق...

لتحمل لك ذلك المعروف.. وينتقل إلى مصلحة أولادك، فبدلاً من أن تحصر تفكيرها في أنها لا تجد منك كلمة طيبة أو مواساة وتكون مُعيناً لشيطانها عليها :

ستجعلها بطيب معشرك تفكر في طرق رضاك وسعادتك.. وكيف تربي أولادك ليكونوا أفضل الناس... فننقذ بذلك أسرة في المجتمع بأيسر

الطرق". [1]

ورغم أن كلامها كله يستحق الوقوف مع كل كلمة فيه، وما حمله من مفاتيح كثيرة لفتح أبواب السعادة والاستقرار، أو الأبواب المغلقة على مشاكل الأسرة في عصر التيه الذي نحياه اليوم للأسف، إلا أني سأستشهد بفقرة معينة منه لأهميتها الكبيرة فيما سأذكره بعد قليل، إذ تقول في رأيٍ يوافقها فيه كل عاقل :

" **بل ويخيّل إليَّ أن كثيراً ممَّن يسرن في قطيع النسوية.. كانت في الأصل تحتاج إلى الزوج فيما لا يسد حاجتها النفسية إلا هو... فلمّا منعها مارست العداء ضده.. ولذلك نسمع أن من النسويّات مَن تزوجت بعد سنين من رفعها راية الاستغناء عن الرجل..إذ لما وجدت سقاء عطشها باعت القضية".**

هذا الكلام هو ما سأدلل عليه بذكر بعض الأمثلة الغربية نفسها، حتى يكون الاحتجاج من نفس الوسط الذي صنع المشكلة ثم قام بتصديرها إلى العالم، وسعى لتأجيج نيرانها للأسف لإحراق كل مخدوعة بكلامهن، وخداع اللاتي لا يعرفن أنهن (في الحقيقة) إذا وجدن الرجل الذي يحتويهن : لكفرن بكل كلامهن الذي ملأن به الدنيا صراخاً ! فبمَن نبدأ ؟ تعالوا نأخذ الهرم من قمته !

(سيمون دو بوفوار) هل كانت قوية بالفعل ؟

تعد المفكرة والكاتبة الفرنسية : (سيمون دو بوفوار) Simone de Beauvoir من أبرز نسويات القرن العشرين (ولدت في ١٩٠٨م وتوفيت في

---

[1] من منشور لها في صفحتها على الفيسبوك بتاريخ ٩ أغسطس ٢٠٢٠م.

١٩٨٦م)، نشأت في البداية نشأة متدينة متأثرة في ذلك بوالدتها، لكنها مع الوقت انزاحت إلى توجهات أبيها التشككية والإلحادية (بتأثير ما كان يقرأه في ذلك الوقت) حيث رأت أن الرجال (متمثلين في أبيها) أكثر إنجازاً وتحقيقاً للذات من النساء اللاتي يذهبن إلى الكنائس (متمثلة في أمها)، تعرفت في سن العشرين على عشيقها المفكر الملحد الوجودي (جان بول سارتر) Jean-Paul Sartre، والذي رأت فيه الملاذ الآمن بعدما تخلت عن أمان الإله ثم أمان الأب، وهو ما جعلها تتحمل الكثير من تصرفاته معها وتعاليه الفكري عليها، بل وخياناته وعبثه الجنسي. الغريب أنها كانت تشاركه ذلك العبث الجنسي بتمرير بعض الطالبات إليه ليستمتع بهن : بعدما تمارس هي الشذوذ معهن أحياناً (مما تسبب في طردها من التدريس)[1]، بل نجد شخصاً مثل الكاتب والمخرج الفرنسي (كلود لانزمان) Claude Lanzmann يذكر في مذكراته : كيف كان يتقاسم (سيمون) في لياليه مع (سارتر)... ليلة مع كل منهما ! وهذا هو المستنقع الأخلاقي الذي تخرج منه أفكار وفلسفات هؤلاء !

وفي الوقت الذي تعد فيه (سيمون دو بوفوار) رمزاً نسوياً (قوياً) في مخيلة الكثيرات وبما كتبته من مؤلفات (وعلى رأسها كتابها : "الجنس الثاني" The Second sex عام ١٩٤٩م الذي يعد علامة فارقة في الموجة النسوية الغربية الثانية) : إلا أن القليل منهن الذي يعرف معاناتها النفسية والعاطفية... لقد عانت من لفظ (سارتر) لها وعدم قدرتها على جعله يُغرم بها أو يُخلص لها (ولذلك رفضت عرضاً منه بالزواج ذات مرة لأنها تعرف أنه لم يكن من القلب)، وكذلك عانت من لفظ (نيلسون ألجرين) Nelson Algren هو الآخر لها،

---

(1) Tête-à-tête: Simone de Beauvoir and Jean-Paul Sartre, Hazel Rowley, Harper Collins, 2005 ،page 130-35.

وهو الكاتب الأمريكي الذي أحبته وتعلقت به بشدة رغم قلة مقابلاتها معه، لكنها شعرت بارتباط عاطفي كبير نحوه منذ قابلته في أمريكا (رغم زواجه !)، وكانت قلة مقابلتهما سبباً في كثرة رسائلها له بعد عودتها إلى فرنسا، والتي بلغت قرابة ٣٠٠ رسالة كما نشرتها ابنتها بالتبني (سيلفي لو بون دو بوفوار) Sylvie Le Bon-de Beauvoir وتمت طباعتها عام ١٩٩٧/١٩٩٨م.

وهنا سأنقل لكم وقفتين من رسائل (بوفوار) توضحان لنا مدى (**التيه العاطفي**) الذي تنقله بعض الشخصيات النسوية الشهيرة : إلى ملايين النساء الذين يتبعون كلامها وأفكارها للأسف ! ثم نكتشف أنه مجرد (تقلب عاطفي) كان يمكن أن يتغير مثلما يتغير أي شيء ! وأنه لم يكن أراءً مقدسة تضيع فيها الحياة، وتنهدم بسببها البيوت، وتتفسخ من أجلها العلاقات !

الوقفة الأولى : وهي بخصوص الصدمات العاطفية التي يتولد عنها ميل المصدوم إلى علاقة عاطفية مع نفس جنسه (شذوذ جنسي وميل إلى نفس الجنس)، أي أن ذلك الشذوذ (في حقيقته) ليس إلا (**رد فعل نفسي**) كما اعترفت (باليا) لو تتذكرون وصفها له بأنه :

" **تكيف مع الظروف الاجتماعية، وانتشاره في الوقت الحالي هو بسبب الإرهاق أو الاستياء من الأدوار الجنسية التقليدية الفاشلة، وهو رفض للحالة المتضاربة للعلاقات بين الجنسين، والذي تجلى أيضاً في الارتفاع الجنوني لمعدلات الطلاق في الأعوام الثلاثين الماضية**".[١]

ثم يحاول مَن يريدون إفساد الأخلاق أن يصوروه لنا على أنه (وضع طبيعي ! وأن له أصل جيني يولد به فئة من الناس **لا يمكن تغييره**) !

---

[١] من محاضرة بعنوان (معركة الجنسين الحديثة) – مصدر سابق.

وأسباب الشذوذ في الرجال أكثر إثماً وتعقيداً، أما الأسباب العاطفية فهي الأظهر في النساء لتعرض أكثرهن بالفعل لصدمات عاطفية، ثم ما إن تتعرف على رجل يحتويها : تنسى معه كل ادعاءاتها السابقة، وكل شذوذها الذي كانت تدعو إليه ! وإليكم هذا الاعتراف من كلام (بوفوار) في إحدى رسائلها :

"لكن عن نفسي، أنا أعرف أني لن أستطيع النوم مع رجل آخر الآن، إلى أن قابلتك مرة أخرى" ! (١)

But for myself, I just know that I could not sleep with another man now, untell I meet you again.

وأما الوقفة الثانية : فهي الأكثر صدمة للنسويات، وتتمثل في أمنية (بوفوار) لقضاء العطلة الصيفية عام ١٩٥٠م في كوخ متنقل مع (نيلسون ألجرين) على بحيرة ميتشجن الأمريكية، فكتبت له مبتهجة :

"أوه (نيلسون)، سأكون لطيفة جداً وجيدة، سوف ترى، سأمسح الأرضية، سأطبخ جميع الوجبات، سأكتب لك كتابك جيداً كما أكتب لنفسي، سأمارس الجنس معك عشر مرات مساءً ومثلها نهاراً، حتى لو شعرت ببعض التعب" ! (٢)

Oh Nelson, I'll be so nice and good, you'll see. I'll wash the floor, I'll cook the whole meals. I'll write your book as well as mine. I'll make love to you ten times a night and as much in the day, even if I feel a bit tired.

---

(1) Beauvoir 1998 : 69.

(2) Beauvoir 1998 : 324.

وقد وصفتُ هذه الوقفة بأنها (الأكثر صدمة للنسويات)، وذلك لأن النسويات مهما أوتين من مراوغة لن يستطعن تفسيرها بأي تفسير يتماشى مع دعوتهن للتمرد على هذا النمط من حياة المرأة (أي التي تحب زوجها وتطيعه وتخدمه في كل شيء) ! بل ولا يتماشى حتى مع ما أصدرته (بوفوار) نفسها قبل هذه الرسالة بعام واحد فقط (عام ١٩٤٩م) من كتابها (الجنس الثاني) الذي تنعي فيه تسلط الرجال على النساء عبر التاريخ، وحصرهن في هذا النمط من الحياة الزوجية، والذي تقدمه الآن (سيمون) نفسها على طبق من ذهب لعشيقها المرجو (نيلسون) ! فلا عجب ألا يتم نشر مثل هذه النكبة لهن على نطاق واسع ليقرأها النساء والشابات والمخدوعات بشعارات النسويات الرنانة !

جدير بالذكر أن (نيلسون) لم يعبأ بها، بل وعاد إلى زوجته الأولى رغم كل ما فعلته (بوفوار) من أجله (ومنه إهداء روايتها The Mandarins باسمه) !

(كيت ميلفي) نسوية بالنهار.. باحثة عن زوج بالليل !

هناك قصة ذكرتها مجلة (الأسرة) العدد ٧٦ رجب ١٤٢٠هـ ص٢٦-٢٧ عن أستاذة بريطانية مرموقة في سن الستين وفي كلمتها الأخيرة لطالباتها تعترف بأنها لم تجد السعادة في كل ما حققته وأنه لا يعد شيئاً مقارنة بالزواج والأبناء الذي لم تفعله ! يذكرنا ذلك بمثال حديث لامرأة أمريكية ناجحة (بريندا بارنز) Brenda Barnes .. والتي تولت كبريات الشركات برواتب وصلت للملايين كان أشهرها وظيفة المدير التنفيذي لبيبسي كولا في ١٩٩٦م والتي قدمت استقالتها منها في ١٩٩٧م (!)، لا لأن أبنائها الثلاثة يحتاجونها، بل "**لحاجتها هي إليهم**" كما قالت ! وقد أثيرت ضجة بسبب ذلك وقتها من النسويات.

والآن... مَن هي (كيت ميلفي) التي اخترت لكم قصتها الآن ؟

(كيت ميلفي) Kate Mulvey امرأة تشعر بتفردها وذكائها الشخصي، أو بتعبير آخر لديها (تضخم) في الشعور بـ (الأنا)، وبالتفوق الذاتي (خصوصاً على الرجال)، تخصصت في الأدب الإيطالي والإنجليزي، وحازت نسبة كبيرة من الثقافة التي تؤهلها للتعالى بها على أي إنسان غير متخصص مثلها !

لذلك كانت تتعالى على كل مَن يتقدمون إليها فيؤدي ذلك إلى رفضهم، فظلت عزباء بسبب تلك النظرة لنفسها، عندها صارت تتحدث عن (مزايا) أن تكون المرأة وحيدة ! خاصة مزايا (السفر والترحال)، وكتبت في ذلك كتاباً عام ٢٠١٤م بنفس المعنى Accidental Singleton، لكن في الوقت الذي كانت تكتب فيه للنساء والشابات تشجعهن على كل ذلك وتهون منه (أو تدمر حياتهن في الحقيقة مثلها) : كانت تدفع آلاف الجنيهات الاسترلينية لوكالة مواعدة متخصصة في التوفيق بينها وبين (شريك حياة) أو (زوج) مناسب !

الوكالة لم تدخر جهداً في اقتراح شركاء لها، لكن استمر التعنت من (كيت) التي تقول أنها أنهت اللقاء في إحدى المرات بالمطعم بسبب (صدمتها) من نوع البنطال الجينز الذي ارتداه المرشح لها لتقابله ! ثم تحكي عن شخص آخر غار من تفوقها عليه في معرفة أصول موسيقى الجاز ! فتحكي أنه تركها بعد نقاشٍ حامٍ لتعلم بزواجه لاحقاً من امرأة متواضعة (أقل منها) و(مملة) كما وصفتها !

بل ذهبت (كيت) لتبرير ما يحدث معها إلى تفسير أحد الأطباء النفسيين الذي يقول إن الرجال يصيبهم (الرعب) من ذكائها الخارق فلا يفاتحونها في الزواج، وفي آخر المطاف رفعت قضية على وكالة المواعدة بعدما تخطى ما دفعته لهم دون تحقيق طلبها ١٢ ألف جنيه استرليني !

كانت تمني نفسها بزوج (كامل) يجمع بين الثراء، وبين الثقافة الفذة التي

تضاهي ثقافتها، وبين الذوق، والوسامة و و و... لكنها لا زالت تبحث وهي في الخمسين من عمرها دون جدوى ![1]

(جينا بونتينبو) : منشقة نسوية يهددها البعض بالقتل !

وقعت (جينا بونتينبو) Gina Bontempo فريسة للبريق الزائف للحركات النسوية في أمريكا، انبهرت بالقوة المتنامية والمتسارعة لهن داخل المجتمع والتي يساندها القضاء والتشريعات، لكن سرعان ما اكتشفت الوجه القبيح والمدمر لتلك الحركات على حياتها كامرأة، إليكم ملخص كلامها من سلسلة تغريداتها على تويتر من حسابها الخاص Gina Florio@ :

"لقد تخليت عن لقب "نسوية" في وقت مبكر جداً من عام ٢٠١٧م فقد قضيت السنتين التاليتين في التزام الصمت ومشاهدة المناظر الطبيعية والقراءة والتعلم وإصلاح الفكر والرأي. في تلك #السنتين، أصبحت #النسوية أكثر راديكالية وتدميرية.

جزء من صمتي كان بسبب الخوف، كنت أعيش في سان فرانسيسكو، أكثر المدن "التقدمية" في أمريكا، حيث يعيش الناس ويتنفسون #الحركة_النسائية_المتطرفة. شعرت بالرعب في البداية لأتحدث #ضد هذه #الأيديولوجية_الغبية.

---

[1] يمكن الاستزادة بالقراءة عنها في مقال مثل الذي نشرته dailymail بعنوان :

I'm single at 50. Why? Men hate me being brainier than them, says KATE MULVEY

لكن في عام ٢٠١٩م تركت الصمت وبدأت في التحدث والتحذير من هذا التيار المدمر، أتحدث عن #الحقيقة، وألقي #الضوء على الاختلافات الجميلة بين الرجال والنساء، وتبادل قصتي الشخصية، انهال على بريدي رسائل #كراهية كثيرة جداً، يحاول عدد لا يحصى من المتصيدين إزعاجي يومياً على Twitter، وبعض الناس يرسلون لي تهديدات #بالقتل.

الانخراط في تيار جذاب ومغري مثل #النسوية سهل جداً. لكن الصعب حقاً هو أن نتحمل #مسؤوليتنا في إخبار النساء الأصغر سناً #بمخاطر اتباع هذه #الأيديولوجيات_المدمرة، وعلينا أن نظهر لهن أن هناك مكافأة أكبر بكثير في الحياة عندما تتبع #المسار_الصحيح، وليس #المسار_الشعبي" ! (١)

(راشيل بوك) تنفي (التفرقة على أساس النوع) في الأمومة

في أقصى التوقعات جنوناً لم يتخيل عاقل أن يأتي اليوم الذي تزعم فيه بعض النسويات أن مطالبة الزوج لزوجته بتفريغ وقت للتربية والأبناء هو نوع من أنواع (التفرقة على أساس النوع) الذي يمارسه ضدها ! هو فكر جنوني يشبه أن يمتنع الرجال في العالم عن المعاشرة للنساء بهدف الإنجاب ! وعن توقفهم عن إعطاء أية حيوانات منوية وتدمير كل بنوك المني ! وعند لومهم على ذلك وأنه توقف عن دورهم الطبيعي في الحياة يقولون : أن مطالبتهم بذلك هي (تفرقة على أساس النوع) ! في حسابها على تويتر كتبت (راشيل بوك) Rachel Bock عام ٢٠١٩م تغريدة للمخدوعات بهذه الأفكار الهدامة للأسرة والأبناء تقول :

---

(١) مجموعة تغريدات في أواخر ٢٠١٩م : https://twitter.com/floriogina

"عندما يقول الرجال أنهم يفضلون أن تخصص زوجاتهم وقتاً لتنشئة أطفالهم الصغار، فهم يقولون بصورة أساسية أن :

١) الأمومة أهم من الوظيفة.

٢) ولا أحد يمكنه القيام بها أفضل منكِ.

٣) واهتمامكِ غير المتقطع هو أكثر فائدة لأطفالنا".(١)

(كاتي بومان)... المرأة التي صورت الثقب الأسود !

وهي آخر مَن سأختم به الأمثلة لعدم التطويل، إذ بغض النظر عن التفوق الحقيقي لنساء مميزات في مجالات عدة لا ننكرها، إلا أن (تعمد) تضخيم الكثير من إنجازاتهن أو تصديرهن (عمداً) لصنع تواجد وزخم نسوي هو شيء معلوم منذ القرن العشرين للأسف، قرن الموجات النسوية والجمعيات الحقوقية.

فترى مثلاً بعثة تعليمية أو جامعية والمطلوب فيها عدد معين، فبدلاً من تقديم (الأكفأ) سواء كانوا كلهم رجالاً أو نساءً أو سوداً أو بيضاً : فإنه يتم (توزيع النسبة) بحسب محددات وأوامر تأتي من أعلى وليس الكفاءة ! (٢)

---

(١) تغريدة من حسابها @RachelBock9 بتاريخ ١٩ نوفمبر ٢٠١٩م.

(٢) وصل الأمر لجائزة الأوسكار العالمية في ٩ سبتمبر ٢٠٢٠م من إعلانها شرط التنوع في أي عمل للفوز بجوائزها (التنوع مثل وجود الشاذين أو المتحولين جنسياً وغيرهم) فالجائزة لم تعد تتوقف على الكفاءة أو الفن فقط أو يحكمها حرية التعبير !

Oscars academy sets out new diversity standards for best picture contenders following years of debate.

الإعلام يمكنه أن يخفي دور الرجل ويبرز دور المرأة في النهاية أو العكس، حتى لو كان السبب هو أنها (متحدثة أفضل منه) أو (واجهة إعلامية) مقبولة عنه ! الإعلام يمكنه أن يطمس حقائق وينشر أكاذيب، يمكنه أن يتلاعب بالوعي بنفس درجة تلاعبه بكلمات العناوين الخادعة !

"(كاتي بومان) : المرأة التي خلف أول صورة لثقب أسود".

Katie Bouman: The woman behind the first black hole image.

"قابلوا العبقرية التي خلف أول صورة لثقب أسود".

Meet the Genius Behind the First Black Hole Image.

"غالباً ما يتم تصوير العلماء الذكور على أنهم عباقرة منفردين، إليكم ما يحدث عندما تفعلها امرأة".

Male scientists are often cast as lone geniuses. Here's what happened when a woman was.

هكذا تم نشر الخبر عام ٢٠١٩م في العديد من وكالات الأنباء الأمريكية ومواقع الأخبار مثل BBC وغيرها، وساندهم في ذلك تصدير (كاتي بومان) Katie Bouman في رأس الحدث العالمي (أول صورة لثقب أسود بعد المعالجة الرقمية)، عندما نسبوا (خوارزمية تجميع الصورة) لها مع آخرين (لكن مع التركيز المتعمد عليها) وذلك مثلما فعلت CNN بقولها :

"هذا عندما دخلت (خوارزمية بومان) – مع العديد من غيرها –"

That's where Bouman's algorithm — along with several others — came in.

كل ذلك ومشاركة (بومان) في الخوارزمية كانت ٠,٢٦ % أي أقل حتى من ١ % ! حيث كتبت ٢٤١٠ سطراً فقط من الخوارزمية التي تقارب ٩٠٠ ألف سطر ! في حين لم يسلط الضوء مثلاً على زميلها (أندرو تشيل Andrew Chael الذي كتب قرابة ٨٦٦ ألف سطر (أي كتب وحده قرابة ٩٦ %) ![١]

لقد ساهم في المشروع ٢٠٧ عالم وباحث ومختص من أكثر دول العالم (لأن فكرة المشروع هي التقاط العديد من صور التليسكوبات للثقب الأسود من أكثر من مكان على الأرض ثم تجميع الصورة النهائية بخوارزمية معينة)، وفيما يبدو أن ميزة (بومان) كانت في شخصيتها المتكلمة (خاصة أنها أمريكية من معهد MIT الرائد والشهير) وكذلك مظهرها كونها أنثى وشابة : أعطاها دوراً إشرافياً ومتحدثة رسمية في فريق عمل الخوارزمية، لكنها ليست صاحبة الفضل الوحيد فيه كما تم تصويرها من جهة الإعلام للأسف.[٢]

لقد بدأ المشروع في عام ٢٠١٢م، وانضمت إليه في ٢٠١٣م، وفي عام ٢٠١٧م تم اختيارها لتتحدث عن فكرة المشروع في مؤتمر (تيد) الشهير Ted[٣]، حيث استغرقت كلمتها قرابة ١٣ دقيقة، قالت بعد أول دقيقة منها :

---

[١] يمكن مطالعة عدد سطور كل مشارك في كتابة الخوارزمية من موقع GitHup الشهير منذ ١٧ يناير ٢٠١٦ على الرابط التالي (يرمز لأندرو بـ achail) :

https://github.com/achael/eht-imaging/graphs/contributors

[٢] لمزيد من التفاصيل يمكن مطالعة موقع BigLeaguePolitics - مقال :

Woman Who Media Claims Created Black Hole Image Contributed 0.26% of Code.

[٣] الكلمة مترجمة على اليوتيوب بعنوان :

How to take a picture of a black hole | Katie Bouman

"ستكون مسؤولية التقاط الصورة موكلة لفريق دولي من العلماء".

وقالت أيضاً قبل نهاية كلمتها بدقيقة تقريباً عن هذا العمل الجماعي الكبير :

"لم يكن ليكون متاحاً دون فريق مذهل من الخبراء، ولدي الحظ الكبير للعمل معهم، ما زال الأمر يدهشني، أنه بالرغم من أنني بدأت هذا المشروع دون أي خبرة بعلم الفلك، ما تمكننا من تحقيقه من خلال تعاوننا الفريد، قد ينتج عنه أول صورة للثقب الأسود، لكن مشاريع كبيرة مثل تليسكوب الآفاق هي ناجحة بسبب الخبرات التي تنتمي للعديد من التخصصات".

وهنا كانت تعرض صورة عريضة لعشرات الدكاترة والباحثين والمختصين : وهي بعيدة في طرف الصورة، ليس حتى في منتصفها !

المشكلة أن معهد MIT المنوط به جمع النتائج النهائية : كان أول مَن تسبب في هذه الموجة من التعليقات والاعتراضات عندما نشر صورة تعبير وجه (بومان) لحظة رؤيتها النتيجة النهائية للصورة المجمعة على حساب المعهد الرسمي بتويتر يوم ١٠ إبريل ٢٠١٩م، ومن هنا تناقلت وكالات الأنباء الأمريكية صورتها مقرونة مع الخبر ممزوجاً بالصبغة (النسوية) التي تتصيد مثل هذه المواقف، فبدأ التضخيم من حجم ودور (بومان) الفتاة العلمية ذات الـ ٢٩ عاماً !

أثار هذا التضخيم الإعلامي الكثير من الاعتراضات وردود الفعل الواسعة بخصوص عشرات المشاركين في الإنجاز (حتى اضطر زميلها أندرو تشيل لكتابة تبرئة لها لاحقاً لحفظ ماء الوجه)، وللدرجة التي جعلت (بومان) نفسها تكتب على صفحتها الخاصة بالفيسبوك @katie.bouman.3 :

" ليست خوارزمية واحدة أو شخص واحد مَن صنع هذه الصورة".

No one algorithm or person made this image.

وحتى صورة تعبير وجه (بومان) التي نشرها معهد MIT في تويتر يبدو أنه تم اختيارها عن قصد ! لأنه لم تكن (بومان) أول مَن شاهد الصورة المجمعة ! حيث تم سؤالها في تعليقات منشورها في الفيسبوك عن ما إذا كانت هي التي التقطت أول صورة للثقب الأسود (أو أول مَن جمعتها) فقالت بوضوح :

"في الواقع لا، كان هناك عدد منا متكدسين في الغرفة وضغطنا على أجهزة الكمبيوتر الخاصة بنا في نفس الوقت بالضبط ! لم نكن نريد أن يكون أي شخص أو خوارزمية أول مَن يصنع الصورة".

Actually no, there were a number of us that all squeezed into the room and pressed go on our computers at the same exact time! We didn't want any one person or algorithm to be the first one to make the image.

قد لا يكون الذنب ذنب (بومان) في هذا التصدير المتعمد لها إعلامياً (والذي جعل المعترضين يتجاهلون مجهودها الفعلي للأسف) أما الحركات النسوية.. فقد بررت الهجوم على تصدير (بومان) بأنه رد فعل من (اليمينيين)[١] على إنجاز أنثوي في مجال علمي ! حتى أن بعضهن زعمن أن خوف الرجال من

---

[١] في التكتلات السياسية والفكرية الغربية : يشير اليمين إلى مَن يتمسكون بالتقاليد والقيم المجتمعية أو المَلَكية أو الدينية السائدة أو المتوارثة، ويشير اليسار إلى اتجاه التغيير والتحرر من كل القيود المجتمعية أو المَلَكية أو الدينية ونحوه، ولقد نشأت التسمية في البرلمان الفرنسي في القرن الـ ١٨ عندما تم تقسيم الحاضرين إلى قسمين، قسم جلس على اليمين يدافع عن البقاء على الوضع المعروف من الحكم الملكي وقيمه وتقاليده، وقسم جلس على اليسار يؤيد تغيير نظام الحكم والشعب إلخ.

ارتقاء النساء في المناصب هو مثل خوف الأكثرية البيض من ارتقاء الأقلية السود المضطهدة للمناصب !

هل المرأة أضعف جسديا من الرجل ؟

عندما تتمادى النسويات في مطالب (المساواة) فقد يشذ بعضهن بزعم مساواتهن بالرجل جسدياً كذلك، ثم يبدأن في عرض بعض الوظائف أو المهام التي تقوم فيها (قلة) أو (ندرة) من النساء بـ (تقليد) (بعض) إنجازات الرجال (الخاصة) : فقط ليثبتن أنهن (يستطعن) !

المشكلة أن مجرد تتبع النساء للرجال في ذلك لمحاولة إثبات (قدرتهن) : هو اعتراف منهن بتقدم الرجال في تلك المجالات ! وأن اللاحق هو مَن (يحتاج) إلى أن يثبت (قدرته) وإلى أن يثبت أنها (تقارب) السابق !

ولننظر في الجدول بالصفحة التالية مثلاً حول الأرقام القياسية لبعض ألعاب القوى العالمية - مثل مسابقات (العدو) أو (الجري) - ونرى :

المسافة	رجال	نساء
١٠٠ متر	يوسين بولت **٩.٥٨** ثانية	فلورنس غريفيث جوينر **١٠.٤٩** ثانية
٢٠٠ متر	يوسين بولت **١٩.١٩** ثانية	فلورنس غريفيث جوينر **٢١.٣٤** ثانية
٤٠٠ متر	وايد فان نيكيرك **٤٣.٠٣** ثانية	ماريتا كوخ **٤٧.٦٠** ثانية
٨٠٠ متر	ديفيد روديشا **١:٤٠.٩١** دقيقة	جارميلا كراتو تشفيلوفا **١:٥٣.٢٨** دقيقة

ونتابع في الجدول بالصفحة التالية الأرقام القياسية المسجلة في مسابقات المسافات الأبعد (حيث الحاجة أكبر لقوة التحمل) :

نساء	رجال	المسافة
جينزيبي ديبابا ٣:٥٠.٠٧ دقيقة	هشام الكروج ٣:٢٦.٠٠ دقيقة	١٥٠٠ متر
وانغ جونتشيا ٨:٠٦.١١ دقيقة	دانيال كومين ٧:٢٠.٦٧ دقيقة	٣ آلاف متر
تيرونيش ديبابا ١٤:١١.١٥ دقيقة	كينينيسا بيكيلي ١٢:٣٧.٣٥ دقيقة	٥ آلاف متر
ألماز أيانا ٢٩:١٧.٤٥ دقيقة	كينينيسا بيكيلي ٢٦:١٧.٥٣ دقيقة	١٠ آلاف متر
تيغلا لوروب ١:٠٥:٢٦.٠٦ ساعة	هايلي جبريسيلاسي ٥٦:٢٥.٩٨ دقيقة	مسافات طويلة (مضمار)
بيريجيت كوسجي ٢:١٤:٠٤ ساعة	إيليود كيبشوجي [١] ٢:٠١:٣٩ ساعة	ماراثون للجنسين

---

(١) هذا الرقم الذي سجله العداء الكيني (إيليود كيبشوجي) Eliud Kipchoge كان في ماراثون عام ٢٠١٧م في برلين، جدير بالذكر أنه في عام ٢٠١٩م في ماراثون فيينا حقق (إيليود) رقماً قياسياً عالمياً كونه أول مَن يتخطى المراثون في أقل من ساعتين على مر التاريخ حيث تخطاه في ١:٥٩:٤٠ ساعة، لكن رفض الاتحاد الدولي لألعاب القوى الاعتراف الرسمي بالرقم القياسي لأنه كان في مسابقة مفتوحة.

وكملاحظة على الأرقام السابقة :

نرى أن الفارق بين أرقام الرجال والنساء يتراوح بين (**١** ثانية) في سباقات العدو القصيرة (١٠٠ متر) ويصل لأعلى فارق (**١٣** دقيقة تقريباً) كما في سباق المراثون (والذي يصل لأكثر من ٤٠ كيلومتر).

علماً بأن الرقم القياسي في سباق ١٠٠ متر للنساء **١٠.٤٩** ثانية (باسم الأمريكية فلورنس غريفيث جوينر) هو أقل من أقل رقم قياسي لسباق ١٠٠ متر رجال على مستوى القارات !

فأعلى رقم تم تسجيله في **أمريكا الشمالية والوسطى والكاريبي** :

هو للجامايكي (يوسين بولت) **٩.٥٨** ثانية.

يليه الرقم القياسي في **أفريقيا** :

وهو للنيجيري (أولوسوجي فاسوبا) **٩.٨٥** ثانية.

يليه الرقم القياسي في **أوروبا** :

وهو رقمين للفرنسي (جيمي فيكوت) **٩.٨٦** ثانية (اختلاف الرياح). وللبرتغالي (فرانسيس أوبيكويلو) **٩.٨٦** ثانية كذلك (رياح أقل).

يليه الرقم القياسي في **أسيا** :

وهو رقمين للقطري (فيمي أوغندي) **٩.٩١** ثانية (اختلاف الرياح).

يليه الرقم القياسي في قارة **أوقيانوسيا** (أستراليا والجزر التي حولها) :

وهو للاسترالي (باتريك جونسون) **٩.٩٣** ثانية.

يليه في الأخير الرقم القياسي في **أمريكا الجنوبية** :

وهو للبرازيلي (روبسون دا سيلفا) **١٠** ثواني.

هذا يعني (كما قلنا) أن أقل رقم قياسي في الرجال (**١٠ ثواني**) هو أسرع من أسرع رقم قياسي في النساء (**١٠.٤٩ ثانية**) !

مكتبة
t.me/t_pdf

والآن...

ماذا عن بقية ألعاب القوى ؟

تعالوا نختم بقية المقارنة بأرقام قياسية لعدة مسابقات متنوعة كما بالجدول في الصفحة التالية :

المسافة	رجال	نساء
٣٠٠٠ متر (حواجز)	سيف سعيد شاهين **٧:٥٣.٦٣** دقيقة	روث جيبيت **٨:٥٢.٧٨** دقيقة
قفز عالي	خافيير سوتوماير **٢.٤٥** متر	ستيفكا كوستا دينوفا **٢.٠٩** متر
قفز عالي بالزانة	رينو لافينيه **٦.١٦** متر	يلينا إيزينبايفا **٥.٠٦** متر
وثب طويل للأمام	مايك باويل **٨.٩٥** متر	غالينا تشيستيا كوفا **٧.٥٢** متر
دفع الجلة للأمام	راندي بارنز **٢٣.١٢** متر	ناتاليا ليسو فسكايا **٢٢.٦٣** متر
رمي المطرقة	يوري سيديخ **٨٦.٧٤** متر	أنيتا ولدريزتش **٨٢.٩٨** متر
رمي الرمح	يان جيليزني **٩٨.٤٨** متر	باربورا سبوتا كوفا **٧٢.٢٨** متر
رمي القرص	يورجين سكوت **٧٤.٠٨** متر	جابريلي رينسيتش **٧٦.٨٠** متر

حيث المستطيل الأخير الذي ميزته بخط سميك (رياضة رمي القرص) هو الرقم الوحيد الذي لاحظته (حسب اطلاعي) الذي تفوقت فيه النساء على الرجال، وفي الحقيقة رمي القرص لا يعتمد على القوة واللياقة الجسدية فقط كباقي الألعاب الأخرى، وإنما يتعلق بصورة كبيرة أيضاً بالتوفيق وبعض الحظ في ضبط اتزان ودوران الجسم أثناء رمي القرص وتوجيهه في الزاوية التي أمام الرامي (لذلك يحاط اللاعب بشبك قوي مرتفع لاحتمالية التوجيه الخطأ في الرمي)، لكن في العموم الأرقام تتحدث عن نفسها.

جدير بالذكر أن هناك مسابقة تسمى (السباعي) خاصة بالنساء (مسابقة في ٧ ألعاب قوى في يومين متتاليين)، يقابلها مسابقة (العشاري) للرجال (مسابقة في ١٠ ألعاب قوى في يومين متتاليين).

خلف الكواليس

عندما اخترت مجال ألعاب القوى للمقارنة فقد اخترته لأنه أعلى تحدي جسدي أنثوي لمنافسة الذكور (وذلك بخلاف المجال العقلي والذي يهيمن عليه الرجال كما نرى في جائزة نوبل مثلاً لتشابك أسباب ذلك) لكن السؤال هنا : ماذا يحدث خلف الكواليس ؟ فالذكور منذ صغرهم نجد في طبيعتهم الجري والتنافس الجسدي والعنف، فماذا عن الإناث أو الفتيات منذ صغرهن ؟ ذلك لأن طريق (البطولات) و (الميداليات) يجب أن يبدأ غالباً منذ الطفولة بنظام جسدي وتدريبي صارم جداً يعادي في حقيقته وواقعه الطبيعة الرقيقة للإناث !

وهنا أدعوكم للبحث خلف الضحكات والابتسامات التي على الشاشات لنكتشف معها أحد الأمثلة من فضائح التعنيف القهري وشتى أنواع الضغوط النفسية، والتي يتم ممارستها على أولئك الفتيات للأسف !

يتعلق مثالنا بواحدة من تلك الفضائح مؤخراً وهي انتحار لاعبة ألعاب القوى الكورية الجنوبية (تشوي سوك هون) Choi Suk-hyeon، وقد نشرها موقع edition. CNN.com في ٢١ يوليو ٢٠٢٠م بعنوان :

" قبل أن تنهي حياتها، لاعبة سباق ثلاثي تطلب من أمها كشف خطايا الذين زعمت استغلالهم لها".

Before taking her own life, triathlete asked her mother to 'lay bare the sins' of her alleged abusers

والسباق الثلاثي هو سباق من سباقات ألعاب القوى يشمل السباحة وركوب الدراجات والجري، وهو ما يتطلب تدريبات عالية الإجهاد، لم يرحمها فيها مدربها وهو يأمل - كغيره من آلاف المدربين حول العالم - الفوز بالمزيد من البطولات والميداليات !

كان غليظاً في معاملته لها إلى حد إهدار كرامتها أكثر من مرة بالإضافة إلى التعنيف الجسدي والقولي، ليس هذا فقط، بل كان يدفع والديها لمساعدته في تلك الضغوطات النفسية الكبيرة عليها قياساً بما يحدث للذكور عندما يشتد المدرب عليهم ليخرجوا أقصى ما عندهم !

لكن فاتهم فيما يبدو أنها (أنثى) أولاً وأخيراً !

أنثى يتم التعامل معها بقسوة مثل الذكور قد تصل إلى حد الإهانة، أنثى قد تغيب عن بيتها بالأسابيع والشهور في معسكرات ومباني التدريب للبطولات لتخضع لأنظمة صارمة يجب عليها اتباعها كما لو كانت في سجنٍ كبير ! ثم هي تفتقد - في كل ذلك - إلى ما تحتاجه أي أنثى من دعم عاطفي، فضلاً عن الدعم العائلي !

في إحدى المرات عام ٢٠١٧م هربت لمدة يومين من سكن التدريب الذي تم فرضه عليها، وكان قد فاض بها الكيل لتفكر في عدم المشاركة في مسابقات عام ٢٠١٨م، فقام المدرب باستدعائها ووالديها لتعنيفها أمامهما لمخالفتها الأنظمة، ثم طلب من أمها أن تصفعها أمامه... ففعلت ! ثم صفعها هو الآخر وسط دموع (تشوي) و(أمها) ! وقد شهد والدها فيما بعد بما حدث وكذلك زميلة لها، كما نشر القصة موقع allkpop بتاريخ ٧ يوليو بعد انتحارها في سن ٢٢ سنة تحت عنوان :

"والدة الرياضية (تشوي سوك هون) تصفع وجه ابنتها بأمر من مدربها".

Athlete Choi Suk Hyeon's mother coerced to slap her own daughter's face by coach

ومع انتشار خبر انتحار اللاعبة وما تركته من اتهامات ورسائل نصية بينها وبين والدتها تشكو من سوء المعاملة والقسوة : فتحت الباب على مصراعيه للاعبات أخريات وزملاء وزميلات بدأوا في الإدلاء بشهاداتهم عن هذا العالم الخفي في كواليس الألعاب الرياضية !

يقول والدها في حسرة لموقع CNN عن غمرة الفرح بفوز الأبناء :

" أفضل ذكرى لنا (نحن آباء الرياضيين) هو رؤية ذلك الوجه الفخور بالفوز بميدالية بعد تدريب شاق"... "لم أكن أعرف ما يحدث في ذلك الوقت، ولكن من المؤلم جداً إدراك أننا الآباء كنا حمقى ! لم نكن نعرف جيداً ما يحدث في ذلك الوقت، ولكن الآن وبعد أن فكرت في الأمر، صارت تلك الذكريات الجيدة تؤلمنا أكثر".

الكثير من اللاعبين واللاعبات بدأوا في الحديث عن استبداد وقسوة بعض المدربين خاصة للفتيات (وقد أدلى بعضهم بشهادتهم وهم يغطون منتصف وجوههم خوفاً من ردة فعل المدربين)، كما صرح بعض المسؤولين الرياضيين ومسؤولين في الدولة بكلمات للمواساة، ولإظهار الاستنكار على تلك الممارسات التي وصفوها بأنها قديمة وبالية، وأنه قد حان الوقت للتخلص منها ليستمتع الرياضيون بألعابهم، وبكل قطرة عرق تسقط منهم في التدريبات.

كما أشار موقع CNN في نفس الخبر إلى ما تم إثارته أيضاً في كوريا الجنوبية من قبل في عام ٢٠١٨م عندما حققت (بولا هانكوكس) Paula Hancocks في ثقافة إساءة المعاملة في رياضة التزلج السريع. حيث قالت إحدى اللاعبات أنها عانت من الإيذاء الجسدي منذ سن ١١ سنة، ثم عانت من التحرش الجنسي من سن ١٥ سنة !

هذا غيض من فيض، حيث يوجد مثل هذه الفضائح والأخبار في بلدان ودول كثيرة أخرى لمن يريد البحث خاصة أوروبا وأمريكا.

عالم القصص المصورة والأبطال الخياليين

إن الرجال بطبعهم يميلون إلى قصص المغامرة والبطولة والإقدام والشجاعة والعنف (ولا عجب، فالرجال هم الأداة الأولى للحرب في كل العصور : تماماً كما أن النساء هن الأداة الأولى للتربية والحضانة)، لذلك نجد أن أول ظهور لشخصيات الأبطال الخارقين كان على يد مؤلفين ورسامين ذكور (وهم أكثر من الإناث)، والذكور هم جمهورها الأكبر.

كانت بداية قصص الأبطال تصور رجالاً عاديين لكن يتصفون بالقوة

والشجاعة (سواء بوجوههم المكشوفة أو بأقنعة تخفي شخصياتهم)، وقد انتشرت انتشاراً كبيراً منذ بدايات القرن العشرين وإلى قرابة عام ١٩٣٠م، مثل (**روبن هود**) Robin Hood – و (**زورو**) Zorro – و (**الظل**) The Shadow – و (**الشبح**) Phantom، أو حتى في مغامرات الفضاء التي ألهبت مشاعر الناس بالمغامرات الخيالية في أعماق الكون، ومع المخلوقات والكائنات الفضائية الغريبة مثل مغامرات (**فلاش جوردون**) Flash Gordon و (**باك روجرز**) Buck Rogers، كل ذلك اتسعت رقعة انتشاره وجماهيريته كثيراً مع تحوله إلى سلاسل قصصية مرسومة ومصورة (أو ما يسمى **بالكوميكس** أو الكتب والمجلات الهزلية كما كانت تعرف في ذلك الوقت). إلى أن جاء وقت ظهور الصفات الخارقة !

فبعدما كان يتم حصر القوى الخارقة في الآلهة الوثنية الخيالية أو شخصياتها الأسطورية لأنصاف الآلهة (مثل هرقليز في الأساطير الإغريقية)، وبعدما كتب اليابانيان (سوزوكي أيكيرو) و(تاكيو ناجاماتسو) عن الأساطير الخيالية اليابانية القديمة، قررا في عام ١٩٣١م ابتكار شخصية خيالية مستوحاة منها لكن ستعيش في عصرنا الحاضر لأول مرة ! فظهرت بذلك أول شخصية خارقة في الرسومات المصورة اليابانية باسم (**الخفاش الذهبي**) Ôgon Bat أو Golden Bat، حيث تم ابتعاثه من الماضي (من ١٠ آلاف سنة) ليحارب قوى الشر التي تهدد العالم الحديث، وتم تصويره بقوة جسدية خارقة، ومناعة ضد الأسلحة، ويمكنه الطيران.

تلا ذلك بسنوات ظهور أشهر الشخصيات الخارقة لكن في الغرب هذه المرة، وهي الشخصيات المعروفة إلى اليوم مثل (**الرجل الخارق: سوبر مان**) Superman عام ١٩٣٨م، و (**الرجل الوطواط: بات مان**) Batman

عام ١٩٣٩م ومعه في نفس العام (**كابتن مارفيل**) Captain Marvel، وغيرهم الكثير الذين بدأوا في الظهور تباعاً حتى في بلادٍ أخرى في أوروبا وغيرها. ففكرة القصص المصورة حظيت بشعبية سريعة جداً في ذلك الوقت من أمريكا إلى اليابان، وكانت بمثابة أفلام الخيال العلمي التي نراها نحن اليوم.[1]

بداية الظهور النسوي (الخارق) !

لا شك أنه كما ألهبت تلك الشخصيات خيال الرجل العادي بهذه القدرات التي يُحلّق بها فوق صعاب حياته اليومية في عالم الخيال، فقد بدأت تداعب أيضاً خيال النساء، خاصة مع نشاط الحركات النسوية منذ الربع الأول من القرن العشرين، ومع المناداة المحمومة بالمساواة مع الرجال، ودعاية امتلاك المرأة للقدرات والإمكانات مثل الرجل.

لذلك... لم يتأخر في تلك الحقبة النسوية في الغرب ظهور المرأة الخارقة عن ظهور الرجل الخارق، فنرى أول ظهور لشخصية مثل (**المرأة العجيبة**) Wonder Woman كان مع بقية الرجال الخارقين في إحدى مغامرات

---

[1] تعد شركة (مارفيل) MARVEL من أشهر شركات القصص المصورة أو الكوميكس منذ ظهورها وإلى اليوم، وقد أسسها (مارتن جودمان) عام ١٩٣٩م، وأيضاً شركة (دي سي كوميكس) DC_Comics التي نتجت عن دمج شركتي كوميكس كبيرتين في ١٩٣٨م، ويرجع أول حرفين فيها DC إلى اختصار اسم الشركة الأساسي Detective Comics، وهي الشركة الأشهر في ظهور العديد من الشخصيات الخيالية التي ظهرت منذ عام ١٩٣٨م تباعاً مع إصداراتها الجديدة باسم Action Comics وعلى رأسها شخصية (سوبرمان).

أبطال الكوميكس عام ١٩٤١م، ثم بدأ ظهور مغامراتها الخاصة بها منفردة عام ١٩٤٢م. أما مخترع الشخصية فكان عالم النفس الأمريكي (ويليام مولتون ماريستون) وذلك بإيعاز من زوجته (إليزابيث) وشريك حبهما الثالث (أوليف بيرن) ![1]

حيث استقوا فكرتها من أسطورة شعب (الأمازونيات) Amazons القديمة - التي ذكرناها في هامش سابق – وذكرنا اتخاذ (كاميل باليا) لها أنموذجاً مثالياً للمرأة القوية المنشودة عندها بوجه عام !

ومن هنا تم اختراع بعض الصفات الخارقة لـ (**المرأة العجيبة**) مثل القدرة القتالية العالية والسرعة والطيران ونحوه.

لكن يبدو أن الشعبية الجارفة لـ (**سوبر مان**) لم تتغير مع ظهور (**المرأة العجيبة**)، ومن ثم بدأ ظهور إرهاصات **التقرب النسوي** من شخصية (**سوبر مان**)... لكن على استحياء في البداية، كان هناك خجل يسود ذلك التقرب المكشوف لمحاولة تجنب **الاتهام بالتقليد أو استنساخ فكرة الرجل الخارق بشكل غير مستحق.**

---

[1] إحدى مظاهر انتكاس الفطرة هي ما يعرف بـ (علاقة الحب المتعددة) أو (بولي آموري) Polyamory (مقطع بولي باليونانية يعني متعدد، و آمور يعني الحب)، ويزعم فيه المعددون أنه نوع يناسب فطرة الإنسان في أن يتعدد الرجال مع المرأة الواحدة بالاتفاق بينهم أو العكس، وأما أساسهم لحفظ تلك العلاقات من المشاكل والاقتتال على الشريك (خاصة الرجال على المرأة الواحدة) هو عقد اتفاقات معينة وتنظيمها بينهم (ثم يعيبون على تشريع الزواج وعقد الزواج !) فلا عجب أن تصدر أقبح أفكار الإلحاد والوجودية والعدمية والتفسخ الأخلاقي والنسوية المتطرفة التي تنادي بالمساواة المطلقة من مثل هؤلاء، والذين لم يستحوا من ذكر تفاصيل تلك العلاقات الجنسية الفاحشة في كتبهم ومذكراتهم (ومن أمثلة ذلك تقاسم الملحد جان بول سارتر والمخرج كلاود لانزمان : للملحدة سيمون دو بوفوار) !

فبدأ التقرب أولاً في أحد أعداد قصص الكوميكس عام ١٩٤٣م بحلم للصحفية (لويز لين) محبوبة الرجل الخارق (**سوبرمان**)، ترى فيه أنه قام بالتبرع لها بدمه، فاكتسبت بذلك قدرات خارقة مثله، وصارت المرأة الخارقة (**سوبر وومان**) Superwoman !

بعدها بأربع سنواتٍ كاملة تكرر إلصاق الصفات الخارقة (غير الحقيقية) بالصحفية (لويز لين) مرة ثانية بسيناريو مفتعل غريب آخر في قصة كوميكس عام ١٩٤٧م، حيث ألقى ساحران عليها تعويذةً لتظن أنها أصبحت امرأة خارقة (**سوبر ووومان**) Superwoman وتحاول بالفعل إنقاذ الناس، لكن في الحقيقة يضطر الرجل الخارق (**سوبر مان**) أن يستغل سرعته الرهيبة في إنجاز العمل دون أن تشعر هي بذلك !

ثم بعدها بأربع سنواتٍ أخرى (وللمرة الثالثة) يقوم أحد شخصيات الكوميكس (ليكس لوثر) في قصة عام ١٩٥١م بعمل اختراع يعطيها بالفعل قوى خارقة حقيقية (أخيراً) !

أول ظهور للفتاة الخارقة Supergirl

لم تُشبع تلك الإرهاصات الجوع النسوي في مناطحة شخصية خيالية مثل (**سوبر مان**)، حيث افتقد نموذج الصحفية (لويز لين) للأصالة في قواها الخارقة، قواها كانت دخيلة مستحدثة، وهو ما لا ترضاه النسويات أن يكون هناك هذا الفارق بين الاثنين !

لذلك لم يكن هناك بد في عام ١٩٥٩م (وبعد أكثر من ٢٠ سنة من ظهور شخصية **سوبر مان**) من إظهار فتاة بنفس أصالة صفاته تماماً بتمام

(أي بالولادة مثله) بل وبنفس الاسم (**الفتاة الخارقة**) Supergirl. وهو ما اضطرهم لزيادة خلفية جديدة لأحداث نشأة (**سوبر مان**) في كوكب (كريبتون)، وهي أنه بعدما تم تهريبه من كوكبه إلى الأرض وهو رضيع، تم إرسال (ابنة عمه) الطفلة خلفه لحمايته !

حلٌ عبقريٌ لاستنساخ جميع القوى والصفات الخارقة التي ظهرت عند وصول كل منهما إلى الأرض ! وهكذا (وبعد كسر حاجز هذه التجربة لأشهر بطل خارق رجل) : صار كل ما بعدها أسهل منها على جمهور المتابعين.. فظهرت عشرات النسخ النسوية المكررة من أشهر الأبطال الخارقين الرجال، ظهرت (**المرأة الوطواط**) و(**المرأة العنكبوت**) وهلم جرا (**تقريباً معظم الأبطال الخارقين الرجال في جميع القصص المصورة ظهرت النسخ النسوية منهم**) !

مشكلة (المرأة الخارقة) !

قد يتعجب البعض إذا علم أن أكبر مشكلة هنا هي أن (البناء النفسي) للنساء البطلات أو الخارقات : يتم صياغته ليتطابق مع (البناء النفسي) الذكوري ! يعني يتم صياغته نفسياً وعاطفياً مثل الرجال ... وهذا خطأ.

لأنه يمثل إحدى مشكلات الرجال الذين يتأثرون بتلك الصورة الزائفة عن شخصية المرأة .. فيبدأون في التعامل معها وفق تلك الانطباعات (وكأنها رجلاً مثلهم)، فلا يهتمون مثلاً بكلمات الثناء والإشباع العاطفي المرهف لها !

بل ولا يدركون الضرر النفسي لذلك عليها، كيف لا وهم يتوقعونها (قوية) و(ثابتة عاطفياً) لا تحتاج لكلمات الثناء بعكس الرجال الذين يكفيهم الأفعال

والسلوكيات، في حين كل امرأة تدرك أهمية سماع كلمات الثناء والحب بأذنيها مثلما تستشعره بالأفعال. لكن قد تكون هي الأخرى أعطته هذه الانطباعات بتقمصها لدور البطلة الذكورية أمامه !

كذلك عندما يعطي الزوج أوامره لزوجته : يعطيها إياها وفي ذهنه أنها سوف تنفذ الأوامر (مباشرة) مثلما يفعل الرجال أو مثلما يحدث في المغامرات والبطولات، لكنه يفاجأ بعوائق شخصية كثيرة في زوجته تحول دون ذلك مثل التأخير أو النسيان ! فيظن أن ذلك عن استخفافٍ منها بكلامه، ومن هنا تنشأ أكثر مشاكلها معه.. فالرجل عندما يعطي أمراً فهو يعني كل كلمة فيه ويهمه تنفيذه (بغير جدال) وكما قاله - بغض النظر عن فهم المرأة لحكمته وأبعاده أم لا - تماماً كما يحدث في المواقف الهامة في الجيش أو الشرطة، أو كما يحدث بين أي قائد ومرؤوسيه أو المدير وموظفيه، فلا يقبل أحدهم تأخيراً أو جدالاً، لأن الذي في موضع التصرف والقيادة لديه معلومات ورؤية أكثر من الذين دونه في المسؤولية، وعدم إدراك الرجل لاختلاف استجابة المرأة عنه للأوامر (فهي ليست رجلاً مثله) : ينشأ عنه أكثر المشاكل بينهما.

ماذا عن تساوي الشعور بالألم ؟

وهنا أفسح المجال لأخت فاضلة أخرى (مثلما فعلنا سابقاً مع الأخت ندى عمر) لكن هذه المرة في المجال العلمي الأكاديمي وليس النفسي العاطفي، حيث كتبت الأخت (خديجة العوفي) على صفحتها الخاصة في الفيسبوك (خديجة العوفي@) - وهي باحثة أحياء حاصلة على بكالريوس كلية العلوم من جامعة مُحَّد الخامس بالمغرب - الكلام التالي :

" نعم أنتِ أضعفُ منهُ

#استجابة_الألم

#مساواة_المرأة_بالرجل

لماذا يجب على العاقلة حقاً والمدعية للعلم والثقافة والعصرنة أن ترفض فكرة مساواة المرأة مع الرجل بشدة وتمتعض منها ؟

(أرجو تفحص الصور العلمية + الدراسات الكثيرة جداً والتي اخترت بعضاً منها في التعليقات)

الأمر حقيقة حينما تسمعه من واحدة تدعي العلم والثقافة ثم تنعت كل مَن استجابت لأمر ربها قبل أن تطلع على الحقائق والدراسات العلمية إيماناً وتسليماً : مضحك ومثير للشفقة !

يا جماعة الخير، الرجل لا يختلف فزيولوجياً فقط في الحجم العالي والأكبر لـ :

الدماغ

والقلب ومعدل ضرباته أثناء مجهود بدني حاد

ومخزون الحديد

وكريات الدم البيضاء

والهيموجلوبين

وكالسيوم العظام

وعناصر عضوية كثيرة مرتفعة عند الرجل، بل حتى نوع أليافه العضلية هي أجود وأقوى (ولو عددت الاختلافات للزمنا منشور طويل ليس هو غرضي هنا).

بل عن الآليات التي تزيد الضعف عند المرأة إيجاباً موجودة أيضاً !

فمعدل الاستجابة للألم عند المرأة أعلى وأشد ! وهو ما يُضعف مختلف أنواع اللياقة عند المرأة، بالأخص ما تشترك فيه مع الرجال (أما ميكانيزمات الحمل والولادة فأمر له إعداد وتدبير رباني خاص).

فذاك الصراخ النسوي الذي يعرفه الجميع ويستهزأ منه من كل ألم جسدي يطال امرأة : ليس ضعفاً لقلة تحمل فقط، وإنما لتوفر أجسام النساء على مستقبلات حسية أعلى للألم منتشرة بجسدها، مع دماغ مجهز ليكون #أسرع استجابة بل و #أطول تأثراً بالشعور المؤلم الذي ينتشر ويتمدد في أعصاب أجسامهن !

فمثلاً تعريض رجل لصعقة كهربائية يأخذ وقتاً أطول ليشعر بها وبشدة أخف ثم يختفي أثرها بسرعة من جسمه (هكذا جهازه العصبي مُعدّ ومُبرمج للصدّ والتحمّل)، عكس المرأة تماماً والتي تشعر أسرع وأشد، بل ويستمر الإحساس في أعصابها الحسية لمدة أطول !

حتى مرض الصداع النصفي (الشقيقة) : معروف أن ألمه مُضاعف ثلاث مرات عند المرأة مقارنة بالرجل، حيث أظهرت الدراسات بشكل قاطع أن للرجل بنية صلبة عنيدة أمام المؤثرات المؤذية، ومُجهزة بآليات لا تستجيب بحساسية كبيرة أصلاً ! وذلك حتى يرتفع معدل تحمله، وليس الأمر هكذا عند النساء..

هذا الشعور المركز والقوي للألم في جلد وأعضاء ودماغ وأعصاب المرأة يزيد ضعفها، وهو ما يؤكد فطريته فيها وأنهن خلقن عمداً به حينما نقارنهن بالرجال، وذاك قطعاً لغايات حكيمة لا تخفى..

الأمر لا يتوقف عند الألم "الميكانيكي"، بل إن هناك نوع أمراض مؤلمة عند النساء بوتيرة أعلى عندهن كذلك (كما في الجدول الأصفر والمبيان الأزرق بالفرنسية). [1]

في حين أن متوسط معدل الحياة أكبر عموماً عندهن، وكذا الشيخوخة الدماغية لعدم تعرضهن للإجهاد والعمل وباقي خصائص حياة الرجال..

وهذا فقط على مستوى فزيولوجي بيولوجي بحت فيما يخص فقط #جزئية اختلاف الاستجابة للألم ومدى شدته بين الحنسين، لأن هناك مزيد.. أما الاختلاف النفسي السايكلوجي فهو أوضح من أن يشار له وأشهر من نارٍ على علم !

فدعوة المساواة عند العلمانيات والملحدات ومَن على شاكلتهن من المتأسلمات تنمّ عن جهل عميق، وتنطع لا تحضر، وعلم دعوةٌ تستحيي الواحدة أن تطالب بها فضلاً على أن تأخذها قضية حياة ! وهي دعوة أكيد رجعية لأنها تخلّفٌ عن مستجدات العلم.

إنما العاقل والعاقلة ستدافع عن العدل والرحمة والتفهم والاحتواء والحفظ والتوقير والمعاملة الخاصة التي يجب أن تتمتع بها المرأة في المجتمع،

---

[1] سأقوم بإعادة رسم وتعريب وترجمة الجدول والمخطط البياني من اللغة الفرنسية مع وضع مصدر الموقع العلمي وعنوانه بعد الانتهاء من نقل كلامها. وهما يوضحان اختلاف نسبة الألم لبعض الأمراض في النساء عن الرجال.

والصبر عليها حقاً مشروعاً لا رومانسية فارغة أو في المقابل استقواء واستغلال..

وليس هذا التمييز الضروري والفاصل للمرأة عن الرجل الذي أعدّه الله إعداداً لمواجهة تحديات أشد وأكبر وأعقد في الحياة بتفوق كبير عن المرأة تحقيراً أو تنقيصاً لها، وإنما وعياً بخصوصيتها البيولوجية والنفسية وتميزها القاطع بقرائن علمية كما تعشق ذوات عجمة اللسان، اختلاف اختاره الله الخالق للجنسين معاً والفعال لما يريد، ما كانت لهم الخيرة، يخلق ما يشاء كيفما يشاء !

اختلاف في السنن الدنيوية في الخِلقة، أما معادن النفوس، والقلوب، والمواهب الإدراكية، والخصائص الروحية، والوزن عند الله، فتلك أمور قد تتفوق النساء فيها على كثير من الرجال، لأنها عناصر وجودية أعلى من سيناريو خطة الحياة الدنيا لرب العالمين.. والتشريف زيادة تكليف، فما بالك إن كان إنعاماً وزيادة عطاء حتى لا يدخل حظ نفس عند رجل ليخال أن تفوقه منجاة له يوم الحساب العظيم.

والحمد لله رب العالمين الذي بث في كتابه المسطور والمنظور آياتٍ يعضد بعضها بعضاً، لمَن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد".[1]

وفي التعليقات وضعت الأخت مصادر لكلامها السابق مثل هذه الدراسة من موقع جامعة (جونز هوبكينز) jhu.pure.elsevier.com :

"دراسة الاختلافات في الجنس والنوع بالنسبة إلى الألم وتسكين الألم : تقرير جماعي".

---

[1] من منشور لها في صفحتها على الفيسبوك بتاريخ ١٤ فبراير ٢٠٢٠م.

Studying sex and gender differences in pain and analgesia: A consensus report

ومن الموقع الأوروبي Europepmc.org دراسة بعنوان :

"الجنس والنوع والألم : نظرة عامة على مجال معقد".

Sex, gender, and pain: an overview of a complex field.

وسوف نعرف بعد لحظات سبباً من أسباب هذا التعقيد.

ومن موقع Maxisciences الفرنسي دراسة بعنوان :

"الصداع النصفي : دماغ المرأة أكثر حساسية من الرجل".

Migraine : le cerveau des femmes plus sensibles que celui des hommes

وهو ما استنتجه الفريق البحثي من جامعة هارفارد بعدما ساد لفترة كبيرة أن سبب تفاوت ألم النساء بالنسبة للصداع النصفي عن الرجال (قد يصل إلى ثلاثة أضعاف) هو الهرمونات، حيث تم الكشف عن علاقات أكثر تأثيراً لكن تتواجد في القشرة الدماغية للنساء، وقد كان يُظن أن الارتباط فقط بين الهرمونات الأنثوية والدورة الشهرية هو سبب الشعور بنوبات الصداع المتكررة، وهو ما غيرته تلك الدراسة ...

وأما ختام هذه النقطة، فهو المصدر الفرنسي الأخير الذي أوردته الأخت خديجة، والذي سنترجم منه الجدول والمخطط البياني اللذين أشارت إليهما في كلامها، وهما من موقع revmed.ch بعنوان :

"الرجال والنساء : هل نحن جميعاً متساوين في مواجهة الألم" ؟

Hommes et femmes : sommes-nous tous égaux face à la douleur ?

حيث أكد الفريق البحثي على تضافر عدة عوامل حسب الجنس والنوع والدور الاجتماعي والحالة النفسية في زيادة الشعور بالألم في النساء عن الرجال، خصوصاً مع بداية سن المراهقة فما فوق، وإليكم عدداً من تلك الأمراض المختلفة بينهما كما في المخطط التالي :

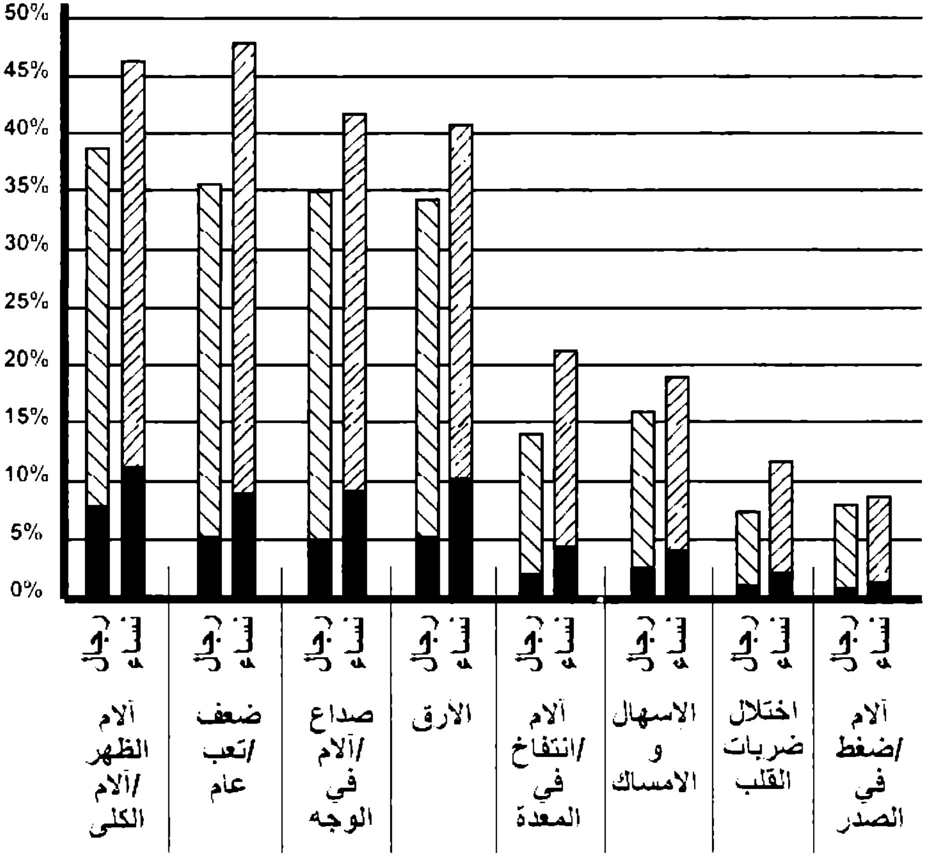

نلاحظ ارتفاع النسب في النساء عن الرجال سواء في الأقلية (التخطيط الخفيف) أو الأكثرية (التخطيط الأسود).

أمثلة	النساء اكثر ألما من الرجال	الرجال أكثر ألما من النساء
الصداع	صداع نصفي مع هالة	صداع نصفي بدون هالة
	صداع التوتر	صداع عنقودي
	التهاب الشرايين الصدغي	
الوجه	الاضطرابات الصدغية للفك السفلي	الألم العصبي التالي للالتهاب
	التهاب العصب الثالث	
الأعضاء	متلازمة النفق الرسغي	اعتلال الضفيرة العصبية العضدية
	مرض أو ظاهرة . رينود	النقرس
	ضمور عضلات عظمة الشظية	
الأحشاء	التهاب المرى	قرحة الاثنى عشر
	متلازمة القولون المتهيج	التهاب البنكرياس
	ألم ما بعد استئصال الرحم	
أمراض المناعة الذاتية	الذئبة الحمامية	متلازمة . رايتر
	التهاب المفاصل الروماتويدي	

وفي الجدول أعلاه : أكثر الأمراض المؤثرة في الجنسين... إذن :

يتبين لنا أن أكثر مَن يتجنى على النساء هن النسويات أنفسهن عندما يدفعن بهن إلى متاعب الحياة مثل الرجال دون مراعاة الفروقات بينهما ! بل وسيعاملهن الرجال وفق ذلك للأسف، فالصورة (البطولية) المبالغ فيها أو (الخيالية) للمرأة – التي يبثونها في الأفلام وغيرها – هي أضر ما يكون عليها !

حتى الخوف !

قبل أن أنتقل إلى الثلاثة اللاتي اختارتهن (كاميل باليا) كرموز للنسوية عندها أو قدوات لها في القرن العشرين :

أود الإشارة إلى أنه حتى الخوف الفطري : مختلف في النساء عن الرجال !

ولنأخذ في ذلك مثالاً شهيراً قد يعرفه ويلاحظه كل منا في أهل بيته (أمهات – أخوات – زوجات – بنات) وهو الخوف من رؤية العناكب !

حيث وجدت الدراسات أن نسبة خوف الإناث من رؤية العناكب قد تصل إلى (أربعة أضعاف) الذكور ! (وحاولت النسويات افتعال دراسات مشابهة لذلك تكون في صالحهن لكن بقي الفارق بلا تغيير يذكر) !

حيث نشر موقع Newscientist العلمي الشهير مقالاً بعنوان :

"**الفتيات مهيئات للخوف من العناكب**".

Girls are primed to fear spiders

حيث وجد الباحثون الربط بين رؤية العناكب والخوف يبدأ في الفتيات من سن ١١ شهراً ! بعكس الأولاد الذين لم يبد الأمر مرتبطاً لديهم.

وقد تمت التجارب عن طريق تعريض مجموعات من البنين والبنات الصغار لصور مختلفة لعناكب وزهور وأوجه خائفة وأخرى سعيدة لمدد متساوية، جدير بالذكر أن تفسيرهم لذلك الاختلاف يعود إلى اختلاف سلوكيات الرجال عن النساء في الماضي، وميل النساء للخوف من الحيوانات بصورة أكبر من الرجال للحفاظ على أنفسهن والأطفال، أقول : وحتى هذا التفسير – رغم أننا لا نسلم به بهذه الصورة – إلا أنه يدل على (مَن) فطرهن على ذلك !

رموز البطولة النسوية عند (باليا)

عندما نتحدث عن (رموز البطولة النسوية) عند (باليا) فلن نخرج غالباً عن ٣ أنماط، إما امرأة متحررة متميزة في مجال نادراً ما يلجه النساء أصلاً ! وإما ممثلة متحررة .. وإما كاتبة تدعو إلى الجنس دون أي نظر للعواقب التي تترتب على ذلك، تماماً كمدعية الحكمة وهي تخبر شابة - بكل ثقة - أن تتعرى في ملابسها وتنزل إلى الشارع ! تفعل ذلك وهي تقنعها بأنه من (كمال) حريتها. تفعل ذلك وهي لا تعبأ بما سيحدث لها بعده من تحرش أو اغتصاب !

تقول (باليا) :

"إذا طُلب مني تقديم بعض الرموز التاريخية أو مَن يجب أن يتم وضعهن كإرث من القرن العشرين، أود أن أسمي ثلاث نساء بارزات: (أميليا إيرهارت)، التي غزت العالم الذكوري الخطِر؛ (كاثرين هيبورن)، التي جسدت في الحياة والفن مجموعة هائلة من شخصيات الإناث القويات؛ و(جيرمين جرير) في أول ظهور لها. وهؤلاء الثلاثة يرمزن إلى امرأة القرن العشرين الجديدة.

ومع ذلك، لا بد أن ألفت النظر إلى ما كانت تفتقده هؤلاء الثلاثة، جميع هؤلاء النساء لم يكن لديهن أطفال".[١]

الحقيقة نقطة الاشتراك لم تكن رفض الإنجاب فقط، وإنما كان ثلاثتهن متشبعات كذلك بفكر التمرد النسوي الليبرالي المتحرر جنسياً، فـ (أميليا إيرهارت) Amelia Earhart المولودة في ١٨٩٧م، وصاحبة الأرقام القياسية في عالم الطيران للنساء، وأيقونة الإلهام لملايين الأمريكيات (ومنهن باليا) :

---

[١] من محاضرة (معركة الجنسين الحديثة) — مصدر سابق.

عندما شعرت (كأنثى) بحاجتها الفطرية للعاطفة مع (رجل) وقبلت الارتباط بخطبة مع (صامويل شابمان) Samuel Chapman : فلم يمنعها ذلك (كامرأة ليبرالية متحررة) من العلاقة في نفس الوقت مع (جورج بوتنام) George Putnam رغم زواجه هو الآخر !

هذا النمط من الخيانات الزوجية رغم أنه يتسق مع التحرر والليبرالية إلا أنه لا زال مرفوضاً لدى الكثير من النسويات أنفسهن فضلاً عن غير النسويات ! وبالفعل : فسخت (أميليا) خطبتها مع (صامويل) عام ١٩٢٨م،(١) وقام (بوتنام) بدوره بطلاق زوجته الأولى عام ١٩٢٩م رغم أنه لديه منها أبناء !

وحتى هذا الخراب البيتي لم يكن كافياً لإقناع (أميليا) بالزواج من (بوتنام)، فهي (كمتحررة) لا تتخيل أن يجرها ارتباطها العاطفي لأي صورة من صور (التقييد) المجتمعي، لذلك ظل (بوتنام) يعرض عليها الزواج ٦ مرات (٢) إلى أن قبلت به أخيراً عام ١٩٣١م.

وحتى مع هذا القبول فقد أرادت أن تريه (العين الحمراء) من البداية – وكما يقولها العوام في أحاديثهم الشعبية – فكتبت له رسالة يتسلمها يداً بيد يوم الزفاف قالت له فيها :

"أريدك أن تعرف أنني لن أحملك على الإخلاص لي، كما أني لن أرتبط بك بالمثل، وقد أضطر إلى الاحتفاظ بمكانٍ ما يمكنني أن أكون فيه بمفردي بين الحين والآخر، لأنني لا أستطيع ضمان بقائي في كل الأوقات رهينة قفص

---

(1) Lovell 1989, pp. 130, 138.

(2) Pearce 1988, p. 81.

حتى لو كان جذاباً".[1]

وهكذا نجد أن (أميليا) لم تعترف - من هذا المنطلق - بقوامة زوج أو غيره، فقد نظرت إلى زواجها على أنه (شراكة) Partnership ذات (سيطرة مزدوجة) Dual control بينها وبين (بوتنام)، وعلى هذا لم يتمكن المسكين من إبقائها معه حتى في شهر العسل ! حيث سافرت في جولة عمل للترويج لإحدى الطائرات الجديدة عبر البلاد ...

لم تكن (أميليا) - في نظري الخاص - مميزةً للدرجة التي أرادوا أن تبدو عليها، وإنما نموذجاً نسوياً تعاضد عشرات الأشخاص النافذين في ذلك الوقت لإنجاحه في عالم الطيران، وليُضرب به المثل على اختراق المرأة لجميع الأعمال التي كانت مختصة أكثر بالرجال. ولذلك نجدها على تواصل مستمر - أثناء ترقيها في مناصبها - بشخصيات بارزة سواء في مجالها لدعمها، أو حتى على الصعيد السياسي، مثل علاقتها الوطيدة بسيدة أمريكا الأولى في ذلك الوقت (إلينور روزفلت) Eleanor Roosevelt زوجة الرئيس. حتى إن أحد السيناريوهات التي طُرحت لتفسير اختفائها الغامض في رحلتها الأخيرة فوق المحيط عام ١٩٣٩م، هو عملها كجاسوسة أمريكية على اليابانيين إبان الحرب العالمية !

كانت (إيرهارت) المرأة رقم ١٦ التي تحصل على رخصة طيران رسمية، ورغم بداياتها المتواضعة إلا إنه (ولأغراض نسوية فيما يبدو) وصفتها صحيفة (بوسطن جلوب) آنذاك بأنها :

"واحدة من أفضل الطيارين النساء في الولايات المتحدة".

---

(1) "Newly Discovered Amelia Earhart Letter Shows Her Wild Side." Wireless Flash News, February 25, 2003. Retrieved: September 23, 2017.

وهـو مـا اعـترض عليـه عـدد مـن خـبراء الطـيران قـديماً وحـديثاً [١] ورأوا فيه تضخيماً لإمكانياتها، حتى قال أحد الخبراء الحاليين (ريك جليسبي) Ric Gillespie بالنظر إلى أرقامها :

"مهارات قيادة (إيرهارت) كانت متوسطة على أحسن تقدير". [٢]

Earhart's piloting skills were average at best.

حتى أنه تم انتقاص درجتها لتصير من الحُكام في مسابقة على نماذج الطائرات. [٣]

Amelia was reduced to being a judge of a model-airplane contest.

وقد لامها الطيارون في إحدى محاولاتها لتسجيل أحد الأرقام القياسية، حيث وقعت في أحد الحسابات الخاطئة الخطيرة التي انتهت بسقوطها من بين السحاب مسافة ٣ آلاف قدم تقريباً (٩١٠ متر). [٤]

والشاهد هنا أننا لا نبغي التقليل من إنجازاتها وأرقامها القياسية (فنحن لا نعترض أصلاً على قدرة المرأة على القيام بأعمال من جنس ما يقوم به الرجال مع اختلاف قدراتهن) وإنما نريد تسليط الضوء على (واقعية) حياتها كنسوية

---

[١] انظر :

Lovell 1989, pp. 37 -- و -- Goldstein & Dillon 1997, p. 40.

(2) Gillespie 2006.

(3) Hamill 1976, p. 67.

(4) Goldstein & Dillon 1997, p. 34.

وكامرأة متحررة، وكقائدة طيران انتهت حياتها فجأة في عرض المحيط هي ومَن كان معها بشكل غامض إلى اليوم : فلم يعثر لها أحد على أثر ! هي امرأة تضافرت جهود الكثيرين لإنجاحها باعترافها شخصياً واعتراف مَن لجأت إليهم لتحسين قدراتها على الطيران ... والسؤال :

هل نتوقع أن تكون كل النساء كذلك ؟ أي كلهن (أيمليا إيرهارت) ؟

أم أن المقصود هو توصيل رسالة بهذه الأمثلة النادرة على أنه : (لا مجال خاص بالرجال أمام المرأة لا يمكنها اقتحامه) ؟

مكتبة
t.me/t_pdf

(كاثرين هيبورن) النجمة (المسترجلة) !

نأتي للشخصية الثانية (العظيمة) في رأي ونظر (باليا) كعلامة (نسوية) فارقة في القرن العشرين منذ ولادتها في ١٩٠٧م، وهي الممثلة الأمريكية (كاثرين هيبورن) Katharine Hepburn، والحائزة على أوسكار ٤ مرات ! والتي استمرت مسيرتها الفنية قرابة ٦٠ عاماً !

كانت بداياتها ممثلة (عادية)، لكنها تميزت بميزة (في عين النسوية في ذلك الوقت) وهي تصرفها كفتاة (مسترجلة) أو Tomboy، حتى إنها كانت تقص شعرها لتقصره [١]، وكانت تدعو نفسها (جيمي) Jimmy !

كانت ترتدي البنطال وقت أن لم يكن منتشراً لبسه من الشابات ! وكانت تدخن السجائر في غرفتها حتى أوقفتها الجامعة عن الدراسة وقتها ! [٢]

---

(1) Chandler (2011) p. 30.

(2) Hepburn (1991) p. 69.

ولدت (هيبورن) لوالدين يهتمان بالنشاط الاجتماعي والحقوقي والنسوي، لذلك فقد تشربت الأفكار التحررية منذ الصغر، كانت بداياتها كممثلة على مسرح الجامعة، ثم في عدة مسرحيات متفرقة بعد الجامعة، ويبدو أنها لم تكن بتلك (العبقرية) التي تشاع عنها أحياناً أو قد يظنها القارئ أو الذي يشاهد الحفاوة الأمريكية الكبيرة بها (حيث يعدها البعض أفضل ممثلة في القرن العشرين، خاصة مع استمرارها في التمثيل إلى عام ١٩٩٤م وهي في سن ٨٧ سنة) !

في مدينة بالتيمور الأمريكية أخذت دوراً صغيراً لمدة أسبوع في بداياتها بمسرحية (إمبراطورة روسيا) The Czarina، لكن في الأسبوع الثاني للعرض تم الاستغناء عنها، إذ لم تلق نجاحاً بسبب صوتها الحاد أو ما يعرف بـ Shrill voice، ولذلك غادرت مدينة بالتيمور للدراسة مع معلم صوت بنيويورك.

وهكذا ... مراحل عديدة في بداياتها يظهر فيها أنها لم تكن (بارعة التمثيل) كما قلنا، ففي نيويورك تم ترشيحها (كبديلة) لبطلة مسرحية (البركة الكبيرة) The Big Pond، لكنها وصلت متأخرة في ليلة الافتتاح كما يقول (هيجام) أحد كتاب سيرتها الذاتية، واختلطت عباراتها، وتعثرت قدمها، وتحدثت بسرعة لدرجة يصعب فهمها ! فتم فصلها من المسرحية.[١]

قام المخرج (آرثر هوبكنز) Arthur Hopkins بدعمها ومحاولة الدفع بها في أكثر من عمل، كان منها مسرحية (هذه الأيام) These Days في برودواي عام ١٩٢٨م، لكن لم يتلقَ العرض إشادةً وتم إغلاقه بعد ٨ ليالٍ. وعلى الفور قام (هوبكنز) بتعيينها كبديلة عن بطلة مسرحية (عطلة) Holiday، لكنها توقفت عن العرض بعد أسبوعين فقط لتتزوج (هيبورن) من (لودلو أوجدن

(1) Higham (2004) p. 9.

سميث). Ludlow Ogden Smith.

كان (لودلو) في الـ ٢٩ من عمره وهي في الـ ٢١ وقتها، كان يعرفها منذ دراستها الجامعية، وكان غنياً ميسور الحال (وربما لذلك توقفت هيبورن عن مواصلة العرض المسرحي على الفور لتتزوج منه في محاولة للوقوف على أحد أسباب النجاح في مجالها لتعويض هذا الفشل المتلاحق) !

ورغم ذلك لم تهتم (هيبورن) بالزواج وإنما بمستقبلها، ولقد أحسنت (استغلال) دعم زوجها لها (مادياً ونفسياً) في هذه النقطة الحرجة من بداياتها، لدرجة أن وصفت نفسها في مذكراتها نتيجة هذا (الاستغلال) بأنها كانت : "**خنزيرة فظيعة**" A terrible pig ! (١)

كان زواجهما في ١٩٢٨م، وفي عام ١٩٢٩م ظهرت الثمار فيما يبدو وانضمت لنقابة المسرح التي رشحتها لدور في مسرحية (الموت يأخذ إجازة) Death Takes a Holiday لكنه تم طردها من جديد ! سافرت (هيبورن) في بحثها عن عمل في مدن أخرى وتتلمذت على يد معلم للدراما، لكنها طردت من جديد عام ١٩٣١م في برودواي من مسرحية (الفن والسيدة بوتيل) Art and Mrs. Bottle ! لقد وصفها كاتب المسرحية بقوله :

" **تبدو مرعوبة، وأسلوبها غير مقبول، وليس لديها موهبة**" !

She looks a fright, her manner is objectionable, and she has no talent.

وعلى الرغم من ذلك، تم إعادتها إلى الدور لعدم عثورهم على ممثلة أخرى،

---

(1) Hepburn (1991) p. 154.

وتم احتساب ذلك الدور نجاحاً نسبياً في مسيرتها ! [١]

كما تم طردها من جديد عام ١٩٣١م من مسرحية (مملكة الحيوان) The Animal Kingdom وعندما قامت بسؤال (فيليب باري) Philip Barry عن سبب طردها كانت الإجابة حازمة :

"حسناً، لكي أكون صريحاً، فأنتِ لم تكونِي جيدة جداً". [٢]

Well, to be brutally frank, you weren't very good.

وأخيراً جاء دور اللمعان !

جاء الدور الذي لفت الأنظار إليها، لا من أجل موهبتها في التمثيل (والحال كما رأينا من سلسلة الطرد الطويلة على مدار ٤ سنوات) ! وإنما كان لمناسبته (تحررها) و (جسدها الرياضي) !

كانت مسرحية (زوج المحاربة) The Warrior's Husband عام ١٩٣٢م في برودواي، حيث تطلب الدور لياقة بدنية لها (وهو ما ساعدها فيه لعبها للعديد من الرياضات منذ الصغر)، بالإضافة إلى ارتدائها لتنورة قصيرة جداً تكشف عن ساقيها بشكل فاضح (أو متحرر !)، خصوصاً في ذلك الوقت من التاريخ الأمريكي.

ساعتها ... بدأت الكتابات التي تشيد بدورها كبطلة في مسرحية أخيراً (أي تم الوصول إلى المطلوب منها كأنثى متحررة) وبدأ اللمعان !

---

(1) Higham (2004) p. 16.

(2) Hepburn (1991) p. 118.

وبالعودة إلى زوجها (لودلو أوجدن سميث) والذي جعلته يغير اسمه من أجلها (فقط حتى يكون اسمها خفيفاً موسيقياً عندما يتم نسبتها لزوجها كعادة الغرب)، نجد أنه برغم زواجه منها في عام ١٩٢٨م كما قلنا، إلا أنه مع انتقالها إلى (هوليود) عام ١٩٣٢م : فقد ضعفت كثيراً العلاقة بينهما (إذ كانت الأولوية في حياتها للمسرح وللبحث عن النجومية لا للزواج).

وكأي امرأة متحررة جنسياً (القدوة النسوية عند باليا !) دخلت (كاثرين) في علاقة غرامية مع وكيل أعمالها في ذلك الوقت (ليلاند هيوارد) Leland Hayward رغم أن الاثنين كانا متزوجين !

لم ترغب (هيبورن) في أن يظل زواجها (عائقاً) أمام علاقاتها الغرامية أو نجاحها، فسافرت عام ١٩٣٤م إلى المكسيك للحصول على طلاق سريع هناك لأنه أسرع وأسهل مما في أمريكا، لكنها ظلت تتحدث عن زوجها (لودلو) بطريقة جيدة إلى وفاته عام ١٩٧٩م.

بعد الطلاق طلبها وكيل أعمالها للزواج، لكنها رفضت أن (تحصر) نفسها لرجل معين في تلك الفترة - فيما يبدو - مع بحثها عن الشهرة، فأخبرته قائلة :

"لقد أحببت فكرة أن أكون وحيدة بمفردي لنفسي".[١]

I liked the idea of being my own single self.

ورغم ذلك دخلت علاقة عام ١٩٣٦م برجل الأعمال (هوارد هيوز) Howard Hughes - ربما من أجل نقلة (فنية) أخرى وقتها - لكن حياة الفشل عادت تلاحقها من جديد، حيث قامت بتمثيل دور حاكمة اسكوتلاند

---

(1) Hepburn (1991) pp. 185. 191.

في سلسلة أفلام (ماري اسكوتلاند) Mary of Scotland، لكنها لم تنجح في أي منها (يبدو أن الموهبة لا يتم شراؤها بالمال في النهاية !)، بل وعندما جعلتها علاقاتها ومَن ارتبطت بهم : مُرشحة من ضمن المرشحات لدور البطولة الرئيسية في فيلم هام أخيراً (وهو دور شخصية سكارليت أوهارا Scarlett O'Hara) وذلك في الفيلم العالمي الشهير (ذهب مع الريح) Gone with the Wind : رفضها المنتج لأنه لم يرى فيها جاذبية أنثوية حقيقية تناسب الدور ! أو تناسب مطاردة (ريت باتلر) - الشخصية الرئيسية في الرواية - لمحبوبته (سكارليت) لسنوات طويلة، فقال لها :

"لا أستطيع رؤية (ريت باتلر) يطاردك لاثنتي عشرة سنة" ! (١)

I can't see Rhett Butler chasing you for twelve years.

لذلك تركت (هيبورن) هوليود وقطعت علاقتها مع رجل الأعمال (هوارد) بعد عامين فقط في ١٩٣٨م، وبعدما تم إلحاقها بقائمة أسماء الممثلين والممثلات الذين لم يحققوا نجاحاً لأعمالهم فتم وصفهم في ذلك الوقت بأنهم :

" **سُم شباك التذاكر**" (٢) Box office poison !

الحب الحقيقي

عاشت (هيبورن) في السنوات التي تلت ذلك : بدايات تسليط الضوء عليها وبطولاتها للعديد من الأفلام، إلا أنها لم تفكر يوماً في الزواج مرة أخرى أو

---

(1) Higham (2004) p. 94.

(2) Berg (2004) p. 118.

الإنجاب، تقول مبررةً ذلك لأحد كتاب سيرتها (بيرج) :

"سأكون ساعتها أماً فظيعة" ... "لأني في الأساس إنسانة أنانية".(١)

"I would have been a terrible mother", "because I'm basically a very selfish human being".

أما عن حب حياتها الحقيقي كامرأة، فقد كان (فيما يبدو) للمثل الشهير (سبنسر تريسي) Spencer Tracy، رغم أنه كان متزوجاً ! وقد مثلت معه ٩ أفلام (حيث التقته لأول مرة عام ١٩٤١م وهي في عامها الـ ٣٤ وكان يكبرها بـ ٧ سنوات)، ورغم أن (كاثرين هيبورن) صارت أيقونة (نسوية) بمرور الوقت في أمريكا، إلا إنها (ومثل سيمون دو بوفوار) كانت تهيم بـ (سبنسر تريسي)، فقالت في سيرتها الذاتية :

"لقد كان شعوراً فريداً تجاه [تريسي]، كنتُ على استعداد لفعل أي شيء من أجله" !(٢)

It was a unique feeling that I had for [Tracy]. I would have done anything for him.

وعلى الرغم من الانفصال غير الرسمي وبلا طلاق بين (تريسي) وزوجته (لويز) Louise، إلا إنه كان حريصاً على عدم إيذائها بالظهور مع (كاثرين هيبورن) أمام الكاميرات وفي الأماكن العامة، ظلت علاقة (تريسي) بـ (هيبورن) قرابة ٢٧ عاماً، كان (تريسي) مدمناً للكحول مكتئباً، وكان يتغير حال (هيبورن)

---

(1) Berg (2004) p. 50.

(2) Hepburn (1991) pp. 392.

معه لتظهر لنفسها وجهاً إنسانياً غير مألوف.

كانت تعتني به، ولازمته طيلة ٥ سنوات استقطعتها من حياتها لاحقاً، وكانت معه حين وفاته، لكنها لم تحضر جنازته احتراماً لأسرته، ولم تتحدث عن علاقتها به إلا بعد موت زوجته عام ١٩٨٣م، كانت (هيبورن) في عمر الـ ٧٦ سنة آنذاك !

(جيرمين جرير) وأول جريدة جنسية أوروبية !

إذا كنا استعرضنا اثنتين من (رموز) النسوية عند (باليا)، إحداهما عملت قائدة طيران، والثانية ممثلة، فالثالثة هنا هي (رمز الفكر والعقل والثقافة)، إنها الكاتبة (جيرمين جرير) Germaine Greer، مواليد ١٩٣٩م، أسترالية مهتمة بالشؤون النسوية، تعرضت للاغتصاب في سن الـ ١٩ عام ١٩٥٨م وهي في السنة الثانية بجامعة ملبورن بأستراليا.

كانت (متحررة) بطبيعة الحال وتحضر حفلات الشباب، وفي ذلك اليوم (بحسب روايتها) حضرت حفلة شواء، فاصطحبها لاعب كرة قدم أمريكية إلى سيارة، ثم لكمها عدة لكمات وطلب منها أن تقول ما يريد سماعه واغتصبها. هذه القصة حكتها أين ؟ في مقابلة مع أشهر مجلة إباحية عام ١٩٧٢م ! (١) المجلة التي تهيّج الشباب ! فكأنها الشاة التي تشكو للذئاب توحش الذئاب !

وسوف أخص الفصل القادم للحديث عن أحد أسباب الاغتصاب والتحرش وهو (فتنة الجسد) التي يشعلها الاختلاط والتعري في ملابس النساء،

---

(1) Wallace 1999, p. 269.

وانتشار الإباحية، وأثره على دماغ الرجال، وذلك بالدراسات الأكاديمية، وباعتراف مغنية عالمية تعرضت للاغتصاب بأن لبسها كان أهم الأسباب !

أما الذي يعنينا الآن فهو أن (جيرمين) شقت طريقها للفساد الأخلاقي باكراً، حيث بعدما تعرفت على (ريتشارد نيفيل) Richard Neville في أستراليا : اتفقا على أن تكتب له عموداً باسم دكتورة (جي) Dr. G في مجلته (أوز) ذات المواضيع المنحرفة أخلاقياً ! وبالفعل تم إغلاق المجلة بعد ٣ أشهر فقط عام ١٩٦٣م وأدين المحررين والكتاب فيها بالفحش ! [١]

انتقل (نيفيل) إلى بريطانيا بعد ذلك لينشيء مجلة (أوز) ثانيةً هناك عام ١٩٦٧م، حيث قابل (جيرمين) مرة أخرى لتشارك معه في العدد الأول بكتابة مقال بعنوان (في الفراش مع الإنجليز) In Bed with the English، وهكذا شاركت على مدى أعداد من المجلة، وفي بعضها ظهرت في صور.

واستكمالاً لتاريخها المشرف (كرمز يُحتذى به من ٣ رموز في نظر باليا عن النسوية في القرن الـ ٢٠ !) : فقد شاركت عام ١٩٦٩م في تأسيس مجلة إباحية في أمستردام : (### : أول جريدة جنسية أوروبية) ###: The First European Sex Paper، لتثبت دوماً أنه عندما نسمع عن (نسوية) (متحررة) بارزة إعلامياً ويتم (تعمد) تلميعها : فنوقن على الفور من أنها تدعو إلى الفسق والفجور والتعري !

ومن فظاعة وفحش العدد الأول فقط : تمت مداهمة مكتبهم في لندن بمعمل الفنون.. ثم قاموا بإغلاق عنوان صندوق البريد الخاص بهم.[٢]

---

(1) Wallace 1999, p. 112. 176.

(2) Kleinhenz 2018, p. 121.

وأرجو هنا ملاحظة أننا نقترب أكثر وأكثر من المكونات الفكرية التي شكّلت عقل (كاميل باليا)، حيث أخذت من كل نسوية أسوأ ما فيها !

حتى فكرة (السادومازوخية S-M) أو الجنس بالتعذيب والإيلام : نكتشف تأثرها فيه بـ (جيرمين جرير) ! حيث أمعنت جريدة (###) الإباحية في عرض الصور الشاذة (والصادمة في ذلك الوقت للمجتمع الغربي) وعلى رأسها (السادومازوخية) التي تصل إلى الاغتصاب !

تصف ناشطة نسوية استرالية معتدلة (وهي الناشطة باتريس فوست Beatrice Faust) ما قدمته جريدة (###) الإباحية بأنه محتوى يحض على الكراهية والاعتداء على المرأة، خاصة عندما يقدمونه مستتراً خلف دعاوى (السادومازوخية)، وكما وقع في العدد ٧ عندما تصدرت الغلاف صورة لرجل ممسكاً امرأة تصرخ وآخر يغتصبها من الخلف شرجياً !

وعلى قدر استحيائي من هذه التفاصيل التي لا يمكن فصلها عن أي موضوع يتناول النسوية (المتحررة) خاصة اليوم (لأنهما صارا وجهان لعملة واحدة) إلا إن تلك التفاصيل (على فحشها) تعطينا نظرة عن المصدر الذي تستقي منه (باليا) كتاباتها عن الجنس والأعضاء التناسلية !

تكشف (إليزابيث كلاينينز) Elizabeth Kleinhenz إحدى كاتبات سيرة (جيرمين) بعض المصائب الأخلاقية المتفرقة لها فتقول بتصرف :

" إنه لا يوجد شيء تقريباً كان محظوراً على جريدة (###)، بما في ذلك وصف التحرش الجنسي بالأطفال، وزنا المحارم، وجماع الحيوانات".[1]

---

(1) Kleinhenz 2018, p. 121.

"وقد تضمن عمود (جرير) نصائح للنساء حول كيفية العناية بعضوهن التناسلي، وكيف يجب عليهن تذوق إفرازاته" ! [١]

وقد نشرت لصديقةٍ لها إعلاناً يقول : **"أي شخص يريد ممارسة الجنس الجماعي في نيويورك ويُحب الفتيات البدينات : اتصل بـ ليليان روكسون" !** [٢] .. **"وخلال مهرجان سينمائي في أمستردام نظمته (###) عام ١٩٧٠م منحت لجنة التحكيم التي ضمت (جرير) الجائزة الأولى إلى (######) عن فيلم تمارس فيه امرأة الجنس مع الحيوانات" !** [٣] **"وقد أعادت شركة (###) إنتاج مقابلة مع (جرير) كان تم نشرها لأول مرة في مجلة (####)، وهي مجلة إباحية أخرى، بعنوان : أنا عاهرة" !** [٤]

يا له من سجل (فكري) (نضالي) عامر بالإنجازات !

ومن هذا (المستنقع) تم تلميع (جيرمين جرير) كمفكرة نسوية وكاتبة مثقفة بشؤون المرأة و (حقوقها) و (حريتها) ! وتم الاحتفاء بكتابها الذي أصدرته عام ١٩٧٠م بعنوان **(إخصاء الأنثى)** The Female Eunuch أيما احتفاء (لاسيما عند أمثال كاميل باليا !).

الكتاب تتحدى فيه (جيرمين) كل ما هو معروف عن المرأة سواء في طبيعتها الفطرية والجسدية والعاطفية أو أعراف المجتمع المرتبطة بها، وتدعو إلى الثورة على كل ذلك وعلى قيود المرأة على نفسها (كأنثى)، أن تثور على نفسها

---

(1) Kleinhenz 2018, p. 122.

(2) Wallace 1999, p. 141 --&-- Kleinhenz 2018, p. 188.

(3) Kleinhenz 2018, p. 124.

(4) Winant 2015.

أولاً فلا تستسلم لأي مقيدات طبيعية أو فطرية تشعر بها، ثم تثور على كل شيء لأنه (من وجهة نظر جيرمين) يحق للأنثى فعل أي شيء !

الكتاب يحمل نفس الأفكار التي تتبناها (كاميل باليا) إلى اليوم : أن المرأة هي التي فعلت في نفسها ما أضعفها ! وأن استسلامها هو الذي يعطي الرجال تمكناً عليها، وأنه من حقها أن تلبس ما تريد دون أن يتعرض إليها أحد، وأن تختلي بمَن تريد بكامل زينتها أو تفسخها أو تعريها دون أن يعاشرها أحد إلا برضاها، وهكذا (وكأنه لديها احتقار نفسي في تقبلها لذاتها كأنثى) !

تقول (جيرمين) عن سبب بدءها في هذا الكتاب عام ١٩٦٩م :

"أولاً، أفترض أنه للتكفير عن ذنبي عندما كنت (العم توم) لنوعي[١]، لا أحب النساء. وربما أنا مشتركة في كل الاحتقار السهل واللاواعي من الرجال للنساء".

Firstly I suppose it is to expiate my guilt at being an uncle Tom to my sex. I don't like women. I probably share in all the effortless and unconscious contempt that men pour on women.

وكتبت في جملة المسودة الافتتاحية للكتاب قبل نشره عام ١٩٦٩م :

"عندما يصبح بإمكان المرأة أن تسير بمفردها في شوارع مدننا المفتوحة،

---

[١] تقصد بنوعها هنا جنسها كأنثى، وأما تعبير (العم توم) فيشير إلى الشخص الأسود البشرة الخاضع لغيره أو الخائن لسيده ونحو ذلك، تقصد أنها كأنثى كان يجب أن تثور على كل محددات الأنثى ومقيدات حريتها ولا تخضع لما حدده عليها جنسها كأنثى أو طبيعتها.

دون إهانة أو اعتراض، وبأي سرعة تختارها، لن يكون هناك حاجة لهذا الكتاب".[١]

When a woman may walk on the open streets of our cities alone, without insult or obstacle, at any pace she chooses, there will be no further need for this book.

هو نفس منطق (باليا) عندما قامت بتفجير المرحاض لترمز بذلك لما ستفعله في العالم !

فكل منهما تحتقر ذاتها ك (أنثى) ولم تنظر يوماً لجماليتها في الحياة ! أي بدلاً من النظرة المتزنة لذاتها ورؤية الأدوار الفطرية المقسومة بين الرجال والنساء وواجبات وحقوق كل منهما، وجمال أدوار الأنثى كأم وزوجة وإبنة : فقد سعى هذا النموذج (أي جيرمين وباليا وكل مَن يشبههما وسيأتي في المستقبل) إلى محاولة خلط كل شيء ! والتمرد على طبيعة كل شيء ! ويتقمصن في ذلك دور (المخلّص) الذي يرفع شعار (الحرية) المقدس في وجه البشرية والطبيعة !

البسي ما تريدين، تصرفي كما تريدين، لكن لا تسألي عن العواقب ! تقول (جيرمين) وهي تسترجع ذكريات وخلاصة فكرة كتابها لكن في عام ٢٠١٨م :

"افعلي ما ترغبين، وارغبي فيما تفعلين... ولا تحملي أو تفعلي شيئاً لا تريدين حمله أو فعله".[٢]

---

(1) "The Female Eunuch first draft", University Library, The University of Melbourne.

(2) "Germaine Greer explains her interpretation of The Female Eunuch". BBC. 9 June 2018.

Do what you want and want what you do ... Don't take it up the arse if you don't want to take it up the arse

وللأسف الشديد : هذه العبارات في بعض كلماتها معانٍ صحيحة بالفعل، لكن بعدما استعرضنا حياتها وأفكارها الآن : نعلم بالضبط ما تقصده !

لا حاجة لاستعراض باقي كتب وأعمال (جيرمين)، فما تم ذكره فيه الكفاية، يتبقى معرفة شيء أخير ..

وهو أنها تزوجت مرة واحدة فقط في حياتها عام ١٩٦٨م من (بول دو فو) Paul du Feu الذي قابلته خارج حانة لشرب الخمر في لندن، ويبدو أنها (خانته) أو (لم تخلص له) ٧ مرات خلال ٣ أسابيع فقط من الزواج ! (١)

ثم انتهت علاقتهما في وقت قصير.

---

(1) "Germaine Greer". Enough Rope with Andrew Denton. ABC Television (Australia). 15 September 2003. Archived from the original on 3 January 2006.

فتنة الجسد

هذا التيار بأكمله (النسويات المتحررات) يلتزمن دعوة المرأة بلبس ما تريد (مكشوف – شفاف – عاري – قصير – ضيق)، وأن ذلك من حقها (في جسدها) .. ومن حريتها التي يجب أن يكفلها لها القانون ويتفهمها الناس (والرجال خصيصاً) فلا يتحرشون بها (وسنرى أن ذلك تعدي على طبيعة الرجل واستفذاذاً له أو "**تحرشاً به**" على حد وصف بعض المتخصصات أنفسهن) !

وبسبب سيطرة مثل هذه الأفكار على (باليا) : كان لا بد لنا من وقفة، لن تكون وقفة دينية (لوضوح حكم تكشف المرأة لغير زوجها أو محارمها شرعاً) لكني سأنقل الآن من الأخبار والحقائق والدراسات العلمية ما يجعلنا نوقن من كمال شرع الله الذي يحمي المرأة، والذي يحفظ الرجال من (فتنة الجسد) !

كنت أشرت منذ قليل في الفصل السابق إلى واقعة اعتراف إحدى المغنيات بدور ملابسها الفاضحة في حادثة اغتصابها، إذ معلوم لدى كل البشر كيف أن هناك ملابس (إغراء) – مكانها من المفترض غرف النوم أو في محلات الدعارة وبيع الجنس – لأنها ملابس استثارة لشهوة الرجال : تعلن بها المرأة عرض جسدها للمواقعة أو المعاشرة وإن لم تتحدث بالكلام ! بل وحتى إن ارتدتها من باب الموضة والتجمل (دون قصد المعاشرة) فهو لن يغير من معناها للأسف !

والمغنية المقصودة هنا هي مغنية الروك الشهيرة : (كريسي هيند) Chrissie Hynde والتي اعترفت بأن اغتصابها على يد مجموعة للدراجات النارية في شبابها كان "**كله بسببها**" ! مشيرة إلى أنه يجب على المرأة "**تحمل المسؤولية**" إذا كانت **ترتدي ملابس مثيرة تدعو الرجال إلى معاشرتها جنسياً** !

وإليكم العنوان من مقال جريدة الإندبندت البريطانية :

"كريسي هيند تقول : المرأة التي ترتدي كعباً عالياً وتلبس الملابس المثيرة جنسياً تغري المغتصبين" !

Chrissie Hynde says women who ‘wear high heels and dress provocatively entice rapists’.

وتضيف الجريدة في العنوان الفرعي على لسان (كريسي) [1] :

"تقول : إذا كنتِ ترتدين شيئاً يقول "تعالى وعاشرني" فمن الأفضل أن تكوني ثابتة جيداً على قدميك" !

She says: 'If you’re wearing something that says "Come and f*** me", you’d better be good on your feet'.

ومع عدم نفي مسؤولية المغتصب أو المعتدي أو المتحرش عن جريمته (إذ الرجل السوي لا يمكنه ارتكاب جريمة اعتداء مهما تكشفت المرأة) فالسؤال : هل هذه العلاقة غامضة على أي عاقل أو عاقلة ؟ هل ننتظر (أبحاثاً علمية) نفسية أو اجتماعية لإثبات ما نعلمه بالفطرة وهو : علاقة عرض جسد ومفاتن المرأة – جهلاً منها أو عمداً – بالتعدي عليها أو التحرش أو الاغتصاب ؟!

علام الاعتراض إذن من (النسويات) ؟! وعلام الإصرار على إيقاع الفتيات والشابات والنساء في هذا المستنقع ؟ ثم استغلال قضاياهن بعد ذلك في التحرش أو الاغتصاب للعب دور الضحية واستمالة الرأي العام !

---

[1] المغنية (كريسي هيند) الشهيرة هي مغنية أمريكية من مواليد ١٩٥٠م (أي تبلغ اليوم ٦٩ سنة) وهي مغنية وكاتبة أغاني وعازفة جيتار ومؤسسة من مؤسسي فريق الروك (الإنجليزي الأمريكي) The Pretenders.

في أحد أبحاث دورية النشر العلمي الشهيرة Springer نطالع العنوان التالي لبحث مشترك تم نشره حديثاً في عام ٢٠١٧م يقول :

"الملابس والجنس : مراجعة للبحوث التجريبية التي شارك فيها أشخاص وتم نشرها في المجلات المُحكمة".

Dress and sex: a review of empirical research involving human participants and published in refereed journals.

حيث جاء في خلاصة البحث Abstract :

"كان الغرض من بحثنا هو تقييم الأبحاث التي تناولت العلاقات بين الملابس والجنس. قمنا بتركيز مراجعتنا على فترة ٢٥ عاماً (من عام ١٩٩٠م إلى ٢٠١٥م) وعلى الأبحاث التجريبية التي شارك فيها أشخاص وتم نشرها في مجلات علمية مُحكمة. حيث تم التركيز على ثلاثة مجالات رئيسية للبحث : (١) استخدام الملابس كرسائل جنسية (٢) الملابس والعنف الجنسي (٣) الملابس والجنس وتشييء المرأة [١]، لقد كشفت تحليلاتنا أن الآباء قد يلبسون أطفالهم الصغار ملابس جنسية أو مثيرة، أو

---

[١] تشييء المرأة Objectification هو كل تصرف أو سلوك أو ملابس تؤدي إلى معاملة المرأة كأنها (سلعة) أو (شيء) تباع وتشترى دون قيمة لإنسانيتها، وللأسف الشديد على قدر وقاحة هذا الوصف في حق أي امرأة محترمة : إلا أن النسويات (المتحررات) أنفسهن جعلنه هدفاً في حد ذاته للمخدوعات بهن ! وعلى هذا تم تزيينه في أعينهن بمئات الإعلانات والأفلام والمسلسلات والبرامج حتى صار غاية في حد ذاته (أي صار موضة وهدفاً للكثير من الفتيات والمراهقات والشابات أن تتعري وتعرض جسدها للجنس وللإثارة كما ترى في قدواتها في برامج وقنوات متخصصة في ذلك ليحصلن على العائد المادي أو الشهرة)، وفي تلك الحالة تكون المرأة هي مَن قامت بتشييء نفسها أو ما يسمى بتشييء الذات Self-objectification.

أحياناً يطلب الأطفال أنفسهم ذلك. أيضاً تتعمد بعض النساء استخدام الملابس المثيرة كرسائل جنسية، كذلك يمكن إساءة فهم غرض بعض النساء من ارتدائهن لملابس مثيرة، ومن هنا يربط المراقبون ارتداء الملابس المثيرة بالعنف، بما في ذلك الإكراه الجنسي، والتحرش الجنسي، والاعتداء الجنسي، واللمس غير المرغوب فيه، والتلامس، ونزع الملابس. كما ارتبطت أجزاء معينة من الملابس المثيرة التي تجسد الجسم بتشييء الذات. قد تسهم أنماط تلك الأجزاء المعينة من الملابس التي تجسد الجسم في إثارة الشعور بتشييء الذات، وقد ازداد استخدام الصور الجنسية للنساء والأطفال بمرور الوقت، كما أن مشاهدة هذه الصور يرتبط أيضاً بتشييء الذات وتشييء الغير، تم وضع اقتراحات للأبحاث المستقبلية".

هذا مثال واحد على هذه الحقيقة المزعجة للنسويات (المتحررات)، واللاتي لا يملكن رد فعلٍ عليها إلا محاولة اللجوء إلى زعم التحيز الذكوري والتفرقة بين الجنسين ! ثم توجيه السؤال المحفوظ لديهن : لماذا لا يقال مثل ذلك للرجل ؟

والإجابة هنا معروفة بالفطرة أيضاً (بل وبالمشاهدة والتكرار اليومي لمن لا يخدع نفسه)، وهي أن استجابة الرجل البصرية أكبر بكثير من المرأة للمثيرات الجنسية (الجسدية)، لأنها هي التي ستغريه أو تدعوه إلى الارتباط طيلة العمر، والذي سيعقبه مسؤوليات الأسرة، حيث يكون استمراره فيها مقابل تلك المتعة الجنسية، وقد أثبت العلم ذلك أيضاً (أي تفاوت تأثر الرجل عن المرأة بالمثيرات البصرية الجنسية) رغم أن نظرة واحدة إلى ما ينفقه معظم الذكور من أوقات وأموال على مشاهدة الإغراء والإباحية : تكفي كدليل عند مقارنتها بالنساء !

فهذه مثلاً دراسة في مجال علم الأعصاب والنفس من موقع Psychologytoday تؤكد على : حساسية الرجال بشكل عام للاستثارة

البصرية، وكيف أنه يقترن بها التفكير بشهوة في الدماغ، وبذلك يتضافر التأثير الجسدي والنفسي بصرياً، وقد تم نشر الدراسة عام ٢٠١٢م بعنوان :

"محفزات الرغبة الجنسية : الرجال مقابل النساء".

الجزء ١ : هل أدمغة الذكور مُثبَّت فيها رؤية الإناث كأشياء جنسية ؟

The Triggers of Sexual Desire: Men vs. Women.

Part 1: Are male brains hard-wired to see females as sex objects ?

الدراسة قام بها (ليون إف سيلتزر) Leon F Seltzer.

واستند فيها إلى أكبر دراسة من نوعها في موضوع الرغبة الجنسية وما استقرأه (أوجاس) Ogas و (جادام) Gaddam فيها بعنوان :

"بليون فكرة خبيثة : ماذا تخبرنا أكبر تجربة في العالم عن الرغبة البشرية".

A Billion Wicked Thoughts: What the World's Largest Experiment Reveals About Human Desire.

يقول (ليون) :

"بادئ ذي بدء، من الضروري ملاحظة أن الأدبيات التي تدرس على وجه التحديد أنماط الإثارة لدى الرجال (سواء الشاذين جنسياً أو العاديين) أكدت مراراً وتكراراً على حساسيتهم للإشارات البصرية. فبمجرد ما يتم تسجيل وصول الصورة المثيرة للشهوة إلى دماغهم : يبدأون في التفاعل، ليس فقط جسدياً ولكن نفسياً كذلك. يؤدي التعرض لمثل هذه المحفزات المثيرة إلى تنشيط أجزاء الدماغ المرتبطة بانتصاب العضو الذكري على الفور.

وكما يقترح (أوجاس) و(جادام) : "قد يكون أكبر دافع جنسي لدى الرجال عائد جزئياً إلى حقيقة أن مسارات النشاط الجنسي عندهم لديها روابط بنظام المكافأة (أي السعادة) **تحت القشرة أكثر من النساء"، أو باختصار : "أدمغة الرجال مُصممة لتشييء الإناث جنسياً" !**

ويذكر (ليون) معلومات واستنتاجات هي أقرب للضحك والطرافة لكنها الواقع والحقيقة التي لا تعيها النساء للأسف، فمن بين أكثر ١٠٠ صورة مثيرة جنسياً اختارها المشاركون الرجال : كان ما لا يقل عن ٢٣ منها هي مجرد صور مقربة لأجزاء جنسية معينة من جسد النساء دون ظهور أي وجه فيها أصلاً !

وفي أحد مواقع الإنترنت المثيرة للرجال كان استعراض الصور المثيرة فيه أقرب ما يكون لكتالوج (فيكتوريا سكريت) للملابس الداخلية النسائية !

مما اضطر القائمين على البحث لتلخيص هذه الجزئية بأسى قائلين :

"أدمغة الرجال تدقق في تفاصيل الإثارة البصرية بنوع من التركيز المشابه لتدقيق صانعي المجوهرات على الماس" !

Men's brains scrutinize the details of arousing visuals with the kind of concentration jewelers apply to the cut of a diamond.

وأما الدراسة الأخيرة فمن مجلة Nature عام ٢٠١٣م بعنوان :

"الاختلاف بين الجنسين في إثارة الدماغ للتحفيز الجنسي السمعي-البصري : هل يستجيب الرجال والنساء بنفس مستوى الإثارة عند مشاهدة نفس مقطع الفيديو" ؟

Gender difference in brain activation to audio-visual sexual stimulation; do women and men experience the same level of arousal in response to the same video clip ?

أما عن فكرة الدراسة والتجربة العملية فقد كانت عن طريق :

تعريض ١٠ رجال و ١٠ نساء أصحاء (أعمارهم بين ٢٠ و ٢٨ عاماً) لنوعين من مقاطع الفيديو كليب المثيرة (وهو ما يسمى بالإثارة السمعية A البصرية V الجنسية S أو اختصاراً : AVS)، أحدهما فيديو كليب مثير لكنه يركز على العاطفة وله قصة متماسكة، والآخر عبارة عن مشاهد جنسية عارية صريحة، يقولون في خلاصة البحث :

"قمنا بالتحقيق في الاختلافات الجنسية في الاستجابة لأنواع مختلفة من إثارة AVS من خلال دراسة المناطق النشطة في الدماغ باستخدام التصوير الوظيفي بالرنين المغناطيسي (FMRI). تم إجراء التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي أثناء نوعين من إثارة AVS في ٢٠ متطوعاً أصحاء من الجنسين (تتراوح أعمارهم بين ٢٠- ٢٨ عاماً، ١٠ رجال و١٠ نساء). أما نوعي إثارة AVS فكانا : (١) نوع الحالة المزاجية العاطفية، بمقاطع مثيرة وقصة محددة و (٢) النوع الجسدي الذي يظهر بشكل مباشر الجماع والأعضاء التناسلية. تم تحليل صور الرنين المغناطيسي الوظيفي ومقارنتها لكل تحفيز باستخدام اختبار Mann-Whitney U، مع ضبط دلالة إحصائية عند 0.05> P. فضل الرجال النوع الجسدي من إثارة AVS على النوع المزاجي العاطفي (بمتوسط إثارة ٢.١٤ مقابل ١.٨٦ في الإناث) وفضلت النساء النوع المزاجي العاطفي (بمتوسط إثارة ٢.١٤ مقابل ١.٨٦ عند الذكور)".

أقول : وهذا هو المتعارف عليه طيلة آلاف السنين ! أن المرأة تنجذب وتستثار أكثر بالمزاج والعاطفة والكلام وقصص الحب، بينما يستثار الرجل أسرع وأكثر بالجنس والعري (وفتنة الجسد) بشكل مباشر !

والآن....

كيف تعاملت **(أو استغلت)** فئة من النساء هذه الحقائق الفطرية ؟!

هناك فئتان من النساء اللاتي ترتدين الملابس الكاشفة والمثيرة جنسياً للرجال، فئة ترتديها من باب الموضة كما قلنا من قبل أو التزين والتجمل ونحوه وهي لا تدري أنها تتحرش بذلك بالشباب والرجال من حولها وتسبب لهم الأذى النفسي والاستثارة ! فكأنها تمارس عليهم دوراً هجومياً من (الأنوثة السامة) Toxic Femininity على حد تعبير إحدى الناقدات للنسوية !

وفئة ترتديها وهي تدرك تمام الإدراك أثر ذلك الفعل منها على الرجال من حولها، وإلى الدرجة التي وصفتهن معها بعض النسويات أنفسهن كما قلنا بأنهن (متحرشات بالرجال) ! أو بأنهن يستخدمن سياسة (ما بين الثديين) Politics of Cleavage وأعتذر عن فجاجة التعبير (لكنه وصف النسويات أنفسهن في انتقادهن لهذه الفئة من النساء) !

فأما الفئة الأولى، فلن أجد أفضل مَن يكشفها لنا من الكاتبة (هيثر إي هاينج) Heather E. Heying وذلك في مقالها على موقع Quillette بعنوان (الأنوثة السامة) Toxic Femininity أو ما يمكننا تسميته بـ (الأنوثة المتوحشة) ! إذ تحكي فيه الموقف الذي سنقرأه الآن (وسأقتبس الترجمة القادمة كاملة من موقع آثارة Atharah وترجمته لمقالها بعنوان "الأنوثة المتوحشة").. إذ تقول وبعد أن تحدثت عن (الذكورة المتوحشة) :

" كل هذا يجعلنا نتوجه نحو موضوع لم يأخذ حظه من البحث وهو الأنوثة المتوحشة، لقد تشكّلت أدوار الجنس والنوع Sex and gender خلال مئات الآلاف من السنين من تطور الإنسان، وبالتأكيد خلال مئات الملايين من السنين في الفصائل الحيوانية التي نعرفها، وبالرغم من أنّ مظاهر هذه الأدوار تشهد تغيراً سريعاً، إلا أنّ حقائقها القديمة ما تزال موجودة، فرغبات وشهوات الماضي لا تزال قائمة، وسينظر الرجال الأسوياء (straight) إلى النساء الجميلات خاصة إذا كن :

أ– شابات مثيرات.

ب– يعرضن بقوة ما يلفت الانتباه.

مكتبة
t.me/t_pdf

إن الأنوثة التي تعرض نفسها عرضاً يُفجر الشهوة، وتعلن عن خصوبتها وحاجتها للجنس، فإنها على سبيل المثال تجذب انتباه الرجال عن طريق العرض المثير للجسد، أو رسم إشارات ذات إيحاءات جنسية، أرى أنّ في كل هذا جلباً للمشاكل، لا، أنا لم أقل إنها كانت تطلب هذا، بل ما قلته هو أنّها كانت تَعرض نفسها، وبالطبع ستكون محل نظر واهتمام، إن إثارة الشهوة وإظهار المفاتن ليس ضاراً أو سلوكاً عدائياً في حد ذاته، بالرغم من أنني شخصياً لا أحبه و لن أحبه أبداً.

فإذا خمدت الشهوة استنارت الحكمة، ستتصرف الشابات العاقلات تبعاً لذلك، تصير الأنوثة عدائية ومتوحشة عندما تصرخ من قهر الرجال، وتعاقبهم بسبب استجابتهم لعرض المفاتن المثيرة للشهوة، أين نضع حدود خصوصيتنا ؟؟

سؤالٌ يختلف حول إجابته العقلاء من الناس، لكن هناك خطان رئيسيان هما محل اتفاق بشكل كبير :

أ- كل امرأة لها الحق ألّا تُلمسَ ما لم ترغب في ذلك.

ب- المقايضة القهرية [الابتزاز] غير مقبولة، وهي تلك الخدمات الجنسية التي تُطلب من المرأة مقابل الترقي الوظيفي.[١]

لكن عندما تتجمل النساء بارتداء ملابس تظهر مفاتن معينة، ويقمن بوضع مساحيق التجميل التي تدفع إلى نشوة جنسية وشيكة، فإن هذه أنوثة عدائية متوحشة، أجل إنها وحشية لأنك تطلب من الرجال ألا ينظروا ولا يقتربوا، أو مجرد حتى التفكير في ذلك، تتمتع الشابّات بقوة جنسية هائلة، ويعرف كل مَن كان صادقاً مع نفسه أنه متى كانت المرأة في ذروة شهوتها الجنسية، وتتمتع بجمال فائق تبعاً لثقافة وتقاليد بيئتها = فإنها تتمتع بنوع من القوة لا يمتلكها شخص آخر، كما أنها تفتقر إلى الحكمة اللازمة للتحكم في هذه القوة.

إن الأنوثة المتوحشة هي استغلال سيء لهذه القوة، حيث تبالغ في الإثارة وعرض المفاتن، ثم العيش في دور الضحية عندما لا يعاملهن الرجال الأسوياء كأنداد لهم، أي وحشية هذه في قيامنا بإثارة الجوع الجنسي في الرجال عن طريق حثهم على التحديق فينا : ثم المطالبة بألا يشعر الرجال بهذا الجوع ؟! أيضاً إخضاع الرجال وازدراؤهم حينما يستعرضون القوة، سواء كانت بدنية أو عقلية أو غير ذلك، وكذلك الإصرار على أن الرجال وحوش ضارية فقط لكونهم رجالاً، ثم التظاهر بالمفاجأة عندما تتوتر وتتعقد العلاقات بين النساء والرجال في لعبةٍ قانونها أنّ مكاسبها تذهب للقلة،

---

[١] للأسف ساهمت القصص والأفلام الإباحية في نشر ثقافة الاستغلال الجنسي بين السلطة والمرأة، مثل استغلال سلطة البروفيسور للطالبة - والمدير للموظفة أو السكرتيرة - والطيار للمضيفة - والمحامي للعميلة - والطبيب للممرضة أو المريضة.

بينما يتشارك الجميع في الخسائر، إنها الأنوثة المتوحشة !

في إحدى رحلاتي الدراسية خارج البلاد، كانت لدي طالبة تعاني من مشكلة دائمة مع الملابس !

فكانت لا ترتدي ما يكفي منها، كانت ذكية وجميلة وذات جسد رياضي، لكنها أيضاً كانت على استعداد أن تظهر مفاتنها في أي وقت، وفي الحديقة البيولوجية التابعة لغابة من غابات أمريكا اللاتينية، جاءت تشكو لي أنّ الرجال من السكان المحليين يحدقون بها، كانت ترتدي ملابس السباحة، بينما يرتدي الآخرون ملابس العمل العادية، قلت لها :

" ارتدي المزيد من الملابس " فصُدمتْ ! فقد كانت تريد مني أن ألوم الرجال وأوجههم للنظر بعيدًا عنها، هنا في وطنهم، حيث كنا ضيوفاً، تخرج عليهم إحدى المعتوهات الأجانب شبه عارية، آملة أن يتغير الرجال " !

هذا الكلام الذي كتبته (هيثر إي هاينج) هو صوت الفطرة وقد نطقت به امرأة مثل باقي النسويات ! ولكن يستوقفني هنا أنها ذكرت صفة من صفات الفئة الثانية من النساء اللاتي يتعمدن التكشف وإغواء الرجال ألا وهي :

أنهن يمتلكن نوعاً من (القوة)، وهن يعلمن ذلك !

فالشابة التي تذهب لقضاء مصلحة حكومية أو خاصة أو التقدم لوظيفة ما ثم تتزين بكامل زينتها وتتعمد ارتداء ملابس الإغراء الضيقة أو الشفافة أو المكشوفة التي تعرف أنها تكشف قدميها أو فخذيها أو مؤخرتها أو ثدييها وذلك لتحظى بفرصة أكبر من غيرها في الفوز بالوظيفة أو بإسراع معاملتها وإكرامها : هي من هؤلاء !

Sexual Leverage (النفوذ الجنسي)

هذه هي قوة التأثير الجنسي التي تحدثنا عنها الآن، تلك القوة التي تجعل قيمة المرأة : (في مقدار ما تكشفه من جسدها) ! لا في عقلها ولا في تفكيرها ولا في ثقافتها ولا في إنسانيتها ولا في أي من تلك الشعارات الرنانة التي يُصدع بها فئة من النسويات رؤوس العالم دفاعاً عن المرأة !

يطلبون من الرجال التعامل مع (عقل) المرأة واحترامها : وفي نفس الوقت يعطونها مبررات التكشف والتعري التي لا تجعل الرجال يفكرون فيها (إلا جنسياً) ! قمة التناقض الفج للأسف.

الناشطة النسوية الاسترالية (بيتنا أرندت) Bettina Arndt هي واحدة من اللاتي يتحدثن بجرأة وصراحة عن (تحرش النساء الجنسي بالرجال) ! ومن واقع عملها كمعالجة جنسية كذلك، ولم تستحي من نشر مقال على موقعها Bettinaarndt عام ٢٠١٢م بعنوان :

" **سياسة ما بين الثديين** " The Politics Of Cleavage .

ذكرت في أوله هذا الموقف كمدخل قوي ولضرب المثل :

" شاب وشابة يُجريان محادثة ودية بعد حصة يوجا. تبدو الشقراء ذات الوجه النضر مرتاحة تماماً، لكنها تتجمد للحظة قائلة : "هل نظرت إلى صدري للتو" ؟ تسأل بغضب، وذراعاها منعقدين بحزم.

"نعم"، يتمتم الشاب في أسف، كان ردها عنيفاً : "ألا يمكنني الذهاب إلى فصل يوجا دون أن يحدق بي بعض الحمقى" ؟!

وبدلاً من الرضوخ، يقرر الشاب الدفاع عاطفياً عن أفعاله قائلاً :

"إذا كنتِ لا تريدينني حقاً التحديق في ثدييك الجميلين : فسترتدي شيئاً آخر غير حمالة صدر رياضية أرجوانية تغطي ربما ثلث ثدييك المثاليين" ! وهكذا يجادل مشيراً – من بين أمور أخرى – إلى أنه مُبرمَج بيولوجياً للبحث عن ثديين يمنحان الحياة لنسله في المستقبل ! إنه لطيف وعاطفي ومقنع في نهاية المطاف. انتهى بها الأمر بطلب القهوة منه".

هذه القصة رغم أنها من امرأة غربية، إلا إنها تعبر عن فطرة الناس جميعاً، وعن الرد المنطقي للتعليق على نظر رجل لامرأة تعرض جسمها أمامه ! (بالطبع لو ذكرتَ ذلك صراحةً اليوم لتم وصفك على الفور بالمتحرش وبالمحرض على التحرش وبالمبرر للتحرش و و و).

ذكرني الموقف بقصة طريفة نشرها أحدهم على وسائل التواصل منذ سنوات عن شاب وزوجته مكشوفة الصدر، حيث جلسا في قطار وأمامهما رجل كبير السن قروي بسيط، الرجل ظل محدقاً في الصدر المكشوف أمامه لزوجة الشاب، حتى جاءت اللحظة التي انفجر فيها الشاب غاضباً ومهدداً الرجل بأنه لولا كبر سنه لكان له معه تصرف آخر !

وهنا يرد الرجل القروي البسيط في هدوء وحكمة وبعدما أوصل الفكرة وأوصل مراده إلى الشاب :

"إذا كان يؤلمك نظر الناس إلى صدر زوجتك فلماذا تركتها تكشفه" ؟!

رد منطقي في عبارة واحدة لا يمكن لعاقل أن يستنكره !

الفتاة / الشابة / المرأة / لا تجد غضاضة في كشف جزء من جسدها أمام النساء مثلها، وغالباً لا يستثير النساء مثل ذلك، ولعلها حكمة من حكم الخالق عز وجل لأن المرأة أكثر ما يباشر غيرها في حياتها لأغراض مختلفة مثل الرضاعة

مثلاً أو تنظيف الصغار أو التمريض والولادة ونحو ذلك، وكذلك العناية ببعض كبار السن إلخ، لكن تكمن المشكلة هنا عندما ينسحب ذلك التصور منها (أي أنه لا ضرر في كشف بعض الجسد) لتظن معه أنه (عادي) أمام الرجال !

بل وهناك مَن تتعمد التزين والتكشف لتحوز على إعجاب أو مديح شخص ما على جمالها وجاذبيتها (تريد جذب انتباه شخصٍ واحدٍ فقط) : فإذ بها تؤذي وتلفت أنظار كل المراهقين والشباب والرجال الذين تمر بهم !

ومن هنا كانت حكمة الله تعالى في أن يكون الشرع من عنده – أي من مصدر أعلى ومحايد – من خارج الرجال والنساء، من الله الخالق العالم بنفس وطبيعة كل منهما دون تحيز، وكذلك لعلها من الحكمة أن جعل الله طاعة المرأة للرجل فيما تلبس وترتدي، لأنه (كرجل) يعرف (بالضبط) ما سيجذب نظر الرجال الآخرين لزوجته أو ابنته إذا تكشفت أو ارتدت ملابساً تغريهم لإقامة علاقة معها، أو الاعتداء عليها، أو التحرش بها، أو (لا قدر الله) اغتصابها !

وهنا يأت دور الإعلام الفاسد للأسف، وهو تطبيع الرجال مع هذا التكشف وقبوله على نسائهم : من كثرة ما يرونه في الأفلام والمسلسلات والأغاني والإعلانات ! لكن سبحان الله : يتبقى حارس (الغيرة) مستيقظاً في مواقف أخرى لا تقبل المساومة أو الظن (حتى في أكثر الدول تفسخاً وليبرالية وحرية)، مثل معرفة الزوج مثلاً بخلوة زوجته مع رجل بمفردهما وهي ترتدي ملابس قصيرة أو شبه عارية ! فساعتها لن يقول أنهما كانا يتباحثان في مشكلة الغذاء العالمي وتوزيع الثروات ! إذ مع ما ترتديه زوجته والخلوة مع رجل : فلن يكون ثالثهما إلا الشيطان ! وكما أخبرنا رسولنا الكريم ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره : "**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**".

فسبحان الله.

تحكي (بيتنا أرندت) عن امرأة في منتصف الأربعينيات حدثتها عن زميلتها الشابة الساذجة في سن ٢٢ عاماً، والتي قامت بعملية تكبير الثديين، حيث وفقاً للثقافة المنتشرة اليوم فعلت ذلك ليأتي إليها بالرجل المناسب الذي يرتبط بها وتستقر معه، لكنها فوجئت بعد عملية التكبير بأن (جميع الرجال) صاروا ينظرون إليها على اختلاف أعمارهم وأشكالهم ووظائفهم (طويل قصير قبيح وسيم رفيع بدين إلخ) ! فصارت تأتي كل يوم لزميلتها الأربعينية قائلة :

"**يا إلهي، لن تصدقي مَن نظر إليّ اليوم**" ! فتقول المرأة متهكمة :

"**كما لو كان من غير المعقول لهؤلاء الرجال أن ينتبهوا لهذا الصدر**" ؟!

نعم.. هذا هو الشيء الطبيعي بالفطرة.

أنت تعرضين شيئاً مطلوباً للرجال.. وهم ينظرون !

ولولا بقية دين في رجال، وخوف الآخرين من الشرطة والقانون لانتشرت حوادث الاغتصاب لمثل هؤلاء العارضات فتنتهن في كل مكان ! وحتى في فعاليات (مشية العاهرة) SlutWalk التي ابتدعها بعضهن رداً على شرطي كندي (نصح النساء بأن يحتشمن في ملابسهن إذا لا يرغبن في التعرض للاغتصاب) فقام دعاة الرذيلة بالعبث في عقول الفتيات والنساء بأن يقمن في تلك الفعالية **تحت حماية الشرطة** بالتحدي وارتداء أفحش الملابس العارية التي تكشف عوراتهن علناً مثل العاهرات ! تقول (بيتنا أرندت) وعلى لسان أحد منظمي تلك الفعاليات (جيمي لورين كيليس) Jamie Lauren Keiles : أن هذه الأوقات التي تتعرى فيها الفتيات والشابات والنساء في حماية الشرطة ومحاطة بالكاميرات : **لا يصح قياسها على الأوقات الأخرى العادية ! إذ لا نتخيل أن تلبس إحداهن هذه الملابس العارية مثلاً في مكان آخر** (أي من غير حماية الشرطة) **وتعتقد أنه لن يصيبها مكروه من تحرش أو اغتصاب !**

والرجل كلامه صحيح بالطبع، فهو لن يخادع نفسه هنا !

لذلك عندما قامت الأمريكية (جيسيكا فالنتي) Jessica Valenti بتتبع تعليقات القراء في بعض المواقع الشهيرة على تحدي النسويات لنصيحة الشرطي الكندي فصرن يروجن لفعاليات التعري ! بل واتهمنه بأنه كان يبرر للمتحرشين والمغتصبين جريمتهم (لأن المرأة عند النسويات المتحررات يجب أن تلبس ما تريد طالما يمكنها قول "لا" في اللحظة المناسبة) :

نفاجأ نحن (بعد قراءة تعليقات القراء الأجانب) بأنها نفس تعليقاتنا في بلادنا ! فهل سيتم وصف الغربيين أيضاً بأنهم (يعانون من الكبت الجنسي) ؟! تلك التهمة المعلبة الجاهزة في وجه كل معترض ؟! وقد جمعت هذه التعليقات من ثلاثة مواقع في موضوعها بموقع Jessicavalenti.tumblr عام ٢٠١١م :

"لماذا نحتاج (مشية العاهرة) : دراسة للتعليقات".

Why We Need SlutWalk: A study in comments

حيث نقلت من أول مقال على موقع CNN (١) تعليقات القراء التالية :

"أشعر بالأسف نوعاً ما على ضابط الشرطة. أنا أفهم أنه لم يكن يلوم الضحايا، ولكن كل ذلك تم تضخيمه بشكل مبالغ فيه. أعني أننا نحاكم اللصوص، ولكننا نطلب من الناس أيضاً إغلاق أبوابهم عندما يخرجون" !

---

(1) 'SlutWalk' protests against sexual violence go global, Paul Armstrong, May 10, 2011.

ومن المهم جداً الإشارة هنا أنه في مثل هذه المواضيع الشائكة الأفضل هو الاحتفاظ بعنوان المقال الأصلي لكثرة تغيير مكانه في الموقع أو حذفه نتيجة التعليقات. وإذا تم حذفه فيمكن ساعتها البحث عنه في جوجل بالعنوان أو موقع أرشيف النت.

"جدياً : إذا كنتِ ترغبين في ارتداء ملابس مثيرة وتفاخرين بمفاتنك، فيجب أن تتوقعي العنف الجنسي. نعم، يمكنكِ إلقاء اللوم على الرجل الذي لا يستطيع التحكم في نفسه، ولكن كما أثبتي إدانته : فيجب أن تكوني مُدانة أيضاً كونك مغرية للغاية" !

"النساء اللاتي يرتدين ملابس استفزازية سوف يجذبن المنحرف/ المغتصب الأقرب لهن. الأمر بهذه البساطة. عندما يرون الثدي والفخذ والمؤخرة، فإنهم سيصابون بالجنون. لذلك لا تغروهن قدر الإمكان" !

"عندما تُظهرين مفاتنك : فأنتِ مخطئة بنفس القدر الذي تعرضتِ به للاغتصاب" !

"لا تلومين الشخص المعتدي فقط إذا كنتِ تدورين في جميع الأنحاء عارضةً مفاتنك" !

"إذا لم أرغب في اقتحام سيارتي، فسوف أُغلق الأبواب وأُبقي الأشياء الثمينة بعيدة عن النظر. هل هذا ضامن لحفظها ؟ لا، لكنه يقلل من المخاطرة. سيداتي، احملن ما تدافعن به عن أنفسكن وتعلمن القتال وإلا قد تجعلن من أنفسكن ضحايا بسبب ما تعطونه من انطباعات خاطئة".

"لن تمشي وسط حديقة حيوان سفاري (أي حيث الحيوانات بدون أقفاص) برائحة لحم خنزير مقدد ! أليس كذلك" ؟

"إذا كنتِ ترتدين مثل لوحة الإعلانات، فستجذبين عملاء. لا يمكنكِ أن تفعلي ما تريدين ثم تتوقعين أن يفكر الجميع في مقصودِك. أنتِ لست مميزة إلى هذه الدرجة ".

وأما من موقع The Globe and Mail [1] فنقلت التعليقات التالية :

"صار منتشراً رؤية نساء يتجولن عارضات ما بين ثديهن؛ في أحد المستشفيات في ذلك اليوم اتكأت سيدة شابة نضرة لملأ استمارة وانكشفت حلمة ثديها بالفعل – لكن لا تنظر، مهما فَعَلَت. كم عدد الآباء الذين سمعت عن قلقهم بشأن ارتداء بناتهم المراهقات لباس مثل... ، أوه، عاملات الجنس ؟ – ولكن لا تنظر إليهن في حال اتهمتك بارتكاب شيء كريه ! من الواضح أنه سيتسبب في وقوع شيء ما – لكن إياك أن تجرؤ على التفكير في ما هو" !

"يجب أن تدرك النساء أن ارتداء الملابس المثيرة يزيد من خطر جذب الانتباه غير المطلوب" !

" تحتاج الشابات إلى تحمل المزيد من مسؤولية أفعالهن. لغة الجسد – بما في ذلك كيف ترتدين ملابسك – ترسل رسائل – وقد يسيء الشباب تفسير هذه الرسائل. نعم، للشباب مسؤولية أيضاً، لكن إذا كانت النساء لا يبحثن عن اهتمام الرجال : إذن لا تلبسن بالطرق التي تحصلن بها بالتأكيد على ذلك الاهتمام ثم تتظاهرن بالبراءة !!! هذا إهانة للنساء الأخريات !!!"
– علامات التعجب الكثيرة من صاحب التعليق –.

ويعلق آخر على اختيار المحتجات لاسم فاحش وهو "المشي كعاهرة" :

"سيداتي، لقد اخترتن اسماً يدعو إلى الاعتداء" !

مكتبة
t.me/t_pdf

---

(1) Slutwalk sweeps North America, JOSH REYNOLDS, May 11, 2011.

هذا هو عنوان المقال للبحث عن رابطه لأنه تم تغييره.

ومن موقع The Sydney Morning Herald [1] التعليقات التالية :

"والدتي العزيزة كبيرة السن اعتادت أن تقول : "الذين لا يملكون احتراماً لأنفسهم ويرمون بأنفسهم بعيداً يتم التخلص منهم". الرجال أيضاً لهم حق المشي جماعات في ظلام الليل في أي مكان ووقت – وهم يستطيعون ذلك – ومعهم صحبتهم وممتلكاتهم ظاهرة، لكن الحكمة والواقع وتجربة الحياة يشيرون إلى إنه سيكون من الحماقة لهم المخاطرة بحياتهم أو أعضائهم أو ممتلكاتهم. لممارسة هذا الحق" !

"يرتدين مثل العاهرات ثم يقلن : "هذا لا يعني أننا عاهرات لأننا نرتدي هذه الملابس"، نعم، وقد تكن على صواب، لكن دعوني أخبركن، أنكن ترتدين ملابس العاهرات" !

"تصرفن مثل السيدات المحترمات، ربما ساعتها يتصرف المزيد من الرجال مثل السادة المحترمين" !

"سينجذب الرجال دوماً إلى ملابس العاهرة، خاصة عندما يتدخل الخمر... يمكن للأعمى أن يفهم ذلك.... وأعتقد أن هؤلاء السيدات يفهمنه أيضاً......" !

"يمكن أن تكون القاعدة الأهم هنا هي : ألا تتركي خمارةً أو ملهىً ليلي مع شخص لا تعرفينه وأنت ترتدين ما هو أقل من ملابسك الداخلية ! قد يساعد ذلك في تقليل الاعتداءات الجنسية. لا تجلبين المشاكل لنفسك".

---

(1) Reclaiming the 'S'-word, Clem Bastow, May 12, 2011.

الرابط تم إلغاؤه من موقع www.smh.com.au لكنه موجود في موقع أرشيف النت إذا تم البحث عنه فيه بالرابط من المقال الأساسي لـ (جيسيكا فالنتي).

"إنه نفس الشيء عندما تجري عبر شارع مزدحم بدلاً من استخدام تقاطع فتزداد احتمالية اصطدامك بترام أو سيارة. والأكثر من ذلك، عندما يسكرن ويزاحمن الرجال (سواء كان في ملهى ليلي أو في الركن الخلفي عنده) فإنهن يزدن من احتمالية وقوع شيء ما. بعض الرجال لديهم النزعة لارتكاب هذه الأفعال (الأفعال الإجرامية) ويزداد ذلك كثيراً عندما يكونون مع امرأة في ملابس عاهرة، ويتعاطون المخدرات أو الخمر، ويتغازلون ويحومون في الأنحاء. إنهن بحاجة إلى تحمل بعض المسؤولية عن أفعالهن".

"إذا كنتِ امرأة ترتدي ملابس كاشفة، فإن احتمالية أن تكوني ضحية تزداد، نحن كمجتمع يمكننا إلقاء اللوم على المغتصب حتى تعود الأبقار إلى المنزل، لكن هذا لن يساعد التي تعرضت للاغتصاب. أفضل طريقة للتأكد من أنكِ لا تصبحين ضحية في العالم الذي أعيش فيه هي عدم لفت الانتباه إلى نفسك. مسؤولية الواحد تجاه ذاته ضرورية لضمان عدم وقوعك ضحية".

انتهى النقل... ولن نجد أصدق من كلام الناس لأنه غير محكوم بالمطاردات الإعلامية والقضائية إذا لم يتحدثوا بما تمليه عليهم النسويات بقوة القانون ! إذ نلاحظ أن كلام المعلقين هنا عقلاني ومنطقي وبمثل وضوح ١+١=٢ !

لكن للأسف الشديد في عالم يتم الضغط فيه إعلامياً وحقوقياً وتشريعياً وسياسياً : صار اليوم (وبعد ٩ سنوات من بدعة هذه الفعاليات الفاضحة) مِن الخطأ أن يصرح شخص ما مشهور بذلك رسمياً، وإلا فلن ينتهي من المتاعب التي سيصبونها على رأسه وفي عمله بتهمة الترويج لفكرة أن (المرأة هي السبب)، أو لـ (ثقافة الاغتصاب) Rape culture ، أو (لوم الضحية) Victim blaming، أو حتى (الخجل من كونها عاهرة) Slut shaming !

هذه الفعالية الفاضحة لولا أنها بإذن رسمي وفي حماية الشرطة والكاميرات في كل مكان : لكانت مرتعاً لأكبر حوادث التحرش والاغتصاب حرفياً.

ولو لاحظنا لوجدنا تواريخ المقالات الثلاث من الثلاثة مواقع المنقول منها التعليقات هي بتاريخ ١٠ – ١١ – ١٢ مايو ٢٠١١م (أي مع انطلاق أول فعالية للمشي كعاهرات) – الجميل هنا وأنا أبحث عن رابط المقال الثالث والأخير منها وجدت هذا المقال على نفس موقع The Sydney Morning Herald (www.smh.com.au) بعنوان :

"(مشية العاهرة) قد يضر بتأييد حقوق المرأة".

Slutwalk may damage women's rights cause

لن أستعرض ما جاء فيه وأترك مطالعته لمن يريد الاستزادة. لكن استوقفتني جملة معبرة جداً من البروفيسورة المنقول عنها الكلام بالمقال (اسمها جال دينيس Gail Dines).. خصوصاً أنها امرأة عاشت بين دول أمريكا الشمالية وأوروبا وأستراليا وشاهدة على حجم الفساد الأخلاقي والعهر النسوي الذي يطبعون عليه الفتيات والشابات والنساء هناك فتقول في أسى :

"المرأة الشابة اليوم لديها خياران، أن تكون متاحة لممارسة الجنس، أو تكون خفية، ولو كان الخيار الوحيد أن تكون مفرطة في الجنس، فأنت لا تستطيع وصفه بأنه خيار له معنى، ففي الولايات المتحدة : حتى المرأة التي تلقي الأخبار، وحتى السياسيات : يجب أن يكن كذلك" !

Young women today have two choices, to be f---able or invisible. If the only choice is to be hypersexual, you cannot call it a meaningful choice. In the US, even women who read the news, even politicians have to be.

أما الكلمة الأخيرة لي هنا قبل الانتقال إلى الفصل القادم، فهي ضرورة ملاحظة أن كل الذين يعرفون افتقاد أطروحاتهم للمنطق وللعقل السليم : نجدهم يستغلون أي مقولة هنا أو هناك أو موقف أو حادث (ومهما كان فردياً أو غير متعمد) ليقيموا عليه الضجات الإعلامية والفعاليات والهاشتاجات والثورات الحقوقية التي لا نراها في أشياء أخرى تستحق ذلك ولا يلقون لها بالاً للأسف !

يعني ستجدهم **يستعطفون العالم** مثلاً على حادث اعتداءٍ على شاذٍ أو شاذةٍ جنسياً أو متحولٍ إلخ : لكنك لن تسمع لهم صوتاً في مئات قضايا الاعتداء الجنسي من الشاذين على غيرهم (وعلى الصغار والأطفال تحديداً) ! وستجدهم **يستعطفون العالم** ليناصرهم في طلب لجوء شابة (عربية) للدول الغربية بحُجة هروبها من (جحيم) الدين أو الأسرة أو التقاليد في بلدها : لكنك لن تسمع لهم حساً للدفاع عن نفس المرأة (العربية) إذا تم منعها من حقوقها المجتمعية في الغرب بسبب حريتها واختيارها الشخصي في ارتداء الحجاب ! رغم أن هذه امرأة وهذه امرأة ! وهذه تطالب بحريتها.. وتلك أيضاً تطالب بحريتها !

وستجدهم **يستعطفون العالم** لإقرار قوانين تمنع زواج الفتيات والشابات أقل من ١٨ سنة : في حين تمتليء بلادهم (في أمريكا وفرنسا وغالب أوروبا وغيرها) بالعلاقات الجنسية (سواء بزواج أو بدون زواج) مع فتيات من سن ١٠ سنوات و ١٢ سنة و ١٤ سنة وبعضها لا يتم اعتراضه حسب قانون الدولة أو الولاية التي حدث فيها ! وستجدهم **يستعطفون العالم** بمعاناة النساء (في زحام المواصلات مثلاً نتيجة ظرف معين في البلاد) : رغم معاناة الرجال من نفس الزحام نتيجة نفس الظرف ! فكل ذلك هو ملامح عالم (تصيد الفرص) بل (صناعة الفرص) من أي موقف أو مقولة أو ظرف ما يقع هنا أو هناك، وتماماً كما حدث مع نصيحة الشرطي الكندي للنساء !

الإعلام : ملهم الانحراف النسوي !

لنتخيل معاً مجتمعاً لا زال أكثر نسائه يلتزمن إلى حد كبير بالحشمة في الملابس والتصرفات، ولا يخلو من قلة منحرفة من النساء العاهرات والغانيات المائلات المُميلات.

ثم تأتي واحدة من أنصار الفساد لتقول : إن مستقبل هذا المجتمع هو أن تصير نساؤه كلهن كالعاهرات والغواني ! وأن هذا هو مستقبل الفتيات والشابات الحقيقي !

ورغم غرابة كلامها وصعوبة تحققه في الوضع الطبيعي : لكنها تعلم أن السلطة السياسية ستدعمه بالإعلام (أغاني وأفلام ومسلسلات وروايات) وستحققه عاجلاً أو آجلاً بقوة الرأسمالية والقانون لأنه يضمن (انحراف) ملايين النساء عن الجادة والصواب، ويفتح أسواقاً لبيعهن وبيع آلاف السلع المرتبطة بالموضة والدعارة والزنا ! فضلاً عن شغلهن عن أدوارهن الأسرية والمجتمعية الهامة، وشغلهن عن المطالب النسوية العادلة الحقيقية التي تلتقي في ذلك مع مطالب الرجال، إنها (الفوضى) الجنسية التي يتمنى أي ظالم إغراق شعبه فيها منذ قديم الزمن وإلى اليوم ليسرقه هو وأعوانه بكل هدوء !

هذا بالضبط ما فعلته (كاميل باليا) وتنبأت به للنسويات ! وهو أن يكون المثال الأعلى للفتيات والشابات هو (عاهرة) أو (غانية) مبتذلة تدور بلحمها العاري على موائد الرجال في شتى مجالات المجتمع !

تريد من كل امرأة أن تصير قدوتها نسوية غارقة في شهوة الجسد والعناية بالمظهر : وهي تعاني الموت النفسي والعاطفي البطيء !

(مادونا) العاهرة : النموذج والقدوة !

يعرف معظم جيل الثمانينيات والتسعينيات المطربة الأمريكية العالمية (مادونا) – أو سمع عنها على الأقل – مع ظهور وانتشار أغاني (الفيديو كليب) المصورة في الربع الأخير من القرن العشرين، والتي تميز أغلبها بإثارة المشاهدين جنسياً بمختلف صور العري والرقص والإغراء، والتي خرجت عن مجرد (الصوت) إلى (الصوت والصورة) والتمثيل المصاحب للكلمات !

وبمختصر القول : فإن النسويات (المتمردات على قوانين المجتمع) قبل (مادونا) كان يتسم عدد كبير منهن بالمظهر المحترم الجاد البعيد عن التبذل والتعري والتكشف وإثارة الغرائز (لأنه كان يغلب على مطالبهن مطالب فكرية وشرعية وسياسية)، لكن بعد (مادونا) : صار (لا مانع) من أن تجمع النسوية ما بين ذلك التمرد على قوانين المجتمع : وبين أن تلبس كالعاهرات اللاتي يبرزن مفاتنهن ويتعرين في أي مناسبة أو جمع بين الناس !

ونِعم التحضر والتقدم النسوي !

تقول (باليا) عن هذا الأثر الذي أحدثته (مادونا) :

" لكن طرأ تغييرٌ جذريٌ على النسوية في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي، حيث كانت الصور الجنسية الصريحة والعري الجزئي – التي قدمتها (مادونا) في أغانيها التي بثها التلفاز إلى العالم كله – تعمل على تشكيل وعي الجيل الجديد من النساء الأصغر سناً. بدأت (مادونا) عملية التحرر التي أعرب العديد من المعلقين من اليمينيين واليساريين على حد سواء عن استيائهم منها، لأنها كانت نوعاً من الـ "شرعنة الإباحية" داخل أميركا. بدأت الثورة ضد طغيان (ماكينون) و(دوركين) من داخل الحركة

النسوية في الثمانينيات في سان فرانسيسكو، حيث كانت هناك معارك ضارية حول السادومازوخية السحاقية ولعب دور المرأة المسترجلة. بحلول أوائل تسعينيات القرن الماضي، اكتسبت حركة الشاذات جنسياً "مثليات أحمر الشفاه" اهتماماً وطنياً، وقد مثل ذلك تحولاً جذرياً في صورة المرأة النسوية المثقفة باعتبارها تتبنى أيديولوجية سياسية قاتمة وترتدي ملابس رثة. كان للموجة النسوية الثالثة في التسعينيات – وهو مصطلح استخدمته لأول مرة (ريبيكا ووكر) – مواقف مختلفة بشأن هذه القضايا. وعلى الرغم من تزمت (نعومي وولف) المبكر تجاه الجمال، فقد تبنت في النهاية موقفاً مؤيداً للجنس قريباً من موقفي، بينما انحازت (سوزان فالودي) إلى حزب (شتاينم) فيما يتعلق بمناهضة النسوية للثقافة الشعبية". [1]

هذا المجهود لتعميم شخصية (مادونا) المتحررة جنسياً كقدوة في المجتمع للنساء : لم يكن ليتحقق لولا رفع الإعلام لها ! بل وجعلها تتحدث في أمور العامة والحقوق النسوية : فتبدو كالمثقفة رغم إباحيتها في نفس الوقت ! وهذا هو الرويبضة التافه الذي يتحدث في أمر العامة ! أو كما قال رسول الله ﷺ.

وهو ما يحدث في مجتمعاتنا العربية اليوم !

وبالعودة إلى (كاميل باليا) : فقد وجدت في (مادونا) النموذج الإعلامي الذي سيحقق لها (الشهرة) إذا تعلقت بأهدابه (أي استغلالها لأوج شهرة مادونا في ذلك الوقت والجدل المجتمعي المثار حولها).

لذلك كتبت مقالاً عنها في عام ١٩٩٠م تحكي عنه قائلة :

---

(١) من كلمة (النسوية الماضي والحاضر) – مصدر سابق.

" قوبل كتاب (أقنعة جنسية) بترحيب معظم النقاد والمراجعين، وقد كانت مقالتي عن (مادونا) في صحيفة نيويورك تايمز في وقت لاحق من عام ١٩٩٠م هي التي جعلتني مشهورة على الفور، ويمكن الاطلاع على التفاصيل الأساسية لما تدور حوله هذه المقالة ومقالاتي الأخرى في تلك الفترة الملتهبة في فصل "تاريخ وسائل الإعلام" من كتاب (الجنس والفن والثقافة الأمريكية)... في عام ٢٠١٠م، عرضت صحيفة نيويورك تايمز هذه المقالة باعتبارها واحدة من مقالاتها الافتتاحية الأكثر أهمية وتأثيراً في الأربعين عاماً الماضية منذ أن وضعوا معاييرهم القياسية لتقييم المقالات. إن سبب عاصفة النقد كان: أولاً، هجومي الصريح على المؤسسة النسوية التي عادةً ما كانت فوق النقد، وثانياً، نبوءتي الصادقة بأن "مادونا هي مستقبل النسوية"، والتي قوبلت بالسُخرية على نطاق واسع لأنها لا تمت للواقع بصلة، إلا إن تلك النبوءة تحققت بالانتصار المدوي لدعاة النسوية المؤيدة للجنس التي طال صمتها في التسعينيات".[١]

وبنظرة أقرب على ما يعجب (باليا) في (مادونا) تقول :

".....كما تغلبت الثقافة الشعبية الغنية والمرنة على الأعراف الأخلاقية الباهتة للنسوية الأكاديمية. على سبيل المثال، احتضان (مادونا) للسيناريوهات الإباحية والأزياء الراقية الساحرة لم يهدم "الهيمنة الذكورية" (كما يقول أساتذة العلوم الإنسانية الوقحين) بل حطم النسوية المتشددة أمثال (ماكينون) (والتي – بمناسبة هذه النقطة – واقعة في غيبوبة). فمن بعد (مادونا) لم تعد النساء الأصغر سناً يشعرن أن مساحيق التجميل

---

[١] من مقدمة كتابها (حرائر وأحرار) – مصدر سابق.

والملابس المثيرة تتعارض مع النسوية. كان التقدم ملحوظًا بشكل خاص في عالم الشاذين جنسياً مثل حركة "مثليات أحمر الشفاه" في أوائل التسعينيات، والتي ظهرت لأول مرة في الساحل الغربي، واستطاعت أن تكسر الصورة النمطية القائمة للنسويات الشاذات جنسياً التي كانت مشهورة بالأزياء السيئة وتناول الجرانولا.

إن غلاف كتاب Hot, Throbbing Dykes to Watch Out For وهو آخر كتاب لـ (أليسون بشديل) - رسام الكاريكاتير الشاذ جنسياً - يبين كل شيء حيث في المكتبة النسوية، سترى أن أقسام الأدب الإباحي والإثارة الجنسية ممتلئة بالعناوين البراقة التي يتلقفها القراء المتحمسون، في حين ستجد القسم الصغير المعنون بـ "النظرية النسوية" خالياً أو ربما ممتلئاً، لكن ليس بالكتب، بل بشباك العنكبوت".[١]

إن الواحد ليعجب من تجاذب الباطل بعضه البعض، فلو لم يكن من علامة للباطل إلا اجتذابه لكل فاسد وباطل مثله : لكفى كل عاقل ليعرفه ويحذر منه ! وإني لأعجب من الصلة الوطيدة بين النسويات الحديثة المتحررة التي تمثلها (كاميل باليا) وبين كل ما هو إباحي وشاذ وسادومازوخي تأباه الفطرة ويشذ عنه الذوق ! لكن يزول العجب بمعرفة أن الباطل دركات، ما إن تنزل واحدة :

حتى تستدعيك باقي الدركات لأسفل منها، فليس هناك مبرر في أن تقبل المرأة الزنا مثلاً خارج الزواج بدعوى الحرية : ثم تعترض على امرأة أخرى تطالب

---

(١) من مقالها (يجب على النسويات الأكاديميات تحقيق نموذجهن النبيل والنشط) Academic Feminists Must Begin to Fulfill Their Noble, Animating Ideal، The Chronicle of Higher Education، ٢٥ يوليو ١٩٩٧م.

– بنفس دعوى الحرية – بحقها في الشذوذ مع امرأة مثلها ! ثم لو قبلت بذلك : لكان عليها قبول – بنفس مبدأ الحرية – مَن تنادي بأي علاقة شاذة بين الرجال أو مع الحيوانات أو حتى زنا المحارم ! هي سقطة واحدة يتبعها الاستخفاف بالدين والشرع والحلال والحرام والسخرية من كل ذلك بالتدريج : إلى أن تسقط المرأة في هوة بعيداً عن كل القيم والمبادئ والأخلاق للأسف !

لذلك ما إن تسير امرأة في ركب النسوية المتحررة إلا وتصير أقرب إلى الإلحاد أو إلى أي مذهب يحل عندها محل الدين : مهما كان مغرقاً في السطحية والخيال والاستخفاف بالعقول، مثل زعم (باليا) أن الطبيعة الأرضية طبيعة وحشية مقززة بطبعها (طبيعة سفلية من باطن الأرض) وأنه لذلك يجب علينا أن نتماشى معها في سفولها وانحدارها الأخلاقي والقيمي ! تقول :

" معظم النسويات البارزات خرجن من بيئات لها تقاليد أنجلو أمريكية. حتى المفكرات اليهوديات، مثل (بيتي فريدان)، يتفقن معي فيما وصفته بـ "الافتتان بالكلمات" في الثقافة الأنجلو أمريكية، حيث يحدث الكثير من الخلط واللبس بين اللغة والواقع يؤدي إلى عدم القدرة على فهم الصور الواقعية، والتي هي جوهر الوثنية البابلية في هوليود. لقد قدمتُ أنا و(مادونا) – كوننا كاثوليكيات علمانيات – وجهة نظر معتدلة إلى النسوية في أواخر القرن العشرين. فنحن نحترم الشهوة والطبيعة الديونيسية الأرضية، وإيقاعات الأرض العميقة المظلمة، وكذلك السحر الأبولوني الظاهر في الأزياء، وعبادة النجوم، وهي ذائقة نتشاركها مع الرجال الشاذين جنسياً".[١]

---

(١) من محاضرة (معركة الجنسين الحديثة) – مصدر سابق.

إن (باليا) مولعة بإضفاء الواقعية على الأساطير اليونانية القديمة (والأساطير بوجه عام) فتستخرج منها الرموز والتفسيرات لإسقاطاتها الغريبة والشاذة في الحياة، خاصة مع (أبولو) إله الشمس المزعوم والتفكير العقلاني والنظام، والذي يدعو إلى المنطق والحكمة والطهر. وأخيه (ديونيسوس) إله الخمر والمجون، والذي يسعى لنشر اللاعقلانية والفوضى مستخدماً العواطف والغرائز. تقول (باليا) :

"إن تركيزنا على الجمال هو استراتيجية (أبولونية)، فأوراق الشجر والزهور والطيور والتلال الخضراء هي نمط من القصاصات التي يمكننا من خلالها رسم خريطة لما نعرفه. ويؤكد الغرب في نظرته للطبيعة على العنصر الأرضي (الكثوني) Chthonian، وهو يعني باطن الأرض والعالم السفلي، وليس سطحها. وهو المصطلح الذي تطلقه (جين هاريسون) على الديانة الإغريقية ما قبل الأوليمبية، وأنا بدوري أتبنى المصطلح بديلاً عن الديانة (الديونيسوسية) التي تلطخت بالكثير من الابتذال مؤخراً. فالديانة (الديونيسوسية) ليست نزهة، إنها الواقع الأرضي الذي يتهرب منه (أبولو)، وهي السحق الغاشم للقوة تحت الأرضية، والتسرب الطويل البطيء للظلمة والوبال، ويتجلى ذلك في وحشية البيولوجيا والجيولوجيا التي تهبط بالإنسانية إلى طبيعتها الحيوانية، والانحطاط وحمّام الدم الذي تسببت فيه الداروينية،[١] إنها الابتذال والانحلال اللذين يجب أن نمنعهما

---

[١] معلوم أن (تشارلز داروين) زعم أن الإنسان تطور عن الحيوانات وألصق ذلك زوراً بالعلم، كما زعم أن كل الجمال في الطبيعة والإبداع في الكائنات الحية هو نتيجة طفرات عمياء وانتخاب طبيعي لا هدف له إلا الإبقاء على الأصلح، وقد أسس في سبيل تلك الرؤية المنافية للعقل والإيمان : نظرته إلى البشر على أنهم تطوروا من كائنات تشبه القرود، بل وزعم أن السكان الأصليين في قارات أستراليا والأمريكيتين والقبائل البدائية هم أقرب للغوريلا والشيمبانزي، وأن الإنسان الأكثر تطوراً عنده (وهو الإنسان الأوروبي الأبيض) سيقتلهم ويتخلص منهم ! وهو ما اتخذه العديد

من دخول حيز الشعور لاستعادة النزاهة الأبولونية كأفراد، وما العلوم وعلم الجمال الغربيين إلا محاولات لصياغة هذا الرعب في صورة مقبولة. إن شيطنة الطبيعة الأرضية (الكثونية) هي سر الغرب القذر، فجعل أنصار الهيومانية المعاصرة "المعنى الدرامي للحياة" هو أساس ومعيار الفهم الناضج، فقد أعادوا تعريف موت الإنسان وتبدل الزمان كقوالب أدبية عليا، وفي هذا نرى مرة أخرى الهروب والعاطفية. إن الشعور بمأساوية ودرامية الحياة هو استجابة جزئية لخبراتنا وممارساتنا، إنه انعكاس لمقاومة الغرب للطبيعة وسوء فهمها، إضافة إلى أخطاء الليبرالية، التي اتبعت في فلسفتها الرومانسية "وردزورث" الروسوي بدلاً من "كوليردج" الشيطاني".[١]

العجيب أن (باليا) تصف مطالبتها ودعوتها للإباحية والفجور بين النساء وبين التيار النسوي بأنها (تيار إصلاحي) !

تقول ذلك رغم اعترافها بنفسها - كما سنقرأ الآن – بأن أي سيدة محترمة من بداية القرن العشرين ستصدم إذا رأت ما صارت إليه نساء اليوم (فاقدات الحياء) !

أما بالنسبة لعالمنا العربي : فللأسف الشديد لم يكن يعلم معظم الشباب : الجانب الأسود من المغنيات والممثلات العالميات اللاتي يتم تلميعهن في عشرات القنوات الفضائية الغنائية والأفلام !

من مجرمي البشر بعدها ذريعة ومبرراً لأفظع جرائم الإبادة وحشية في أوروبا وأستراليا للأسف. كما استغله بعض الداروينيين في تجارب لا إنسانية عليهم.

[١] من مقالها (الجنس والعنف، أو الطبيعة والفن) – مصدر سابق.

أتذكر في صغري عندما كنت أشاهد التلفاز والأفلام الأجنبية، عندها كانوا يذيعون برنامجاً أسبوعياً في التسعينيات بعنوان (نادي السينما) من تقديم د. (درية شرف الدين)، وربما كان هو البرنامج (الوحيد) الذي يعرض نبذة عن حياة ومسيرة الممثلين والممثلات، كنت أسمعها تتحدث عن الممثلة الأمريكية أو العالمية (فلانة)، ثم تقول أن بدايتها مثلاً كانت عارضة (استربتيز)، وأنا لا أعرف وقتها معنى (استربتيز) أي (نادي تعري) ! أو أن بداياتها كانت على أغلفة المجلات الإباحية – هكذا بكل وضوح ! – وقس على ذلك بقية قائمة (الافتخار) بهؤلاء (النجمات) العالميات اللاتي يعشقهن الملايين في العالم العربي لجمالهن أو لأدوارهن في بعض الأعمال المميزة !

لا شك أن بعض أدوار الأفلام والمسلسلات المعتمدة على حبكة أو قصة جيدة : تحوز على إعجاب شريحة كبيرة من المشاهدين، لكن أغلبهم لا يفصل بين إعجابه بـ (قصة الدور) الذي لعبته الممثلة، وبين إعجابه بـ (الممثلة) نفسها ! يحضرني هنا صديق طفولة ورفيق شباب كان معجباً بإحدى الممثلات الشابات في مسلسل مصري شهير، كان دورها غاية في الرقة والحياء والبساطة والاحتشام، وأخبرني أنها – أي تلك الممثلة – هي النموذج الذي سيبحث عن شبيهها في حياته ليتزوجها.

ثم يشاء الله بعد انتهاء المسلسل بأسابيع قليلة يفاجأ بدورها في مسرحية تظهر فيها – نفس الممثلة - غاية في الخلاعة والتعري ! عندها فقط اقتنع بكلامي في الفصل بين الممثلة (كشخص) .. وبين الدور الذي تلعبه، وما قيل عن الممثلات في ذلك بالطبع يقال أيضاً على الممثلين الرجال.

ولم يكن الأمر يختلف كثيراً بالنسبة للأغاني الأجنبية...

إذ معظم المعجبين بها والمرددين لموسيقاها في عالمنا العربي : لم يكونوا يعرفوا معاني كلماتها في الحقيقة ! فقط يكررونها أو يرقصون على أنغامها أو يتغنون بكلماتها الشهيرة الواضحة دون فهم للمعنى، خصوصاً مع سرعة نطق الكلمات الإنجليزية مع الإيقاع، أو للذين لا يفهمون الإنجليزية، أو إذا كانت الأغنية بلغة أخرى غير الإنجليزية.

أتذكر هنا أغنية (إسبانية) اكتسحت العالم برقصتها المميزة في تسعينيات القرن العشرين أيضا، ولم يكد يخلُ منها حفل زواج أو ميلاد أو أي مناسبة رقص من المناسبات المنتشرة في طول البلاد وعرضها حتى للأطفال، وهي أغنية (ماكارينا)... لكن الذي لم يعرفه أكثر مَن تغنوا بها أو رقصوا على أنغامها : هو موضوعها الفاحش !

تحكي الأغنية عن الفتاة (ماكارينا) التي خانت صديقها عندما تركها وذهب لتأدية قسم الخدمة العسكرية ! بل وخانته مع اثنين من أصدقائه ! فيا له من معنى غاية في القبح : رقص على أنغامه الملايين...!

هذا الدور (الفاحش) للفن والأغاني والإعلام هو ما تشجعه (باليا) وترى فيه (التيار الإصلاحي) للنسوية ! وتعيب على النسويات المحترمات معاداتهن له، وإليكم نص كلامها حيث تقول :

"إن التيار الإصلاحي الذي أنتمي إليه اتسعت رقعته بشكل كبير، واستطاع أن يكسب شعبية كبيرة، وأعتقد أن الجيل الصاعد من النساء لم يعد متعاطفاً مع التيار النسوي الذي يفرض رقابته عليهن ويناهض اللذة. لقد تأثر هذا الجيل بشدة بالثقافة الشعبية. لعبت (مادونا) على وجه الخصوص دوراً محورياً في إثبات أنه من الممكن للشابات أن يَكُنَّ طموحات

ومبدعات وحازمات، وفي نفس الوقت يرتدين ملابس جذابة وعصرية. من المؤكد أن فرقة "سبايس جيرلز" قد اضطلعت بمهمة (مادونا)، وقد علمتُ أنها الآن بعد أن أصبحت فرقة مشهورة صارت تروج لهذه الفكرة في جميع أنحاء العالم. في الواقع، لقد سُررتُ بحقيقة أن أغنية فرقة "سبايس جيرلز" (########) في ألبومها الأخير، توضح بشكل رائع أطروحة كتابي (غانيات وعاهرات)، حيث أوضحتُ أن النساء البيض في الطبقة المتوسطة عالقات في عالم المكاتب المعقمة والعقيمة، وهن بحاجة إلى تنمية الشخصية العاهرة الخارجة عن القانون في أنفسهن.

ربما شهدت الثقافة الغربية في القرن العشرين أكبر التغيرات التي طرأت على مكانة المرأة في تاريخ العالم كله. إن أي سيدة محترمة من عام ١٩٠٧م ستصدم حقاً بنوعية النساء العدوانيات الجريئات فاقدات الحياء اللاتي نراهن حولنا في عام ١٩٩٧م. وقد حدثت هذه التغييرات بسرعة كبيرة لدرجة جعلتنا نعاني من نوع من الدوار الجنسي، ونحاول الآن استعادة توازننا. بعد مرور ثلاثين عاماً على الثورة الجنسية التي قام بها جيلي، هناك دلائل تشير إلى أن العديد من الناس ينظرون إلى الوراء بحنين إلى التقاليد مرة أخرى، ويسعون – خاصة بعد إنجابهم للأطفال – إلى إيجاد بوصلة تضبط وتوجه إيقاع حياتهم. وإن رفض هذا الأمر باعتباره مجرد "عودة إلى الاتجاه المحافظ" سيكون خاطئاً تماماً، لأن وباء الطلاق المستشري بين النساء وكذلك انتشار المخدرات بين الشباب يجب أن يلفت انتباهنا إلى أن الثقافة الغربية بأكملها تسير في الاتجاه الخاطئ.

ربما كان التحول بعيداً عن قيم الستينيات متزامناً مع صعود (ديانا سبنسر) على الساحة العالمية في عام ١٩٨١م. كان هناك استجابة دولية

هائلة بشكل غير متوقع - خاصة من جهة الشباب - لحضور حفل زفاف الأمير (تشارلز) و(ديانا) الخيالي. كانت (ديانا) من نواح كثيرة شابة تقليدية، فلم تتلق الكثير من التعليم ولم تكن لها طموحات مهنية كبرى. كل ما كانت تسعى إليه هو أن تكون زوجة وأم؛ وكانت مهمتها الأساسية إنجاب نسل جديد. وشأنها شأنّ العديد من الشابات الأخريات، كانت مهتمة بالأزياء والإغراء بطرق كانت تُعتبر سطحية وتافهة بالنسبة للمثقفين، وكانت محط سخرية وسائل الإعلام في ذلك الوقت. لكن جمهورها عشقها، وأشعلت بين الشابات الحنين إلى الرومانسية ومراسم حفلات الزفاف الملكية. لقد تابعت بشغف ظاهرة (ديانا) طوال الثمانينيات. لقد جعلتني أرى بوضوح كيف أصبح الفكر النسوي معزولًا عن مشاعر النساء العاديات - اللاتي من المفترض أن تقدم لهن الحركة النسوية يد العون - الآن في عام ١٩٩٧م، بعد رد الفعل المذهل على وفاتها المأساوية قبل ثلاثة أشهر فقط، لا يمكن لأحد أن يشك في تأثير (ديانا) الذي تجاوز الحواجز العرقية والجنسية. ولنا أن نسأل : هل يمكن لأي رجل إحداث مثل هذا التأثير؟ لقد أوضحت (ديانا) السحر الغامض للاختلافات الجنسية، والتي يجب أن نهتم بدراستها مرة أخرى. كانت جاذبية (ديانا) على مستوى من العاطفة البدائية اللاواعية التي لا يمكننا التعبير عنها خارج الفن".[1]

لقد تعمدت مد الاقتباس السابق من كلام (باليا) ليشمل الجزء الأخير الذي تعترف فيه بوجود عدد كبير من المجتمع والنساء بعدما عاينوا مصائب النسوية المتحررة : صاروا يحنون إلى الفطرة والحياة (المحافظة) خاصة بعد إنجاب الأطفال

---

[1] من محاضرة (معركة الجنسين الحديثة) – مصدر سابق.

(وهذا منطقي لأن حياة الاستقرار تتعارض كلياً وجزئياً مع حياة التفسخ والعهر الأخلاقي والخيانة وتعدد العشاق وتعدد الخليلات)، كذلك نقطة (الأميرة ديانا) الهامة التي تعترف فيها (بالي) بالسبب الذي جعلها **بعد ذلك** تدس في حديثها كلاماً عن (مراعاة النساء البسيطات وربات البيوت)، وذلك حتى تبدو (باليا) وكأنها النسوية التي (تراعي الجميع) ! في حين مَن يقرأ ويسمع لها يعرف أنها عكس ذلك الاتجاه الفطري (المحافظ) جملة وتفصيلاً !

بالطبع لن أستطيع الحديث عن مصائب (مادونا)، تلك الشخصية التي تراها (باليا) قرينتها في التفكير، وترى فيها (مستقبل النسوية القادم) ! يكفي معرفة أنها شاركت في إنتاج كتيب ملون عن السادومازوخية تظهر فيه عارية مع عرايا آخرين رجالاً ونساءً، هذا أقل ما يقال عن الفحش الذي تتعمده في بعض كلمات أغانيها، أو تظهره في الحفلات الغنائية أمام الجمهور بملابس عارية أو شبه عارية لتثير بها الجدل !

لكني سأختم حديثي عن (مادونا) بمقال لـ (باليا) نفسها وهي تنتقدها فيه على محاولة دفاعها عن أغنية فيديو كليب مثيرة أخلاقياً، حيث روجت فيها للممارسات الجنسية الشاذة والسادومازوخية، بل وظهرت فيها إحدى الممثلات عارية الصدر ! وذلك في مشهد مؤذي لأي أسرة محترمة، وكذلك للأطفال والمراهقين الذين كانوا يتابعون قنوات الأغاني ثم فوجئوا بتلك المشاهد الإباحية أمامهم دون سابق إنذار، فكتبت (كاميل باليا) قائلة :

"(مادونا)، لا تعيشي دور الواعظة.

في دفاعها عن أغنيتها الجديدة المثيرة للجدل (#########)، التي عرضت على شبكة Nightline الأسبوع الماضي، ارتكبت (مادونا) حماقات، وأخذت تهذي، وانتهى بها الأمر بأن ظهرت أقل ذكاءً مما هي

عليه بالفعل.

(مادونا)، اعترفي بخطئك.

الفيديو إباحي من الدرجة الأولى، إنه منحط، وشاذ عن المألوف. لقد كانت قناة MTV محقة في حظره، وهو قرار تأخر طويلاً. لا يمكن للوالدين السيطرة على التلفاز، وقد أصبح واقعاً لا مفر منه.

وعندما سألتها المراسلة (فورست سوير) عن دليل على مسؤوليتها كفنانة، قالت إن ذلك يتمثل في حبها للأطفال، ونشاطها الاجتماعي، وتأييدها للواقي الذكري... إجابة خاطئة (مادونا).

وهو ما عرفه (بودلير) و(أوسكار وايلد)، ليس للفن ولا للفنان مسؤولية أخلاقية تجاه القضايا الاجتماعية الليبرالية.

(#########) هي حقاً سابقة لأوانها، في وقت فقدت فيه هذه الكلمة معناها في عالم الفن المبتذل. إنها تمثل جنساً أوروبياً متطوراً من نوع لم نشهده منذ الأفلام الأجنبية العظيمة في الخمسينيات والستينيات. لكنها لا تنتمي إلى ولا يمكن عرضها على قناة موسيقى سائدة يشاهدها الأطفال على مدار الساعة.

في شبكة Nightline، وصفت (مادونا) الفيديو بشكل غريب بأنه "احتفال بالجنس"، وتابعت قائلة أنها تخيلت مشاهد تعليمية شيقة حيث يسأل الأطفال الفضوليون والديهم عما شاهدوه في الفيديو... بالطبع ! تخيل هذا الحوار : "أمي، أرجو أن تخبريني عن الرجل المربوط الذي يرتدي القبعة الجلدية والسيدة عارية الصدر التي ترتدي قبعة نازية ! حسناً عزيزي، سأخبرك قصتهما مباشرةً بعد أن تشرب الحليب وتتناول إفطارك".

طلبت (سوير) رد فعل (مادونا) على التهم النسوية الموجهة إليها بسبب القيود التي في رقاب الفتيات في الفيديو، ومشاهد الزحف على الأرض، "عبري عن رأيك في هذه التهم"، وتغاضت عن "انحطاط" و"إذلال" النساء. فقالت (مادونا) : "لكنني كنت مقيدة بالسلاسل أيضاً ! أنا المسؤولة". حسناً، لا، ربما اختارت (مادونا) أن تقيد بالسلاسل كونها المنتجة، لكن (مادونا) "القناع الجنسي" في الفيديو تناوبت على أدوار ارتداء ملابس الذكور، وممارسة السادية والمرأة الخاضعة المطيعة لرغبات الذكر.

لكن مَن يهتم بما تقوله النسويات ؟ لقد كانت النسوية سلبية بشكل شنيع تجاه (مادونا) منذ البداية. في عام ١٩٨٥م كرمت مجلة "السيدة" المغنية (سيندي لاوبر) الغريبة الودودة باعتبارها امرأة العام. يا له من حكم رائع : لم تنتشر (لاوبر) الدخيلة لأكثر من ذلك، بينما نمت (مادونا) وازدهرت وتطورت، وأصبحت نجمة عالمية لها تأثير مذهل. وهي أيضا سيدة أعمال مخضرمة، إنها المرأة العصرية التي تمتلك كل المواهب.

(مادونا) هي النسوية الحقيقية... إنها تكشف عن التطرف والإيديولوجية الخانقة للحركة النسوية الأمريكية المسؤولة عن انهيار وانحلال البالغين. قامت (مادونا) بتعليم الشابات أن يكن إناثاً ومغريات بالكامل، في الوقت الذي يواصلن فيه السيطرة على حياتهن، إنها تُظهر للفتيات كيف تكونين جذابة ونشطة وطموحة وعدوانية ومرحة، كل ذلك في نفس الوقت.

النسوية الأمريكية لديها مشكلة مع الرجل. إن اللاتي في شهرة (بيتي كروكر) والمنحطات والغبيات ضيقي الأفق اللاتي يطلقن على أنفسهن

نسويات   يردن أن يكون الرجال مثل النساء. إنهن يخشين الذكورة ويحتقرنها. تعتقد النسويات الأكاديميات أن أزواجهن الدارسين المثقفين يمثلون النموذج المثالي للرجولة البشرية.

لكن (مادونا) تحب الرجال الحقيقيين. فهي ترى جمال الذكورة، بكل ما فيها من قوة والجسد الرياضي المليء بالعَرق. إنها معجبة بالرجال الذين هم في الواقع مثل النساء   فهم متحولون جنسياً وشاركوا في احتفالات الشاذين جنسياً وارتدوا ملابس النساء، إنهم أبطال تمرد ستونوول عام ١٩٦٩م الذي بدأ حركة تحرير الشاذين.

(########) هي قالب شهواني غريب من المخنثين المملين، والمحاصرين تحت وطأة الانحلال الجنسي. صورها التي تصيب بالغثيان مأخوذة من أفلام سادومازخية مثل أفلام (ليليانا كافاني) في (########) و(لوشينو فيسكونتي) في (##########)، إنه العالم المنحرف والمعروف للمصورين أمثال (هيلموت نيوتن) و(روبرت مابلثورب).

النسوية الأمريكية المعاصرة، التي بدأت برفض (فرويد) بسبب تحيزه الجنسي المزعوم، قطعت كل صلتها بأفكاره عن الغموض والتناقض والصراع والازدواجية. إنه علم النفس التبسيطي الذي يظهر في الكليشيهات الجديدة التي تندد بعمليات الاغتصاب في المواعدة : "لا تعني دائماً لا". لقد كان هذا، وسيظل كذلك، جزءًا من طقوس التودد والإغراء الخطيرة التي تتوسل لممارسة الجنس والإغواء، والتي يمكن ملاحظتها حتى في مملكة الحيوانات.

(مادونا) لديها رؤية أعمق للجنس من نظرائها النسويات. فهي ترى كلاً من جانبيه الحيواني والاحترافي. تقوم (مادونا) – التي تغير أسلوبها في الأزياء ولون شعرها كل شهر – بتجسيد القيم الأبدية للجمال والمتعة... النسوية تقول : "لا مزيد من الأقنعة"، و(مادونا) تقول : "إننا لسنا سوى أقنعة".

ونظرًا لتأثيرها الهائل على الشابات في جميع أنحاء العالم، (مادونا) هي مستقبل النسوية".[1]

لو تفرغتُ للحديث عن المصائب المترتبة على هذه (الإباحية) و(الشهوانية) التي تبثها أمثال (باليا) و(مادونا) وتشويههن لصورة المرأة الفطرية في عين الرجال والتي – من المفترض – أن يغلب عليها الحياء بطبيعتها : وما ينشأ عن ذلك من تصورات مغلوطة من المراهقين والشباب والرجال المخدوعين بهذا التزييف عن النساء : وتخيلهم أن كل فتاة أو مراهقة أو شابة أو امرأة هي (شهوانية) و(مستثارة) تحتاج إلى مَن يشبع شهوتها في كل وقت وفي كل مكان : لاحتجتُ يوماً بأكمله !

نسوية (مفكرة).. قدواتها الإعلام !

نواصل استعراض النماذج (الإعلامية) في حياة (باليا) واللاتي شكلن (أفكارها) (الإصلاحية) ! والتي تتأرجح ما بين مغنية لا تمانع من الظهور عارية الصدر في أحد أفلامها مثل (باربرا سترايسند) ! مروراً بشخصيات البطلة الخارقة ! وانتهاءً بفتيات (ملائكة تشارلي) ! تقول :

---

(1) مقال (مادونا : الحيوانية والاحترافية) Madonna: Animality and Artifice، نيويورك تايمز، ١٤ ديسمبر ١٩٩٠م.

"كانت النساء الشابات هن أكثر من تأذى من جهة مشجعي (البيتلز) المتعصبين. لدي شريط صوتي كامل لحفلة فتيات في منزلي في الليلة التي ظهر فيها فريق الخنافس (البيتلز) في برنامج (إد سوليفان) في فبراير ١٩٦٤م، حيث طغى مستوى الضوضاء في هتافنا الحماسي وراءهم على الميكروفون. كانت تلك هي اللحظة – على الصعيد الوطني – التي قتلت فيها الفتيات الأمريكيات – وإلى الأبد – الأعراف والتقاليد الموروثة من الخمسينيات. في حفل إستاد (شيا) في العام التالي، لم يتمكن فريق (البيتلز) من سماع بعضهم البعض على خشبة المسرح، واضطر أفراد الأمن إلى تغطية آذانهم، وذلك بسبب الضربات والصيحات الصاخبة للفتيات المبتهجة بالحرية الجَمعية الجديدة.

لم تحصل (باربرا سترايسند) أبداً على حقها من التقدير الواجب لدورها الرائد في تحطيم الأعراف النسوية السائدة، ووضع أسس الموجة النسوية الثانية. خرجت (سترايساند) من غياهب الملاهي الليلية البوهيمية حيث يسيطر حس الذكورية الشاذة جنسياً على الأزياء الكلاسيكية وعلى كل مَن كانوا حولها، وقد جسّدت (سترايسند) شجاعة نادرة في خروجها عن المألوف ومواقفها الحاسمة التي تباينت بشكل مدهش مع العمق العاطفي وجمال وأناقة غنائها. كان أصلها العرقي الذي لا يقبل المساومة يعرضها لمخاطر وظيفية : فقد رفضت التنازل عن أنفها اليهودي البارز أو تعديل لهجتها القاسية من بروكلين، وكانت ضيفاً متكرراً في البرامج التليفزيونية في أوائل الستينيات من القرن الماضي، وقد اشتهرت بأنها فتاة برودواي الموسيقية المضحكة، وهو ما جعلها تتصدر أغلفة مجلة "تايم آند لايف" في عام ١٩٦٤م.

وبصفتي من معجبات "سترايسند" (رأيتها على خشبة المسرح قبل فترة وجيزة من إلغاء عرض فيلم الفتاة المرحة)، فقد رحبتُ بها كنسوية شجاعة جديدة، كانت تسعى إلى تحطيم الأعراف الأنثوية السائدة التي تمثلها أناقة (دوريس داي) و(ديبي رينولدز). عندما التحقتُ بكلية هاربر (جامعة ولاية نيويورك في بينغهامتون) في خريف عام ١٩٦٤م، أدهشتني حيوية وجرأة العدد الضخم من الطالبات الأمريكيات اليهوديات من مدينة نيويورك، لقد كن تقدميات على المستوى السياسي، ويتصنعن البهجة، وكانت طباعهن فظة ووحشية، وكن متحررات جنسياً. غالباً ما كان انغماسهن الجامح في الواقع بسبب التجربة المروعة لجيل أجدادهن خلال الهولوكوست. إن صعود (سترايسند) من الغموض إلى النجومية كان بمثابة نقطة البداية لثورة تلوح في الأفق بين النساء الأميركيات قبل تأسيس المنظمة الوطنية لحقوق النساء **NOW**.

كانت الشابات البريطانيات يواكبن روح العصر في "سوينغ ستينياتز لندن"، حيث تعافت إنجلترا من الركود الاقتصادي بعد الحرب. وطوال سنوات دراستي الجامعية، اعتبرتُ لندن – الرائدة في الموسيقى والأفلام والأزياء – مهربي الروحي البعيد. في بينغهامتون، اكتشفت بطريقة أو بأخرى الموضات المألوفة التي تراعي الفوارق بين الجنسين في أسلوب كازنابي موضة شارع (بورتوبيللو) – حيث تبرز قمصان (توم جونز) أو (بيزلي)، وربطات عنق (شيفرون) للرجال، والسراويل اللامعة الضيقة، ومعاطف بحارة (المارون) المخططة مع أزرار ذهبية عسكرية، وأحذية (البيتلز) الضخمة ذات الكعب الكوبي. لم يعجب ذلك الناس في (هاربر) الذين كانوا متمسكين بمظهرهم الرث وثيابهم التي تشبه ثياب العمال البالية، لكنهم أبقوا أنفسهم بعيدين عن هذا النمط الجديد. عندما وصلت

إلى كلية الدراسات العليا في عام ١٩٦٨م، كنت حمقاء عندما لم أغير أي شئ في مظهري، سترة جلد الغزال الأرجواني وقلادة من الزجاج الملون البرتقالي والأخضر وحزام جلدي من قرية (غرينتش)، وغني عن القول أن أساتذة جامعة (ييل) لم يرحبوا بهذا المظهر.

قام (جون دي غرين) بتصوير الشابات المرحات في لندن من أجل كتاب كبير صدر عام ١٩٦٧م بعنوان "طيور بريطانيا"، وفي مقدمة الكتاب وصف (أنتوني هادن - جيست) "الفتاة البريطانية الجديدة" بأنها "طفرة وراثية مفاجئة" أنتجتها "حالة لندن" وقد تجاوزت هذه الطفرة الطبقات الاجتماعية، من البائعة إلى المرأة الأنيقة من الطبقة الراقية، فكانت المرأة الماكرة اللعوب (جولي كريستي) في فيلم دارلينج (١٩٦٥م)، والمتقلبة الغامضة (فانيسا ريدغريف) في فيلم الانفجار (١٩٦٦م). ومن بين الـ ٥٥ فتاة بريطانية اللاتي تمتعن بالحيوية والنشاط في كتاب (غرين) كان هناك : (سوزانا يورك)، (شارلوت رامبلينج)، (هايلي ميلز)، (ماري كوانت)، (جين آشر)، (سارة مايلز)، (باتي بويد)، (سيلا بلاك)، (لولو)، (داستي سبرينجفيلد)، و(ماريان فايثفول). [١]

---

[١] من أكثر صور الاستخفاف بعقول العامة هي التقاط صور منتقاة للحظات مرح أو ضحك لشابات لا يدركن وقتها أنهن يمثلن (أداة) في يد المصور أو المنتج أو الممول لتوصيل رسالته الخبيثة إلى الناس، مثلا تصوير شابات عرايا وسعيدات ليوصلن رسالة أن التعري يرتبط بالسعادة ! أو تصوير شابات في أحضان شباب لا يربطهن بهم زواج ويرسمن على ملامحهن الفرح ليوصلن رسالة أنه : ليس الزواج شرطاً للوصول إلى المتعة والرضا ! وهكذا .. وقد ذكرت الإعلامية الألمانية (إيفا هيرمان) في كتابها (حواء الجديدة) صورة تم أخذها عام ١٩٧١م لثلاثين امرأة على غلاف مجلة (شتيرن) الألمانية بعنوان : "لقد أجهضنا" وهن سعيدات ! لكن بعد ٣٤ عاماً سألت مجلة (سيسيرو) عدداً منهن لتكون المفاجأة وهي وصفهن للإجهاض بأنه كان (تجربة مروعة) وأنهن يشعرن بالذنب !

يثبت زلزال الشباب البريطاني، باتجاهه نحو نمط موحد "للجنسين" في تصفيفات الشعر والملابس لكل من الرجال والنساء، أن الموجة النسوية الثانية كانت مجرد مرحلة واحدة في التحولات المستمرة بين الجنسين في الستينيات. حيث كانت (ديانا ريغ) تلمع في زيها المصنوع من جلد القطط السوداء وهي تؤدي الحركات القتالية في دور (إيما بيل) في المسلسل التلفزيوني البريطاني الناجح "المنتقمون" (ذا أفينجرز) عام ١٩٦٦م، في حين كانت (أورسولا أندرس) هي تقريباً الشخصية الأولى والأكثر نفوذاً في هذه الفترة كأفضل مَن مثل الشخصية الشرسة، وهي المحارة صائدة العسل في أول أفلام (جيمس بوند) "دكتور نو" Dr No (١٩٦٢م)، حيث تخرج من البحر بلباس عاري ومعها سكاكين مربوطة بخصرها (وقد قمت باستعارة هذه السكين في صورة غلاف أمازون لكتابي "غانيات وعاهرات")، لقد كان هذا المشهد الساحر مع إثارته الأسطورية وتجسيده لإلهة مسلحة ولدت من الأمواج : مصدر إلهام للملصق الأيقوني الدائم لفيلم بريطاني عام ١٩٦٦م : "مليون سنة قبل الميلاد"، والذي ظهرت فيه (راكيل ولش) كامرأة تعيش في الكهف ترتدي ملابس عارية خشنة، وتخفي تحتها أدوات القتال، وتقاتل بشكل عفوي ورياضي. إلا إن العداء المبكر لموجة النسوية الثانية للرموز الجنسية العظيمة للفيلم – وبالتأكيد عداءها لكل الإثارة الصارخة في صناعة الترفيه – حال دون دمج تلك الصور المذهلة في تاريخ تقدم المرأة الحديث.

ومن بين مشاجراتي الكثيرة مع النسويات من الموجة الثانية، كان أحدها إعجابي المتحمس بـ "فتيات بوند" المثيرات جنسياً هن وراقصات تشجيع فريق (دالاس كاوبوي)، وكذلك أغلفة "فرانشيسكو سكافولو" اللامعة

والرائعة للمجلة العالمية لـ (هيلين غورلي براون). (والتي نظم المتظاهرون النسويون بقيادة (كيت ميليت) اعتصاماً في مكتبها عام ١٩٧٠م)[1] وبالمثل، قوبل المسلسل التلفزيوني الشهير (ملائكة تشارلي) أو (تشارلي آنجلز) (١٩٧٦-١٩٨١م) بازدراء من جهة النسويات المتعصبات باعتباره مسلسل إغراء من الطراز الأول يركز على مفاتن المرأة. ومن ثم، يسعدني عودة (ملائكة تشارلي) بعد انتصار النسوية المؤيدة للجنس في التسعينيات : بفضل الممثلة والمنتجة (درو باريمور)، وكان هناك فيلمان ناجحان عن (ملائكة تشارلي) (٢٠٠٠ و٢٠٠٣م) ومسلسل تلفزيوني (٢٠١١م)".[2]

وفي موضع آخر...

تحكي (باليا) عن المؤثرين على تفكيرها ووعيها مبكراً خصوصاً من نماذج (المرأة الجنوبية) في أمريكا (وهي التي تمثل الريف مثلها)، حيث تستشهد بأحد الأفلام الوثائقية الخادعة الذي شوه بمكر عام ١٩٨٥م نموذج الشابة الريفية المحافظة، فروج للشابة الريفية التي تجلس بالبكيني وسط المزارع ! أو تستحم وتمارس الرياضة بملابس شبه عارية أمام المذيع وكاميرات التصوير بلا حرج !

---

[1] تقصد (باليا) هنا بالمجلة العالمية : مجلة (كوزموبوليتان) التي ترأست تحريرها النسوية المتحررة الشهيرة (هيلين غيرلي براون) Helen Gurley Brown منذ عام ١٩٦٥م ولمدة ٣٢ سنة : فجعلت منها منبراً لإفساد الشابات والنساء باسم التحرر ومواكبة العصر والاعتماد على النفس في سوق العمل ! والانفصال تماماً عن الأسرة والتلبية التامة لأي رغبة جنسية دون أية قيود ! حيث ترجمت بذلك حرفياً ما أشارت إليه في كتابها الصادر عام ١٩٦٢م : (الجنس والمرأة العزباء) ! وكان لأفكارها وأعمالها دور في الثورة الجنسية والإباحية بأمريكا في الستينيات.

[2] من مقدمة كتابها (حرائر وأحرار) — مصدر سابق.

هذا (النموذج) يكون في وقته (أي في وقت تصوير تلك الأفلام سواء العادية أو الوثائقية) : غير حقيقي وغير منتشر من الأساس ! لكن بعد عرض تلك الأفلام مراراً وتكراراً على أهل الريف يصير مع الوقت (واقعاً) تقلده الفتيات والشابات ! ويتقبله الآباء والأمهات !

وهذا بالضبط ما يحدث في أي مجتمع قبل إفساده، فليس من قبيل الصدفة أبداً أن تتركز عشرات الأفلام على نماذج تسخر من الشخصية الريفية الساذجة أو الملتزمة دينياً وأخلاقياً، عشرات الأفلام والمسلسلات التي قامت بتمجيد تمرد الشخصية الريفية على العادات، بل وتمتدح النموذج المتحرر كلما توغل في العلاقات الآثمة كالزنا والخيانة الزوجية حتى ولو لم يغادر الريف (تلك الجرائم التي يندر وجودها أصلاً في الريف مقارنةً بالمدن) ! وكذلك الدعاية لنمط الحياة المتفسخ في العلاقات والملابس الشاذ عن ثقافة الريف (فيصير بعد ذلك مقبولاً حتى أنك تجد الأم تسير محتشمة وبجوارها ابنتها شبه عارية) ! ثم تأتي الخطوة الأخيرة وهي تصوير هروب الفتاة من الريف (المتخلف) إلى المدينة (المتحضرة) حيث المتعة والأضواء ! وكأنه عمل بطولي يجب أن تتعاطف معه كل فتاة، رغم الحقيقة المرعبة على أرض الواقع وهي أن أغلب الفتيات الصغيرات الهاربات يكون مصيرهن العمل في الدعارة أو في أشق الأعمال وأدناها أجراً وكرامة !

(باليا) تعرف هذا التناقض لفيلم وثائقي من عام ١٩٨٥م، وتعرف أن نماذج الشابات اللاتي عرضهن الفيلم لا يمثلن ولو ١ من ١٠٠٠ من الشابات الريفيات الجنوبيات اللاتي كن يلتزمن اللباس الطويل والمحتشم ويساعدن أهليهن في المزارع والتدجين، واللاتي يدركن أن التعري وكشف الجسم وسط الرجال والشباب لا يعني إلا دعوة للزنا أو الخيانة أو التحرش على أقل تقدير، وهو ما لم تكن تقبله ريفية محترمة فضلاً عن رجال بيتها بأخلاقهم القروية ! لكن (بالي)

تعرف كيف تستخدم كذب الأفلام لترويج نموذجها النسوي الخيالي الزائف للأسف، فتقول :

"لكن كان هناك فيلم وثائقيٌّ رائع صدر في عام ١٩٨٦م، جعلنى أفكر بشكل جاد في هذا التصريح الجازم حول نساء الجنوب، لا سيما في علاقاتهن مع الرجال. الفيلم هو (##########) من إخراج وتصوير (روس ماكلوى)، الذى نشأ في (شارلوت) شمال كارولينا. بدأ هذا الفيلم - الحائز على جائزة (جراند چرى) كأفضل فيلم وثائقى في مهرجان (Sundance) السينمائي [(١)] - كدراسة لوصية (الجنرال شيرمان) المدمرة في الجنوب، لكنه تحول إلى سيرة ذاتية ملحمية، حيث صورت كاميرا (ماكلوي) المحمولة باليد المناظر الخلابة، وفكاهة مجموعة من النساء الشابات الجنوبيات الجذابات. من المؤكد أن هذا الحديث المذهل هو تكييف عصرى لأسلوب تعامل المرأة الجنوبية الجميلة، الأمر الذى لا تزال إحاطة العلم به محدودةً نسبيًا.

---

(١) أحد أكبر الأهداف التي لا يعرفها الكثير من الناس للأسف في المسابقات العالمية السنوية سواء في الفن مثل جوائز مهرجان (كان) الفرنسي أو (أوسكار) الأمريكي وما يشابهها في بلداننا، أو حتى في مجالات العلوم والسياسة والأدب (مثل جوائز نوبل) هي : إبراز ما يود النخبة المفسدة في العالم إبرازه للناس وتوجيه الأضواء إليه وتركيز الإعلام عليه، وذلك لتعريف ملايين البشر به عن طريق تلميعه وإضفاء هالة من الاحترام والتقدير عليه ! فأكثر الأفلام التي كانت تحمل أفكاراً ثورية في عالم الإباحية والشذوذ والنسوية تم تكريمها بالفوز بتلك الجوائز العالمية ! مما خفف من استنكار الناس لما فيها مع الوقت (وإن تعرضت وقتها لاعتراضات كثيرة)، وحتى في جائزة نوبل يظهر ذلك في مجال الأدب (مثل تكريم المؤلفين حاملي الفكر المناهض للدين وللأداب العامة خاصة في بلاد ما يسمونها بالعالم الثالث)، وكذلك مجال السياسة بتكريم مجرمي الحرب أحياناً وتصويرهم على أنهم دعاة سلام !

لقد جعلنى هذا الفيلم الوثائقى أرى كيف تضع النساء الجنوبيات حدوداً للحديث مع الرجال، وتصبح هذه الحدود أقل حدة مع النساء الأخريات.

حتى في الأحداث المبهجة، فإن نظرات أعينهن تجمع بطريقة ما بين الحذر الشديد والتركيز الإيجابى، فيبدو الأمر كما لو أنه في تلك اللحظة، لا يوجد أحد آخر غيرهن. يبدو أن النساء الجنوبيات لديهن مهارة قد فقدتها النساء في الشمال - أو لم يكن لديهن تلك المهارة من الأساس - وهى جذب اهتمام الرجال مع إبقائهم على مسافة آمنة".[١]

بالطبع هذا الخليط الذي تدعو إليه (باليا) بين تكشف المرأة لكن مع حفاظها على نفسها لا يوجد في الحقيقة ! بل الحقيقة هي ما يشهده العالم من تزايد جنوني في حالات الاغتصاب والتحرش والإجهاض ! فهو تلازم وثيق يظهر مع (تحرر) و(تعري) النساء خاصة في المدن، (باليا) نفسها تدرك ذلك وتعترف به في بعض المواضع كما رأينا وسنرى، لكن هذه طبيعة تناقضاتها الصارخة.

والآن.. لنفسح المجال أكثر لتخبرنا عن (نماذجها) المؤثرة :

" لذلك اسمحوا لي أن أروى أبرز الإنجازات التي لمستها في الجنوب. أول نجمة سينمائية في هوليود جعلتنى أظهر للناس وجعلتني أهيم بهوليوود مدى الحياة هى (أڤا غاردنر)، التى لعبت دور (جولي) المغنية في فيلم Show Boat، والتي رأيتها في سن الرابعة فور صدور الفيلم عام ١٩٥١م.

---

[١] من محاضرة (نساء الجنوب : أساطير قديمة وآفاق جديدة) Southern Women: Old Myths and New Frontiers، حفل تكريم كلية أونرز، كرسي سالى ماكدونيل باركسديل، جامعة ميسيسيبى، ١٦ سبتمبر ٢٠١٤م.

كانت قوة شخصية (أڤا) تملأ الشاشة في المشاهد الافتتاحية التى صُوِّرت على رصيف في مدينة (ناتشيز)، حيث غنت أغنية "لا أستطيع التوقف عن حب هذا الرجل"، وبعد ذلك بكثير علمتُ أن (أڤا) كانت فتاة ريفية من (سميثفيلد) – شمال كارولينا – حيث نشأت في مزرعة أبيها الصغيرة".[١]

وتقول بعدها بقليل :

"المرأة الجنوبية التالية التى كان لها تأثير كبير على وعيي هى الممثلة المسرحية (تالوله بانكهيد)، التى فجَّر ظهورها المذهل في برنامج (The Lucy-Desi Comedy Hour) عام ١٩٥٧م شاشات التلفزيون. في ذروة الخمسينيات، عندما كان يُتوقع من الفتيات عالمياً أن يصبحن زوجات وربات بيوت، بدت (تالوله) حينها وكأنها في زمان ومكان مختلفين تماماً. لقد اصطحبت معها كل الإثارة التى لا يمكن كبتها، والوقاحة الجريئة من عشرينيات القرن الماضى عندما كانت تشرب الكحول على مسارح نيويورك ولندن".

ثم تذكر لنا نهاية مشوارها كيف كانت :

"اختتمت (تالوله) مسيرتها مُظهرةً نسخة ساخرة من نفسها على البرامج التلفزيونية في الخمسينيات من القرن الماضى، عندما أصبحت معبودة الشاذين جنسياً والرجال الذين يقومون بأدوار النساء في الأعمال الفنية".

وبشكل عام تذكر مجموعة من هذه الأعمال فتقول :

"كما اكتسبتُ بعض الانطباعات عن المرأة الجنوبية من بعض أفلامى

---

(١) المصدر السابق.

المفضلة، منها : المرأة الجنوبية الجميلة والعنيفة، حيث قامت بهذا الدور الممثلة (بيت ديڤيس) في فيلم (Jezebel)، وفازت بجائزة الأوسكار عنه في عام ١٩٣٨م، وقامت الممثلة نفسها بهذا الدور في شخصية (ريچينا جيدينز) في فيلم (الذئاب الصغيرة) من تأليف (ليليان هيلمان)، وهو الدور الذي جسدته (تالوله بانكهيد) في مقدمة مسرحية (Broadway).

كانت (بيت ديفيس) من يانكى، وولدت وترعرعت في (ماساتشوستس)، ولكن (ميريام هوبكنز) - منافسة (بيت) في الكوميديا الكلاسيكية بفيلم (أولد أكوينتانس) - كانت امرأة جنوبية جميلة جادة تتحدث بلهجة سريعة، ولدت في (سافانا) بجورجيا ونشأت بالقرب من حدود (ألاباما). وإليكم هذه الممثلة البريطانية (إليزابيث تايلور)، التي قامت بدور البطولة في العديد من الأفلام الرائعة. في فيلم (Giant) حيث عاشت كفتاة مدللة ثرية تعانى من صدمة ثقافية عندما تتزوج براعي بقر من ولاية (تكساس) وذلك وفقاً لما ورد في رواية (إدنا فيربر).

ومرة أخرى في فيلم (Cat on a hot tin roof) الذى كتبه (تينيسى ويليامز) المولود في (مسيسيبى) وهو نفس مكان أحداث الفيلم. ومرة أخرى في فيلم (Suddenly, Last Summer) حيث قامت بدور فتاة تدعى (كاثرين) تهددها حاكمة (نيو أورليانز) المستبدة (ڤيوليت ڤينابل) - التى لعبت دورها الممثلة (كاثرين هيبورن) - حيث ظهرت في الفيلم بدور امرأة جنوبية جميلة.

ابتكر (ويليامز) نسخة أكثر هشاشة من المرأة الجنوبية الجميلة متمثلة في الشخصية الخيالية (بلانش دوبوا) في مسرحية A Streetcar

Named Desire، حيث يتناقض مشهد شوارع (نيو أورليانز) الحيوية للغاية مع الذكريات الرعوية الباهتة لعائلة (بلانش) القديمة في مدينة (لوريل) في ميسيسيبى والتى كانت تُدعى "الحلم الجميل" معبرة بذلك عن أوهام وخيالات الجنوب القديم".[1]

ومنعاً للتطويل أكتفي بهذا القدر في هذا الفصل.

مكتبة
t.me/t_pdf

---

[1] المصدر السابق.

تاريخ الموجات النسوية

من المستحسن لمن يتناول مواضيع النسوية وقراءات (كاميل باليا) على الأخص أن يكون لديه معرفة - ولو مبدأية - بتاريخ الموجات النسوية في الخارج (أو الموجات النسوية الأربع كما يسمونها في أمريكا).

أيضاً سيكون من المفيد الاطلاع عليها لمعرفة (تطور) المطالب النسوية وكيف بدأت بمطالب منها العادل بالفعل، مثل ما تعلق بحقوق كثيرة مهضومة للمرأة كحق التملك (وهي أمور ضبابية جداً في المسيحية بعكس الإسلام) : لكنها تحولت بمرور الوقت (ومع التحولات الاجتماعية الكبيرة بسبب الحربين العالميتين الأولى والثانية) إلى مطالب تنادي بالتحرر والمساواة في العمل والأجور، والانعتاق من أي ولاية من الأسرة على المرأة (أب أو زوج)، ثم انحدرت إلى سبل توفير الحماية القانونية للزنا والحمل قبل الزواج أو خارج الزواج، ثم حماية حق قتل الأجنة الأحياء بالإجهاض ...إلى آخر ما ذكرنا بعض مآسيه ومصائبه الأسرية والاجتماعية بالفعل.

الموجة النسوية الأولي

لا شك أن الظلم يولد ثورة، وقد عانت المرأة في كثير من الثقافات والديانات (ومنها النصرانية) كثيراً طيلة القرون الماضية من التعسف الذكوري، ومن أكل حقوقها، بل ومعاملتها كالمتاع حيث يتم حرقها بعد موت زوجها في الهند، أو يمكن لزوجها في إنجلترا - وإلى قرابة القرن التاسع عشر - أن يسحبها بحبل من رقبتها ليبيعها في السوق !

يذكـــر ذلك دكتـور (لاري بيترسون) Larry R. Peterson في موقع buddybuddy.com في النقطة الرابعة من موضوعه بعنوان :

"تاريخ الزواج كمؤسسة".

The History of Marriage as an Institution

يقول : **"منذ ١٦٩٠م إلى ١٨٧٠م كان "بيع الزوجة" شائعاً في ريف إنجلترا ومدنها الصغيرة، فلكي يُطلق زوجته، كان يمكن للزوج أن يقدمها بحبل ملفوف في عنقها في بيع عام لرجل آخر".**

From the 1690s to the 1870s, "wife sale" was common in rural and small-town England. To divorce his wife, a husband could present her with a rope around her neck in a public sale to another man.

طبعاً كانت هناك إرهاصات قديمة في أوروبا لكتابات وروايات نسوية تنادي بالمساواة، مثل مقالة (ماري وولستونكرافت) عام ١٧٩٢م بعنوان (دفاعاً عن حقوق المرأة) والتي تأثرت بالثورة الفرنسية، لذلك رأى البعض أن أوروبا تسبق أمريكا بموجة خامسة في البدايات.

ولنترك (باليا) التي تحب استعراض معلوماتها التاريخية (لتظهر بصورة الخبيرة) تحكي لنا بعض معالم هذه الموجة الأولى في أمريكا فتقول :

"ركزت الموجة النسوية الأولى – التي بدأت عام ١٨٤٨م في مؤتمر سينيكا فولز في ولاية نيويورك – على حق المرأة في أن تملك، وحقها في المشاركة في الانتخابات، وقد تحقق ذلك بالتصديق على التعديل التاسع عشر في عام ١٩٢٠م.

دخلت قضية الإجهاض إلى قلب النسوية مع الحملة الجريئة التي أطلقتها (مارغريت سانجر) من أجل تحديد النسل، تلك الحملة التي عُدَّت انتهاكاً لقانون (كومستوك) القمعي[١] لذلك ألقي القبض عليها في عام ١٩١٤م. ولا تزال منظمتها - الرابطة الأمريكية لتحديد النسل - التي تأسست في عام ١٩٢١م (منظمة "تنظيم الأسرة" في وقت لاحق) مثار جدل كبير بسبب تمويلها الفيدرالي الضخم.

لا تزال (سانجر) بطلة بالنسبة إلى العديد من النسويات - وأنا منهن - على الرغم من تورطها المثير مع (اليوجينيا)[٢]، وهو برنامج (اعتمده النازيون أيضاً) يتضمن تقنيات وحشية قذرة تهدف إلى تطهير وتنقية وتعزيز مجموعة من الصفات داخل الحوض الجيني البشري. ربما بسبب دور (سانجر) الرائد: انضممتُ إلى مؤسسة تنظيم الأسرة وساهمتُ في نشاطاتها لسنوات عديدة، إلى أن أدركت سذاجتي الكبرى، وعرفت

---

[١] هو القانون الذي وضعه مفتش البريد والسياسي الأمريكي (أنتوني كومستوك) Anthony Comstock وكان قد أنشأ عام ١٨٧٢م (جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة) بهدف التصدي لتجارة "الأدب الفاحش" و"البذيء" و"المقالات غير الأخلاقية" التي كان يتم توزيعها عبر البريد لمختلف المدن بهدف الإفساد الأخلاقي، ثم توسع ليشمل مواجهة القمار والدعارة والترويج للإجهاض ولوسائل تحديد النسل أو منع الحمل والأمراض الجنسية (حيث كانت تعد فائدة معرفة هذه الأشياء في ذلك الوقت قاصرة غالباً على العاهرات للهروب من الحمل من الزنا ومن الأمراض الجنسية) لكن بعد القضية التي تورطت فيها (مارغريت سانجر) رفع القضاء الحظر الحكومي عن تحديد النسل، ليقضى بشكل عملي على استخدام قانون (كومستوك).

[٢] اليوجينيا Eugenics أو علم تحسين النسل هو علم عنصري بامتياز، كان يتم فيه التعقيم الإجباري (سواء بعلم المرأة أو عدمه) لبعض فئات المجتمع بزعم أن نسلهم وتكاثرهم غير مرغوب فيه (مثل الزنوج مثلا أو أصحاب بعض الإعاقة ونحوه).

أنها كانت الذراع السرية للحزب الديمقراطي".[1]

ويمكننا أخذ نظرة أقرب لهذه السنوات الأولى للتحرك النسوي وكيف اختلفت فيها نوعيات من النسويات ما بين المطالبات بالحقوق (سواء بالوقفات السلمية والاحتجاجات أو بالتحرك العنيف)، وما بين النوعيات (الفاسدة أو المفسدة أخلاقياً) والتي (ركبت الموجة) في النهاية كما يقال ! حيث تقول (كاميل باليا) في موضع آخر :

"تم تقديم تضحيات هائلة من جهة النسويات في الموجة الأولى، فقد أظهرن شجاعة هائلة وجرأة منقطعة النظير في مطالبتهن ليس فقط بحق الانتخاب بل بإصلاح القوانين التي تمنع النساء من توقيع العقود أو امتلاك العقارات. صورت الرسوم الكاريكاتورية الساخرة في القرن التاسع عشر قياديات حركة حق الانتخاب على أنهن ذكور زائفون، يتباهين بملابس الرجال ويدخنّ السيجار، ويهددن بإبعاد الرجال عن مناصبهم في المنزل وفي المجتمع بشكل عام. عندما ألقت نساء الحركة الخطب في الشوارع، اعتبر ذلك فعلاً فاضحاً وإهانة للأعراف السائدة.

من المثير للاهتمام أن الولايات الأولى التي منحت المرأة الأمريكية حق التصويت بعد الحرب الأهلية كانت الولايات الغربية. لكن الشمال الشرقي – معقل الفكر والثقافة – تأخروا. حتى في عام ١٩١٥م، رفضت حكومات ولايات ماساتشوستس ونيويورك وبنسلفانيا ونيوجيرسي تعديل القانون ومنح المرأة حق الانتخاب. كانت الولايات الواقعة على الحدود، حيث كان الرجال والنساء يعملون جنباً إلى جنب في الأعمال اليدوية، هي

---

[1] من مقالها : (عن الإجهاض) On Abortion، موقع Salon.com بتاريخ ٧ إبريل ٢٠١٦م.

التي اعتبرت النساء لأول مرة على قدم المساواة مع الرجال، في حين كانت الشخصية اللطيفة "للسيدة" الرقيقة تهيمن على الشرق، وبدا أن هناك فرقاً طبقياً بين السيدات والرجال في الشرق والجنوب العميق.

وأخيراً تم إقرار التعديل التاسع عشر للدستور الذي يمنح النساء حق التصويت في عام ١٩٢٠م بعد سلسلة من الاحتجاجات المكثفة : بدءًا من عام ١٩٠٧م، كانت هناك مسيرات ضخمة في نيويورك وواشنطن بالخيول واللافتات والسيارات الملونة، وهو مظهر مترف استعارته النسويات الأمريكيات من نظرائهن البريطانيات. كانت النسويات البريطانيات، بقيادة (إميلين بانكهورست)، أكثر عدوانية، وأكثر انجذاباً إلى المواجهة المسلحة واتخاذ الإجراءات المباشرة، حيث قامت النسويات في لندن بتكسير النوافذ واقتحام الاجتماعات الحكومية. في عام ١٩١٠م، حاولن شق طريقهن إلى مجلس العموم، وكانت النتيجة شجار دموي استمر ست ساعات، أعقبته عمليات اعتقال جماعية. وانعكست تلك الأساليب البربرية فيما بعد على النسويات في سجون كل من إنجلترا والولايات المتحدة.

في عام ١٩١٧م، تضررت الصورة العامة للنسوية الأمريكية بسبب أفعال المتظاهرات خارج البيت الأبيض، حيث حملن لافتات تطالب بمنح النساء حق الانتخاب، وواصلن الوقفة الاحتجاجية الصامتة والسلمية لأشهر، لكن المارة الذكور لم يتركوهن وشأنهن وبدأوا يتعرضون لهن بأنواع المضايقات، ثم بدأت أعمال العنف عندما أصبحت اللافتات في وقت الحرب أكثر استفزازية. إحدى اللافتات كُتب عليها "ويلسون القيصر". وبدأت الحشود العدائية تتشاجر يومياً، وتم تمزيق اللافتات على الفور

وتفرقت النساء. وأخيراً، حظرت الشرطة المظاهرات باعتبارها تهديداً للأمن العام والنظام. على نحو مخيف، بدأت أعمال النسويات توصف بأنها أعمال تخريب تصدر عن خونة لا يحببن الوطن، ومن هنا يمكن القول بأن تصاعد الخطاب المناهض للحركة النسوية قبل وأثناء وبعد الحرب العالمية الأولى في كل من إنجلترا والولايات المتحدة لم يكن بالضرورة معادياً للمرأة في حد ذاته، ولكن في بعض الحالات ربما كان رد فعل مبرر على ما يمكن أن نسميه التطرف الإيديولوجي والتعصب لدى بعض ناشطات حركة حق الانتخاب.

أظهرت العديد من النساء المغامِرات والمغريات جنسياً في العشرينيات انفصالهن عن النسوية عن طريق التدخين والشراب وقول الكلام الفاحش وتأدية الرقصات الجريئة مثل رقصة (شارلستون). وبالفعل، كانت حركة حق الانتخاب مسؤولة جزئياً فقط عن التغيير الجذري الذي طرأ على النساء في ذلك العقد. أدت خيبة الأمل التي أعقبت الحرب العالمية الأولى الدامية إلى طوفان من المشاعر المعادية للسلطة، الأمر الذي أضعف مكانة وهيبة الشخصيات المؤثرة في الحكومة والدين والأسرة. ثانياً، كان هناك تأثير ثقافي هائل من موسيقى الجاز الأفروأمريكية، وكذلك من أفلام هوليود التي أصبحت وسيلة جديدة غيرت التوقعات والسلوكيات الجنسية، بحيث أصبحت مطالب تنظيم الصناعة تأتي من الوزراء والمعلمين والصحفيين والمسؤولين في المدينة والمنظمات المدنية النسائية. ومن تلك الحركة الاحتجاجية خرج قانون الإنتاج السينمائي سئ السمعة الذي رزحت هوليوود تحت نيره حتى أوائل الستينيات.

كانت فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي فترة ذهبية

للنساء المتميزات الطموحات مثل (دوروثي باركر)، و (دورثي طومسون)، و (كلير بوث لوس)، و (أميليا إيرهارت)، و (بابي ديديريكسون)، و (كاثرين هيبورن). ربما تكون النسوية قد استُهلكت وتلاشت كحركة سياسية، لكن تمكين المرأة وظهورها في المجتمع كان واضحاً للغاية. ومن المحبط أن الموجة النسوية الثانية تجاهلت في البداية هؤلاء النسوة الطموحات والمغامِرات ووصفتهن بأنهن نساء "متشبهات بالذكور" وزعمت أنهن لم يهتممن باحتياجات النساء كمجموعة. أود التأكيد على أن النماذج النسائية الملهِمة تعد دوماً دليلاً دامغاً يظهر ما يمكن أن ينجزه الطموح الشخصي والسعي، كما أظهرن نماذج من الاعتزاز واحترام الذات قد لا تقدر بثمن بالنسبة لنساء أخريات أقل شهرة، يكافحن من أجل استقلالهن عن الآباء المستبدين أو الأزواج، وكذلك عن الرؤساء وزملاء العمل الدكتاتوريين.

لقد ألغى الكساد العظيم، وصعود الفاشية في أوروبا، واندلاع الحرب العالمية الثانية الوعود البراقة لتلك الفترة في تاريخ المرأة. بينما كان الرجال يقاتلون على الجبهة، كان على النساء تولي وظائفهم في المصانع : كان هذا هو ذروة ظهور "روزي العاملة" [١] وهي تثني عضلات ذراعها. لكن عندما عاد المحاربون، كان من المتوقع أن تتنحى النساء جانباً. وقد كان هذا

---

(١) روزي العاملة (أو روزي العاملة في البرشمة أو اللحام) Rosie the Riveter هي رمز ثقافي أمريكي شهير خلال الحرب العالمية الثانية (التي انتهت ١٩٤٥م)، حيث أرادت الحكومة تشجيع النساء للعمل مكان الرجال في المصانع وأحواض بناء السفن والطائرات وإنتاج الذخيرة. فتم استخدام صورة امرأة شابة (روزي) في لبس العمال مع عبارة (نستطيع فعلها) للتشجيع، مع الترويج الإعلامي المكثف لها في الإعلانات والتلفاز والصحف لإغراء النساء للعمل الشاق في المصانع ونحوه.

المطلب ظالماً، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية، كان هناك شوق عميق لدى كل من الرجال والنساء للعودة إلى حياة الأسرة الطبيعية. صعدت القضايا الأسرية إلى المقدمة، وأعيد استقطاب أدوار الجنسين. مع وجود العديد من حفلات الزفاف، كان هناك سيل من المواليد – جيل طفرة المواليد الذين يقتربون الآن من سن التقاعد – في أواخر الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، شجعت الأفلام والتلفزيون والإعلانات النساء على الاهتمام بالأمومة والتدبير المنزلي باعتبارهما أسمى أهداف النساء. كان هذا التدجين والتجانس هو الذي تمردت عليه الموجة النسوية الثانية بشكل رائع ومثير للإعجاب. لكن العديد من النسويات من الموجة الثانية استنكرن سخط النسويات ودعوتهن لإدانة جميع الرجال في كل مكان وعلى مر التاريخ. بمعنى آخر، كانت أيديولوجية الموجة النسوية الثانية أو كان ينبغي أن تكون مقيدة بظرفها الزمني والمكاني، فقد كانت ظاهرة الولع بالحياة المنزلية التي تلت الحرب وليدة ظرف تاريخي معين، بمعنى أنها كانت "محلية" نسبياً. لم تكن المشكلة مشكلة تمييز جنسي فقط، بل كان هناك أيضاً هذه الثورة الاجتماعية التي تلت الثورة الصناعية والتي حولت الأسرة الممتدة من الطبقة العاملة إلى الأسرة النووية من الطبقة المتوسطة،[1] وهو ما ترك النساء معزولات بشكل مؤلم في منازلهن المريحة.

---

[1] (الأسرة الممتدة) هي الأقوى من جهة الترابط الأسري الممتد مع الجذور من الأجداد والأعمام والأخوال بحيث يدعم كل منهم الآخر إذا أصابه أي مكروه أو موت الزوج فيقف الجميع مع الأسرة، بعكس (الأسرة النواة) أو (النووية) التي ينفصل فيها الأب والأم والأبناء عن بقية العائلة وجذورها الممتدة، ويكون ذلك غالباً بسبب السعي خلف العمل والوظائف والسفر، وهي ضعيفة أمام الظروف لغياب دعم العائلة الكبيرة الممتدة.

لقد فقدن الرفقة وتبادل الخبرات والعمل المشترك وصحبة النساء التي كانت تضم أجيالاً مختلفة".(١)

جيد أن سجلت (باليا) هنا هذه الملاحظة الأخيرة عن بداية التحول من (الأسرة الممتدة) إلى (الأسرة النووية)، وهي نقطة هامة جداً سأوضح دورها بعد لحظات...

لكن لاحظوا أولاً كيف بدأت المطالب النسوية في الخارج - كما قلنا – بالتركيز على إقرار الذمة المالية الخاصة للمرأة مثل عقود التملك بعيداً عن الأب أو الزوج، وكذلك حقها في التمثيل السياسي أو الانتخاب، وكل ذلك كفله الإسلام بنصوص صريحة (سواء من القرآن أو السنة) فأثبت للمرأة ذمتها المالية الخاصة بها، وحتى مهر الزواج ليس لأحد التصرف فيه إلا هي أو بإذنها، وكذلك حقها في الميراث بالنِسب التي أخبرنا بها القرآن وأقرتها السنة وتقريرات الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين (وهي نِسب ربانية تتوافق مع دور المرأة والرجل في الحياة، فالابن مثلاً نصيبه ضعف البنت لأنه يستقبل الحياة بنفقات الزواج والمهر والمسكن، والأب والأم نصيب كل منهما السدس لقرب موتهما).

وعلى هذا نستنتج أن (الظلم) في مثل هذه الحقوق للمرأة في عالمنا الإسلامي هو أحد أسباب التمرد النسوي ولا شك، خاصة عند اللاتي لا تفرقن بين عدل الإسلام وبين ظلم العادات والتقاليد فتظن إحداهن أنهما واحد (مثل العادة السيئة في عدم إعطائها حقها من الميراث أو الاكتفاء بجزء منه).

كذلك تحكم الآباء في حياة بناتهن في الزواج، سواء بمنعهن من الزواج ممَن ترضاه أو تراه كفئاً لها ولو كان في بداية طريق الحياة، أو إجبارها على آخر ممَن

---

(١) من كلمتها (النسوية الماضي والحاضر) — مصدر سابق.

يطمعون في ماله ولو لم تكن ترضاه، أو عضلها بالكلية (أي منعها من الزواج) لطمع في مالها أو ميراثها خوفاً من أن يخرج إلى زوجها، خصوصاً إذا كان الزوج من خارج العائلة أو القبيلة وهكذا. كل ذلك واقع مشاهد للأسف من عادات وتقاليد ظالمة ضاربة في بعض المجتمعات العربية إلى اليوم، بحيث إذا قصَّر علماء الدين في بيانه والتصدي له وتوعية الناس به : فسيتركون بذلك الساحة لاتباع الناس لكل مَن رفع شعارات حقوق المرأة ولو كان نسوية متفسخة أو متحررة !

أما بالنسبة للمشاركة السياسية وحق الانتخاب، فقد نقلت لنا كتب السيرة كيف سأل (عبد الرحمن بن عوف) رضي الله عنه أكثر المسلمين في المدينة عن مَن يختارون بين (علي) و(عثمان) بعد مقتل (عمر) رضي الله عنهم جميعاً، حتى خلص إلى النساء في خدورهن يسألهن في ذلك، وبغض النظر عن سند الخبر فإن في تناقله بين علماء السلف بغير نكير لهذه الجزئية (أي سؤال النساء) : دليل على أنه يدور مع المصلحة العامة إذا رأها ذوو الرأي والمشورة والحل والعقد.

وهذا هو الأقرب للذهن مع عدم وجود حكم شرعي صريح خاص بهذه المسألة إلا الاجتهاد، خاصة مع تطور نظم الحياة اليوم وتداخلها وتشابكها وارتباط الكثير من القوانين والتشريعات بمَن يرشحه الناس (رجالاً ونساءً) ليمثلوهم، لأنه إذا نأى أهل الحق والخير بأنفسهم عن تلك الانتخابات وغيرها فإنهم بذلك قد يتركون المجال لمن لا يرقب في المؤمنين إلاً ولا ذمةً ولا يراعي حرمات الله في القوانين، وعليه : يتبقى فقط ضوابط الشرع في خروج المرأة.

أي عدم التبرج أو السفور في الملابس والزينة خارج بيتها، وكذلك عدم الخلوة المفضية إلى الشك والريبة، ومراعاة الله فيمَن ينتخبنه أن يغلب على الظن ورعه وتقواه ودينه والتزامه... وهكذا.

ثم تأتي مسألة التمثيل التشريعي أو الانتخابي نفسه، أي أن يتم انتخاب المرأة لتكون ذات مقعد في مجلس التشريع أو مجلس الشورى ونحوه، والذي أراه أنه من جنس المسألة السابقة - خصوصاً في العصر الحديث - وحاجة النساء لمن يمثلهن من جنسهن ويتحدث عنهن بلسان صدق وعن مشاكلهن وظروفهن، مع الالتزام بنفس الضوابط السابقة. أي يتم اختيار امرأة مسلمة عاقلة حصيفة، يفضل ألا يكون في تغيبها بالساعات عن بيتها ضرر لأبنائها أو لزوجها (لذلك كلما كانت أكبر في السن كان أفضل لها ولهم وأقل مدعاة للفتنة بها) مع التزامها بالحجاب الساتر والأدب والحياء الإسلامي كما قلنا.

ولقد كان رسول الله ﷺ يسأل نساءه، وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك العدول من الحكام والسلف، فلو مددنا الأمر باطراد ومع توسع المدن بشكل هائل وتباعد المساكن وتشابك الحياة وتعقيداتها اليوم : أرى (وهو رأيي الخاص كما أشرت من قبل) أنه يمكن إدراج الأمر تحت المصلحة العامة أيضاً والله تعالى أعلى وأعلم.

أما الذي فيه نص وإجماع فهو عدم تولي المرأة القيادة العامة في أمر البلاد لخطورة وحساسية ذلك المنصب واختلاف طبيعتها في ذلك عن طبيعة الرجل، فكلما زادت رقعة المسؤولية زادت الأعباء والضغوطات والأوقات، وهو ما لا يلائم المرأة بحال (بعيداً عن المجاملات الكاذبة)، ولأن الأمر العام قد تتعلق به مصائر وأرواح وجيوش وحروب، والمرأة قد تعتريها أوقات لا تتزن فيها قراراتها.

فكل مَن يلاحظ ترددها مثلاً في الاختيارات الحاسمة (حتى اختياراتها الشخصية في شراء الملابس أو حقيبة يد وفي الأمور الهامة عموماً) وكذلك يرى عصبيتها أو اضطرابها في بعض التصرفات والقرارات وقت الحيض وآلامه، يدرك

أن أمر القيادة العامة للبلاد أبعد ما يكون عنها، وأن اعترافنا بذلك ليس انتقاصاً منها، وإنما من النصيحة لها ولنا وإلا :

فحتى الرجل قد ذكر العلماء أحوالاً لا يجوز له فيها الحكم ولو بالقضاء بين اثنين، مثل الغضب، أو أن يكون من أقارب أحد المتنازعين (حتى لا يكون ذريعة لمحاباته وتغليب مصلحته على الآخر ولو لم يتعمد ذلك).

إذن – وكما نرى – الأمر يدور في فلك القدرة والاستحقاق، وليس فلك مَن الرجل ؟ ومَن المرأة ؟

فعندما جاء النبيَ ﷺ خبر تولية امرأة على فارس (وهي ابنة كسرى) قال قولته الشهيرة كما في صحيح البخاري وغيره :

"**لن يفلح قومٌ ولوا أمرهم امرأة**".

وبالفعل : انهزموا بعدها بسنوات، ولم تقم للفرس قائمة بعدها أبداً !

فالمرأة ينقصها الحزم والثبات العاطفي الذي هو في طبيعة الرجال بالفطرة (وحتى لو حققتهما المرأة أحياناً فليس ذلك من طبيعتها كأصل أو في عموم النساء، بل هي إلى التردد أقرب في الأمور الخطرة والحرجة وكما نراه في بيوتنا).

وقد انتهى حكم الملكة (بلقيس) لسبأ على يد (سليمان) عليه السلام، وانتهى حكم (كليوباترا) لمصر بانتحارها من أجل عشيقها الروماني، وكذلك حكم الملكة (الزباء) لتدمر والشام، وأيضاً حكم الملكة (بويا) للبربر، ثم (ديهيا) من بعدها وقد انهزمت أمام المسلمين، وكذلك حكم الملكة (راني لاكشميباي) للهند وهزيمتها أمام الإنجليز، وحتى (بوديكا) ملكة بريطانيا انهزمت أمام الرومان وانتحرت.

ماذا عن مستشارة ألمانيا الحالية : (أنجيلا ميريكل) ؟

الحقيقة إن الحكم على (أنجيلا ميركل) يتطلب وقفتين، الأولى في معنى (لن يفلح)، والثانية في معنى (المستشارة) للحكومة الألمانية.

أما بالنسبة لل (فلاح) فهي كلمة أشمل من مجرد (النجاح) السياسي والتقني والمؤسساتي (والذي كانت ألمانيا متفوقة فيهم من قبل ميريكل)، أما دينياً واجتماعياً وأسرياً وأخلاقياً فالحال كما هو بل يزيد سوءًا في عهد (ميريكل)، خاصة في أحوال النساء والمرأة نفسها، فنسبة الإباحية مثلاً في تزايد، ومعها العبودية والاستغلال الجنسي الهائل لظروف الشابات والنساء في سوق الدعارة أو ما يطلق عليه (الرقيق الأبيض) ! حتى إن أشهر بيت دعارة في أوروبا (مكون من ١٠ طوابق) هو بيت (باشا) الواقع في مدينة (كولونيا) الألمانية ويعد أحد معالمها الذي تفتخر به !

بل ومما أفجعني ورأيت إضافته إلى الكتاب هو خبر الجريمة الشنعاء للاستغلال الجنسي لأطفال حضانة روضة أطفال مدينة كوبلنس Koblenz التابعة لكنيسة St. Martin والمتورط فيها طاقم عمل الحضانة من مديرين ومدرسات ! وذلك بمعدات تصوير وغرف لتسجيل أفلام فيديو جنسية مع الأطفال تشمل الجماع والشذوذ والسادومازوخية (كل هذا تدعمه باليا لكنها تزعم اشتراط موافقة الأطفال ! وذلك لأنها من داعمي البيدوفيليا أو الجنس مع الأطفال، وتخادع السذج بالتنصل مما ينتج عنه من جرائم حتماً) !

جدير بالذكر أن تلك الجريمة الشنيعة أثارتها الطفلة (مريم) ذات الأربع سنوات (!) وهي تحكي لأمها ما فعلوه بهم في الحضانة من جرائم يمكنكم سماعها من الأم المكلومة في فيديو على اليوتيوب بعنوان :

" **القضية الكاملة للاعتداء الجنسي على مريم وإنتاج أفلام جنسية بالروضة**". أو قراءة بعض تفاصيلها في الخبر التالي من موقع (أخبارنا) :

" **اغتصاب مريم.. يكشف تفاصيل صادمة عن البيدوفيليا في حضانة ألمانية** ". لأني أتوقع حذف الفيديو والتعتيم الإعلامي كعادتهم.

والمصيبة ليست هنا (لأني لا أترصد جرائم مفردة قد تقع في أي بلد، بل أهدف إلى إظهار فساد الدولة التي تترأسها المستشارة ميريكل) وإنما المصيبة أن القضية تم التستر عليها من جهة المدعي العام بزعم عدم كفاية الأدلة، حيث لم يقم المحامي الألماني بدوره المنوط به تجاه الشكوى لأنها تطال فيما يبدو أشخاصاً على مستوى أعلى وتواصلات قد تصل إلى أمريكا ! وعليه اضطرت الأم للظهور بنفسها على اليوتيوب لتفضح كل شيء في الفيديو الذي وضعت لكم عنوانه، وكذلك بدأ الأب في طلب محامي دولي بدلاً من المحامي الألماني ! هذه الحوادث تدل على المستوى القذر الذي وصلت له الجريمة في عهد (ميريكل) لكثرة حوادث الاستغلال الجنسي للأطفال في ألمانيا، وفي ظل تخفيف العقوبات على المجرمين بشكل فاضح ! وأما الأخطر : فهو الخبر التالي من موقع (دير تليجراف) العربي الألماني dertelegraph بعنوان :

" **دراسة : السلطات في برلين وضعت أطفالاً مشردين لدى رجال لديهم ميول جنسية نحو الأطفال لمدة ٣٠ عاماً**". والخبر من ٢٠٢٠م !

يكفي معرفة أنه مع تشديد غلق أماكن الدعارة مع وباء كورونا منذ مارس ٢٠٢٠م وقد توالت المظاهرات الألمانية للمطالبة بعودة فتح بيوت الدعارة (كان أشهرها مظاهرات مدينة هامبورج الألمانية شهر يوليو بمنطقة الضوء الأحمر المخصصة للدعارة) ! إذ رغم أن عدد العاملات بالدعارة القانونية تقريباً

٣٢,٨٠٠ امرأة، إلا أن العدد غير الرسمي هو أكبر بكثير وقد تضاعف إلى قرابة ٤٠٠ ألف امرأة [١] !

وقد تعمدت هنا الحديث عن (الدعارة) لأن الخاسر الأكبر فيها هو (المرأة)، سواء نفسياً وجسدياً ومالياً، فضلاً عن قصص الخطف والمعاناة والتهديد من جهة مؤسسات كاملة يتاجرن في اللحم الرخيص ولهم تعاون مع الشرطة !

فهؤلاء (النسوة) كلهن : لم تنفعهن (أنجيلا ميريكل) **المرأة مثلهن !**

فهي تجارة تدر قرابة ١٥ مليار يورو في العام، ولا تستطيع دولة رأسمالية ديموقراطية أن توقف أي شيء يدر عليها مالاً حتى ولو كان على لحم النساء المخطوفات أو الفقيرات، بل حتى ولو كان بسرقة واستعباد أطفال الكاكاو في أفريقيا، أو بيع السلاح لأماكن النزاعات والحروب ! لم تنفع (ميريكل) النساء رغم أنها صاحبة أطول مدة تواجد كمستشارة في ألمانيا لأربع فترات متتالية (منذ ٢٠٠٥م إلى اليوم)...!

لم تستطع المرأة الملقبة بـ (أقوى امرأة في العالم) أن تخفف من معاناة هؤلاء الشابات والنسوة، واللاتي يطالَبن بتسديد مبالغ معينة للمشغلين لهن سواء كإيرادات، أو لتسديد ثمن غرفهن في دار الدعارة، لم تستطع (ميريكل) المرأة (العظيمة) كما يصورونها في الإعلام حل مشاكلهن بتوفير عمل كريم يحفظ لهن أعراضهن !

وإليكم المقال التالي كمثال تفصيلي عن معاناة إحدى العاملات في الدعارة، وهو من موقع (دويتشه فيله) DW الألماني الشهير باللغة العربية :

---

[١] من مقال (هل تصبح ألمانيا ماخوراً لأوروبا ؟) www.bbc.com/arabic

"ألمانيا: تجربة شابة أجنبية.. من أجل أطفالها مارست الدعارة!" وسأنقل لكم محتواه كاملاً :

"منذ عام ٢٠٠٢م، يُعترف بالدعارة كمهنة في ألمانيا، وقد تبيع النساء أجسادهن مقابل ٣٠ يورو فقط. الربح الأكبر تحققه شبكات الدعارة. DW سلطت الضوء على تجربة إحدى الشابات، التي كشفت عن ما يخفيه عالم الدعارة في البلاد.

في ليلة العمل الطبيعية تستقبل عشرة أو اثنيّ عشر رجلاً في غرفتها، وقد يصل العدد إلى أربعة عشر رجلاً في الليلة الواحدة. وتعمل حتى الساعة الثالثة صباحاً، دون الاستمرار إلى وقت أطول من ذلك، كما تقول المرأة، التي يطلق عليها الزبائن اسم (يوليا).

أما النساء الأخريات فيستعن بشرب الكحول وتعاطي المخدرات وأحياناً كثيراً من الكوكائين، و"الماريجوانا" لتحمل رغبات الزبائن الإضافية طوال الليل. لا تستطيع DW التحقق من قصة المرأة، ولكنها تتطابق مع سرد الأخصائيين الاجتماعيين وضباط الشرطة الذين يعرفون أوساط الدعارة في ألمانيا.

بالإضافة إلى هذا، عرضت (يوليا) على DW صوراً لها خلال فترة مزاولتها مهنة الدعارة، وتريد أن تنشر الصور باسمها الحقيقي. زاولت الشابة الرومانية التي يبلغ عمرها الآن ٣٠ عاماً مهنة الدعارة لعشر سنوات. تنوعت الأماكن التي عرضت فيها الشابة جسدها للبيع: على رصيف الشارع، داخل شقق خاصة، وفي بيوت الدعارة والحانات في سويسرا، وفرنسا، واليونان ومؤخراً في ألمانيا. ولا تزال (يوليا) تتذكر تاريخ الـ ١٠ من

آذار / مارس : " لقد دفع لي الزبون ١٠٠ يورو للساعة. الأمر بدا لي طبيعيا تماماً، ومن ثم بدأ كل شيء".

بعد ذلك تركت (يوليا) عالم الدعارة، والقلق الذي لا ينتهي من عدم العثور على ما يكفي من الزبائن من أجل دفع إيجار الغرفة في بيت الدعارة. إذ كان عليها دفع ١٣٠ يورو كل ليلة للغرفة. كما على النساء الأخريات أيضاً دفع ١٣٠ يورو، أي ما يقارب ٤٠٠٠ يورو في الشهر بغض النظر عن وضعهن المادي أو كم من المال استطعن جمعه. ومع تركها الدعارة تركت (يوليا) وراءها أيضاً الليالي الطويلة والأيام القصيرة وتصنع الابتسامة والمزاج الجيد طوال الوقت. عندما قررت (يوليا) عيش هذه الحياة في أوائل العشرينيات من عمرها، شعرت أنها لن تكون حياة سهلة. لكن في الواقع، كان الأمر أكثر صعوبة عن ما تخيلته.

نوبات الهلع و قلة المال

خلال حديثها تلقي (يوليا) نظرة على صور قديمة وضبابية بعض الشيء على هاتفها المحمول. حيث تظهر امرأة، بشعر أشقر فاتح، تمشي عبر ممر مضيء وتنتعل حذاءً بكعب عالي ولباس قريب من لباس البحر. وتقوم بحركات إغراء أمام الكاميرا. لا تعلم يوليا بالضبط سبب احتفاظها بتلك الصور، وتقول وكأنها تعتذر عن ذلك : "كنت لا أزال صغيرة في ذلك الوقت".

اخترت الدعارة "لأني كنت أريد منح أطفالي حياة أفضل". إذ أنجبت ابنها الأول وهي في سن الرابعة عشر ربيعاً، وتركت المدرسة في وقت مبكر. المرأة،

التي تظهر في الصور لا تشبه المرأة التي زارت نهاية شهر أيار/ مايو مركز استشاري خاص بالعاملات في الدعارة في مدينة شتوتغارت الألمانية، وجلست على أريكة وهي تضع ساقاً على ساق وترتدي بلوزة منقوشة ذات رقبة عالية وماكياج خفيف.

بنبرة صوت هادئة ومليئة بالحكمة، تحدثت (يوليا) عن عملها كمومس وقرارها ترك الوسط. وتقول إنها كانت تفكر بالأمر منذ فترة طويلة، ومنزعجة لعدم قدرتها على اتخاذ قرار. وتقول بأن الأمر الذي حسم حيرتها هو إدراكها أنه على الرغم من بيعها جسدها ليلة بعد أخرى، إلا إنها لم تستطع توفير المال لنفسها أو حتى لابنيها. وتحدثت (يوليا) عن نوبات الهلع التي كانت تصيبها كل يوم تقريباً ولأشهر، ولهذا تحتاج في بعض الأحيان إلى تناول أدوية مضادة للقلق من أجل التمكن من النوم.

نشاط يجعل من المرأة سلعة

تعرف (زابينه كونستابل) الأعراض التي تعاني منها النساء اللواتي يلجأن إليها وهي نوبات القلق والاكتئاب واضطرابات النوم. تتولى (كونستابيل) رئاسة جمعية "Sisters eV"، التي تساعد النساء على ترك وسط الدعارة. وتتكفل الجمعية بالنساء إلى حين وقوفهن على أقدامهن من جديد. لأن النساء أمثال (يوليا) لا يحصلن على المساعدة الاجتماعية من الدولة، وذلك لعدم دفعهن الضرائب. وتقول (كونستابل) "الحد الأقصى الذي يحصلن عليه هو تذكرة سفر إلى بلدانهن".

بالنسبة لـ (كونستابل)، فكل نوع من الدعارة هو اغتصاب، وتستمر في

تكرار الكلمة خلال حديثها. كما تدعو وجمعيتها إلى معاقبة مَن يشتري الجنس. أما مَن يزاولن مهنة الدعارة بشكل اختياري، فنحن غير معنيين بهم. وهذا الرأي ليس موضع خلاف، حيث تميز الجمعيات الأخرى - التي ترعى النساء اللاتي تركن مزاولة الدعارة - بين الدعارة القسرية وبين العمل الجنسي الاختياري. كما يقوم المجلس التشريعي بذلك أيضاً، فمنذ عام ٢٠٠٢م، يُعترف بالبغاء كمهنة في ألمانيا، ويعني ذلك أنه يمكن للمرأة أن تسجل نفسها بصفتها عاملة مستقلة لدى السلطات والتأمين الاجتماعي. لكن القليل منهن مَن تقوم بتلك الخطوة. وينص القانون الذي دخل حيز التنفيذ عام ٢٠١٧م على تشديد الرقابة على المومسات وبيوت الدعارة. الأمر المؤكد هو أن عرض مساعدة النساء لا يتوقف. فبمجرد أن تغادر امرأة بمساعدة جمعية "Sisters" أو أي جمعية أخرى بيوت الدعارة، تحل محلها امرأة أخرى. وتعتقد (كونستابل) أن السبب يعود إلى الصعوبات الاقتصادية، التي تعاني منها هذه النساء في بلدانهن الأصلية".

معظم النساء ينحدرن من أوروبا الشرقية

لا أحد يعرف بالضبط عدد النساء اللواتي يمارسن البغاء في ألمانيا. عشرات الآلاف، وربما يصل عددهن إلى ٤٠٠ ألف، وهو الرقم الذي يتكرر ذكره. لا توجد أرقام رسمية، إذ لم تقرر الحكومة حتى منتصف عام ٢٠١٧م إجراء دراسات حول هذا الموضوع. ولكن الواضح هو أن معظم النساء يأتين من أوروبا الشرقية، وخاصة من بلغاريا ورومانيا، وهما أفقر دول الاتحاد الأوروبي. إذ بلغ متوسط الدخل الصافي في رومانيا - على سبيل المثال - نحو ٤٨٠ يورو في تشرين الثاني/ نوفمبر عام ٢٠١٦م، وفقاً

لبيانات المفوضية الأوروبية. إضافة إلى النساء المنحدرات من أفريقيا. تقول (يوليا)، التي كانت عاملة نظافة قبل مزاولتها مهنة الدعارة، إنها تستطيع من خلال العمل هنا إرسال المال إلى بلدها أكثر مما لو كانت تعمل في رومانيا. وتقول بأنها عاشت لحظات من السعادة أيضاً، بعد تمكنها خلال الأشهر القليلة الأولى من جمع ما يكفي من المال للسفر إلى البحر مع عائلتها، للمرة الأولى في حياتها.

في وقت متأخر بعد الظهر لا تزال اللوحات الإعلانية – التي كانت في المساء مضاءة باللونين البرتقالي والوردي – تضيء الشوارع الضيقة في منطقة Leonhardsviertel. الحي الذي يضم مجموعة من بيوت الدعارة في مدينة شتوتغارت، التي تبقى مغلقة خلال النهار. الشوارع شبه فارغة إلا من مجموعة من الرجال الذين يدخنون، امرأة تقف بعيداً ترتدي سروالاً وردياً ضيقاً، ورجل على ذراعيه وشم ويسند الباب وهو يحدق باهتمام في كل مَن يمر في الشوارع.

سيطرة العصابات على أماكن الدعارة

من المحتمل جداً أن ذلك الرجل من أولئك الذين يعرفون (فولفغانغ فينك) من مكتب التحقيقات الجنائية في ولاية بادن فورتمبيرغ بشكل جيد للغاية : الرجال، الذين تم وشم أسمائهم بأحرف كبيرة سوداء على جنبات وظهور النساء، كما لو كن من ممتلكاتهم. (١) غالباً ما ينتمي هؤلاء الرجال

(١) اعتاد المزارعون ومالكو المزارع والتدجين منذ القدم وضع علامة بالوسم أو الحرق على جسم الحيوانات لغرض تمييزها وتفريقها عن حيوانات غيرهم، (وقد نهى الإسلام عن وسم الحيوان في وجهه أو ضربه فيه)، فما بالنا بالنساء ؟!

إلى أعضاء فرق موسيقى الروك العنيفة مثل : "Hells Angels" أو "United Tribuns" ، الذين يجلبون النساء إلى بيوت الدعارة. الأماكن التي لا يعتبرها (فينك) أكثر من "مداجن"، حيث يشع منها دائماً ضوء اصطناعي، وغالباً لا تعرف النساء ما إذا كانت الشمس تسطع في الخارج أم أنها تمطر. "النساء لا تطأ أقدامهن الخارج تقريباً، كما لاحظنا خلال استجوابهن في كثير من الأحيان أنهن لا يعرفن أي فصل من السنة هو الآن". ويقول المحقق الرئيسي، أنه حتى عم أو إخوة النساء يقومون بإرسالهن إلى امتهان الدعارة.

خلال الحديث يحس المرء بغضب (فينك) تجاه السماسرة القوادين، الذين غالباً ما يقومون بخداع النساء باسم الحب، ولكن يقومون بضربهن أيضاً لتأديبهن، وقد يصل الضرب إلى حد الموت. حتى عندما ينتقل الأمر إلى المحكمة، غالباً ما يكون للقوادين سيطرة على النساء، بحيث لا يجرؤن على الإدلاء بالشهادة. ولهذا لا تتطور القضية بسبب غياب شهادتهن. خلال السنوات العشر التي عمل فيها (فينك) كمحقق في مجال الجريمة المنظمة في ولاية بادن فورتمبيرغ، كانت هناك أقل من عشر محاكمات فقط.

ويقول (فينك) إنه في بعض الأحيان قد تكفي حفنة من القواد إلى إسكات النساء في المحكمة. المشكلة الأخرى هي نقل النشاط بشكل متزايد إلى الإنترنت، وهذا يُعقد التحقيق إلى حد كبير. مهمة (فينك) لا تكمن في التفكير في إيجاد الحلول فقط، لأن الشرطي يفعل ذلك على أية حال. النساء جميعهن صغيرات السن وغير قادرات على اتخاذ قرارهن بشكل واعي. البغاء مسموح به فقط في ألمانيا من سن ١٨، لكن فينك يدافع عن قرار رفع السن ولا يجد ضرورة إلى حظر البغاء. لكن المال، الذي تجنيه

النساء عن طريقه، يجب أن يظل معهن.

"أن تكون شخصا عاديا"

تقول (يوليا) أنه لم يكن لديها قواد. ومن شأن هذا أن يجعلها الاستثناء الأكبر بين النساء الأجنبيات الأخريات. ويقول (فينك) : "القدوم إلى هنا عن طواعية وبشكل اختياري، فهذا غير ممكن في الواقع". ولكن مع الطلب المتكرر عليها، بقيت (يوليا) في الوسط : لم يكن لديها قواد قط، ولهذا احتفظت بكل أموالها لنفسها وأطفالها. كما إنها من الاستثناءات القليلة التي لم تتعرض للعنف.

اليوم ستتخذ (يوليا) قراراً مختلفًا عن السابق وهي تستمتع الآن بكونها شخصاً طبيعياً. الجملة التي ظلت تستخدمها في حديثها وهي تحكي عن كيف تخلصت من ملابس العمل واشترت بلوزة ذات رقبة عالية وتنورة طويلة وأحذية بدون كعب، "أشياء طبيعية"، كما أطلقت عليها. وشعرت حينها بشعور جيد. [١] قريباً تأمل (يوليا) ربما في الحصول من خلال وظيفتها الصغيرة كعاملة نظافة، على وظيفة براتب أكبر، يمكنها من دفع إيجار الشقة وإحضار أطفالها إلى ألمانيا. لدى (يوليا) خطط كثيرة منها حضور دورة في اللغة الألمانية وإنهاء تعليمها. وربما قد يكون لديها بعض الحظ وتجد رجلاً يحبها كما هي".

إلى هنا ينتهي النقل...

---

[١] من المحزن أن نقرأ ذلك من مومس أو داعرة : وهو أن اللبس المحتشم الساتر للمرأة هو (الطبيعي) وأن التكشف والتعري في الملابس هو علامة طالبات الزنا ! فهل تعي ذلك بنات المسلمين المخدوعات بكلام مفسدي الأخلاق في بلادنا للأسف ؟!

طبعاً لا نقول أن هذا الأمر يحدث (فقط) في ألمانيا : بل هو حال كل العاملات في الدعارة في أي مكان في العالم (وكذلك صناعة الإباحية وغيرها كما سنبينه في آخر الكتاب)، ولتفاصيل أكبر عن وضع الدعارة في ألمانيا وكيف رد المعارضون لتقنينها رسمياً هناك على الحكومة : يمكن مطالعة المقال الذي أشرتُ إليه في هامش سابق : **(هل تصبح ألمانيا ماخوراً لأوروبا ؟)** على موقع CNN العربي، ففيه الكثير...

لكن الذي يهمني هنا حتى لا نشتت الموضوع هو أن وجود (ميركيل) كامرأة هو مثل عدمه في الحقيقة (وأعتقد أن المدافعين عن منصبها كامرأة عندما نعرض عليهم الجانب الأسود لسياسات ألمانيا خصوصاً استعباد شركات الشوكولاته الألمانية لأطفال أفريقيا[1] وتجارة السلاح وغيرها) : ساعتها فقط سيقولون نفس المعلومة وهي أن (ميريكل) : لا تقود ألمانيا (وحدها) في الحقيقة، بل هي مجرد (منفذ) أو (موقعة) على القررات التي يتخذها البرلمان الشعبي الذي تمثله !

فأي (فلاح) هذا لـ (ميريكل) الذي يريد أحدهم مقارنته بالفلاح الذي ذكره النبي ﷺ في الحديث ؟! نعم والله ليس بفلاح مهما قيل في قوة ألمانيا العسكرية

---

[1] من أكثر الصناعات إجراماً في حق الطفولة للأسف هي صناعة (الشوكولاتة) في العالم، والتي تأتي ألمانيا في الترتيب الثاني بعد هولاندا في حجم وعدد الشركات التي تعمل في هذا المجال، حيث تم استغلال قرابة ٢ مليون طفل من سن ٥ إلى ١٦ سنة منذ عام ١٩٩٧م (أغلبهم من غرب أفريقيا)، سواء شراء بعضهم من عائلاتهم بسعر ٣٠ إلى ٦٠ دولاراً بلا رجعة، أو يتم اختطاف الآخرين، كل ذلك فضحته الصحافة الحرة عام ٢٠٠٠م والتي طالبت بضرورة إضافة عبارة (خالي من العبودية) Slaves free إلى أغلفة الشوكولاتة (حيث يموت أطفال فعلياً تحت ظروف العمل القاسية) لكن نجحت شركات الشوكولاتة التي تربح ١٠٠ مليار دولار سنوياً في منع الحكومات من ذلك إلى اليوم، رغم وعدها بحل الموضوع منذ عام ٢٠٠٥م !

أو السياسية أو التقنية : أن يقع ذلك مع هدر كرامة وحقوق الإنسان وعلى رأسها بعض حقوق النساء أنفسهن .. وقد ضربنا لذلك مثالاً بالدعارة التي تترجم عدم قدرة (ميريكل) على فعل شيء في الحقيقة مع العجلة الرأسمالية الضخمة للبلاد، والتي تهون من أجلها كرامة المرأة !

وهذا يقودنا إلى الوقفة الثانية مع معنى (المستشارة للحكومة الألمانية)، إذ أن منصب (المستشار الألماني) غير منفرد بالتصرف في أمور ألمانيا أصلاً حتى يقاس بحديث النبي ﷺ، وإنما هو الحلقة الأخيرة التي تظهر رسمياً وإعلامياً لتمثيل البرلمان والأحزاب كما قلنا. (وقد اكتسب منصب المستشار في ألمانيا صلاحياته الكبيرة منذ تولاه هتلر إبان الحرب العالمية الثانية).

ورغم ذلك : فهي لا تسلم من معارضة الجميع للكثير من القرارات التي تؤشر عليها أو تقرها، فإن هي عملت على استقبال اللاجئين العرب والمسلمين مثلاً : انتقدها معارضو الهجرة والتواجد العربي والإسلامي في ألمانيا (رغم أنها تفعل ذلك لمصلحة اقتصادية بحتة وهي انخفاض مؤشر عمر المواطنين الألمان القادرين على العمل لقلة المواليد الجديدة !)، وإن أعلنت تعاونها مع أمريكا : انتقدتها الأحزاب التي ترى في أمريكا نداً ينبغي إعلان المواقف الصلبة معه رسمياً، خصوصاً بعد حادثة كشف التجسس والتنصت الأمريكي على هاتف (ميريكل) نفسها عام ٢٠١٣م ! [١]

---

[١] تزامن ذلك مع ما قام بتسريبه الأمريكي (إدوارد سنودن) Edward Snowden عام ٢٠١٣م من وثائق للأمن القومي الأمريكي وشركائه (مثل كندا وإنجلترا) للتنصت على المواطنين والوافدين، وعلى شخصيات رئاسية هامة ووزارية من دول أخرى مثل ألمانيا والسويد وغيرها، وذلك عندما كان يعمل في إحدى الشركات الأمنية المتعاقدة مع وكالة الأمن القومي الأمريكية، وبلغ عدد الوثائق المسربة التي أرسلها لمختلف مواقع الإعلام في أمريكا وأوروبا وآسيا قرابة ١,٧ مليون وثيقة !

الموجة النسوية الثانية

نواصل هذه المسيرة النسوية في أمريكا على الأخص، حيث ننقل من كلام (كاميل باليا) رأيها في تلك الموجة التي بدأت في الستينيات :

"في رأيي، إن الموجة النسوية الثانية، على الرغم من رفعها شعار العناية بالنساء عموماً – العاملات منهن أو المحرومات من حقوقهن – إلا إنها لم تهتم سوى بالنساء العاملات من الطبقة فوق المتوسطة، واللاتى يسعين للحصول على الوظائف المرموقة والمكافآت المادية في النظام الاقتصادي الذي أنشأه الرجال من أجل الرجال".[١]

هذا الاقتباس الذي اخترته من كلامها يمثل (على اختصاره) التوجه النسوي العام في تلك الحقبة، وهو الانقلاب على المعايير المجتمعية التي تحصر دور المرأة في البيت والأمومة، ولا تترك لها متنفساً في الأعمال الحقيقية إلا بشكل محدود كأعمال السكرتاريا أو التعليم ونحوه.

كل ذلك كان شرارة الانقلاب على الفطرة في الموجة الثانية، أي إن كثيراً من النسويات وقتها أصابهن الغلو في دعوى المساواة حتى زعمن أنه لا فرق بيولوجي بين المرأة والرجل !

وهو نفس ما تبنته (كاميل باليا) في تلك الفترة خصوصاً مع نشأتها على الأفلام التي تمجد (البطلة) النسائية وتقوم الممثلات فيها بأدوار جريئة غير معهودة، فكانت أدوارهن – بل وشخصياتهن أنفسهن – (ملهمة) لأمثال (باليا) في اعتقادها زوال الفرق البيولوجي بين الجنسين (ومن هنا كانت بذور الحديث

---

(١) من محاضرة (نساء الجنوب) – مصدر سابق.

عن الجندر أو النوع الاجتماعي وزعم المرأة أنه يمكنها القيام بكل أدوار الرجل في المجتمع).

لكن مع الوقت والنضج في العمر والحياة : ستدرك (باليا) خطأ ذلك الغلو في دعوى عدم وجود فروق أصيلة بين الرجال والنساء، وعليه : ستبدأ التعديل من أفكارها بأن تترك مساحة لحرية الجندر لمن يريد، لكن مع عدم إلغاء الفروق الأصيلة بين الرجل والمرأة، فكل منهما يمثل قطباً مختلفاً عن الآخر في حقيقته البيولوجية أو الجسدية والتشريحية !

ولعل كتابات (باليا) في هذا الاتجاه الناقد للنسويات الأخريات هو ما رشح لنا ترجمة كتابها، لكن كما ذكرت في المقدمة : أنه رغم هذه الحسنة في أفكارها : إلا أن البديل الذي تقدمه (وهو المرأة المتحررة جنسياً) يحتاج للنقد والكشف هو الآخر، فضلاً عن أن ما دافعت عنه (باليا) هو الموقف المفترض لأي عاقل ! وهو أن (الرجل) رجل و(المرأة) امرأة !

مكتبة
t.me/t_pdf

ولنفسح المجال لبعض الاقتباسات لها إذ تقول :

"لقد عشت طفولتي خلال الخمسينيات من القرن الماضي، عندما كانت أدوار الجنسين قطبية بشكل صارم. فالرجل رجل، والمرأة امرأة، مع وجود قواعد صارمة للأزياء والسلوك لكل جنس. بعد ذلك بكثير أصبحتُ أكثر تعاطفاً مع جيل آبائنا الذين تحملوا الضغوط والتضحيات المؤلمة من الكساد والحرب العالمية الثانية، وكانت خيارات الفتيات في الخمسينيات محدودة للغاية. فقد كان متوقعاً منهن أن يصبحن زوجات ثم أمهات، وكان هناك عدد قليل من المهن المناسبة للنساء مثل وظيفة "السكرتيرة" أو معلمة في المدارس الحكومية أو راهبة كاثوليكية، كان الجو

مرعباً وخانقاً لأي فتاة طموح ولديها روح التحدي والمنافسة، حيث كانت تعتبر منسلخة من أنوثتها.

وقد شكل النموذج البيولوجي بكل تأكيد هذه المواقف. على سبيل المثال، كانت الفتيات تحصل دائماً على دمى أطفال، على افتراض أن الفتيات بحاجة إلى ممارسة غرائزهن الفطرية، ورحبت الفتيات كثيراً بهذه الفكرة. أنا نفسي أعتبر هذه الدمى وباء أو عدوى، لأنني أردت السيوف والرماح ودروع الفرسان ! وأعلنت تمردي بارتداء مجموعة من أزياء الهالووين للمتحولين جنسياً، والتي كانت غريبة الأطوار للغاية بالنسبة للأطفال في الخمسينيات.

لقد طُبقت إحدى الافتراضات البيولوجية في المدارس، حيث تم منع الفتيات من أخذ دروس قرع الطبول في فصول الموسيقى، على افتراض أنهن لم يكن لديهن القوة للضرب بالعصي أو حمل الطبل في ملعب كرة القدم. (وهكذا صرت ألعب المزمار، كان عزفي سيئاً للغاية لمدة ثماني سنوات في فرقة المدرسة حتى التخرج).

في حصص الرياضة، كان يُعتقد أن الفتيات أضعف من أن يمارسن التمارين الرياضية القاسية. وبالتالي، لم يُسمح لنا بلعب كرة السلة في الملعب كله، ولكن كان علينا التوقف (بصعوبة كبيرة) عند خط الوسط وتمرير الكرة إلى لاعب آخر على الجانب الآخر. لذا، كنت – كمدافعة – إذا نجحت في اختطاف الكرة من المنافس في إحدى نهايات الملعب، لم أستطع ضرب الكرة حتى النهاية لأضع الكرة في السلة، كان هذا أمراً مثيراً للغضب حقاً.

كانت العقيدة البيولوجية واضحة في حادثة وقعت في مدرستي الابتدائية، عندما خضنا - أعنى فتيات الصف الخامس - شجاراً مع فتيات الصف السادس في العطلة (التي خرجتُ منها مصابة بسن مكسورة). وعلى مدار أسبوعين، وبخني مدرس الفصل بشدة بسبب قيامي بتوجيه لكمة إلى فتاة أخرى في معدتها، وهي جريمة خطرة؛ حيث قيل لي أنني كنت على وشك أن أتلف أعضاءها التناسلية الحساسة، وهو ادعاء بدا لي مع مرور الوقت مشكوكاً فيه طبياً.

لم ينقذني من هذا الجحيم الجندري إلا البحث - تميمتي الخالدة في مواجهة الخرافات الجندرية - في عام ١٩٦١م، وقبل دخولي المدرسة الثانوية مباشرة، رأيت مقالة عن (إميليا إيرهارت) في الصحيفة المحلية، الأمر الذى دفعني إلى التعمق بهوس في حياتها ومغامراتها لثلاث سنوات. وعند تتبع الصحف والمجلات القديمة في الطابق السفلي المليء من مكتبة (سيراكوز) العامة، اكتشفت حقبة مختلفة تماماً - في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي - عندما كانت الموجة النسوية الأولى قد ألهمت مجموعة استثنائية من النساء الناجحات، من (إيرهارت) نفسها إلى (دوروثي باركر)، (دوروثي طومسون)، (ليليان هيلمان)، (مارغريت بورك وايت)، (كلير بوث لوس)، و(كاثرين هيبورن) اللاتى كنت قد شاهدتهنَّ بالفعل في الأفلام القديمة المهملة آنذاك على شاشة التلفاز في وقت متأخر من الليل. لقد كان ذلك ملهماً. يبدو أن تلك الحقبة تثبت قابلية الأدوار الجندرية للتغير واعتمادها على الظروف الاجتماعية. في وقت لاحق، سوف أفهم المزيد حول القوى العظمى المؤثرة في تلك الفترة، وعن حركة التمرد ضد السلطة التي عملت على تنشيط (عصر موسيقى الجاز) بعد الإخفاقات

التي أدت إلى كارثة الحرب العالمية الأولى. كان الولع المهني الممزوج بحب المغامرة لدى هؤلاء الشابات في كثير من الحالات يعكس التمرد على الأعراف الڤيكتورية[1] التي قدست العفة والانضباط والأمومة المثالية للمرأة. ومع ذلك، طوال فترة مبكرة إلى منتصف الستينيات، كنت أراقب في وقت واحد عملية البلوغ المعقدة في نفسي وأصدقائي، ذكوراً وإناثاً، وكذلك عمليات الحمل والولادة ورعاية الرضع داخل وخارج عائلتي. بدا لي أن هناك أبعاداً مهمة وملحة ومستعصية في علم وظائف الأعضاء البشرية، وسيطرتنا على تلك النواحي ضئيلة أو معدومة. ومن هنا ازدادت العلاقة بين الطبيعة والتطبع تعقيداً بالنسبة لي، وبدا موقفي الرافض للبيولوجيا في السابق أنه لا يمكن الدفاع عنه.

بحلول الوقت الذي بدأت فيه الموجة النسوية الثانية في عام ١٩٦٦م – ومع تأسيس (بيتي فريدان) للمنظمة الوطنية للمرأة – وجدت نفسي – كطالبة جامعية – غير متوافقة مع آراء معظم النسويات. تفاقم الوضع في مدرسة الدراسات العليا، حيث عقد مؤتمر نسوى عام ١٩٧٠م في كلية الحقوق بجامعة (ييل)، وكان لقاءً مخيباً للآمال مع زعماء النسويات (كيت ميليت) و(ريتا ماي براون). حيث استبعد أي أساس بيولوجي للأدوار الجندرية باعتباره بدعة رجعية. ازداد شغفي كثيراً .. في عام ١٩٧٣م – وكمدرسة في جامعة (ڤيرمونت) – كادت تحدث مشادة عنيفة مع مجموعة

---

(١) تميزت حقبة حكم الملكة (فيكتوريا) Victoria في بريطانيا في القرن التاسع عشر بالتمسك بالأصالة الأخلاقية للمجتمع كرجال ونساء، مثل التزام النساء بأدوارهن كأمهات ومربيات في البيوت، في حين تهاجم (كاميل باليا) والنسويات المتحررات مثل هذه الأخلاق أو الأعراف وتصفها بـ (التدجين)، أي تشبيهاً للمرأة وللقيود التي تحدها بالحيوانات والطيور الداجنة التي يرعاها المزارع.

من أوائل النسويات الأكاديميات في جامعة (ألباني) عندما أشرتُ في معرض كلامي إلى أن الهرمونات تعتبر عاملاً مؤثراً في الاختلافات بين الجنسين، حينها أعلنَّ بالإجماع أنني قد تعرضت لـ "غسيل دماغ" وتم خداعي من جهة أجيال من العلماء الذكور الذين يدعمون فكرة التمييز على أساس الجنس. فالهرمونات – من وجهة نظرهن – لا تلعب أي دور في حياة الإنسان. ببساطة، لم تكن المشكلة أنهنَّ يتساءلنَ عن مدى تأثير الهرمونات على شخصية الإنسان وسلوكه، وإنما كنَّ ينكرن حقيقة وجود الهرمونات !

شعرت كما لو أنني في ورطة في (أليس) في (بلاد العجائب).[١]

لقد ظهرت برامج دراسات المرأة في سبعينيات القرن الماضي، ويعزى ذلك جزئياً إلى الضغط الوطني لإقحام المزيد من النساء في الكليات التي غالباً ما يكون – وبشكل محرج – كل مَن يعملُ بها من الرجال. كان المسؤولون الذين يقدمون الدعم المالي لهذه البرامج الجديدة مهتمين بحل مشكلة العلاقات العامة الشائكة أكثر من اهتمامهم بالمحتوى العلمي. ولذا كانت برامج دراسات المرأة خاملة في تلك المرحلة المبكرة من الأيديولوجية، والتى يمكن وصفها بالبيئة الاجتماعية المناضلة. في رأيي، كان ينبغى تدريس بيولوجيا الغدد الصماء كمادة أساسية في المناهج الدراسية

---

[١] كناية عن الشيء صعب التصديق مثل رواية : (مغامرات أليس في بلاد العجائب) Alice's Adventures in Wonderland والتي نشرها الكاتب (لويس كارول) Lewis Carroll عام ١٨٦٥م، وتحكي قصة فتاة تسقط في حفرة إلى تحت الأرض في عالم عجيب يمتليء بالشخصيات الخيالية الغريبة التي لا يمكن تصديق وجودها.

لكل برامج دراسات المرأة في البلاد. يجب أن تبدأ النظريات حول الجندر من هذا الأساس، حتى لو تم رفض مساهمة علم الأحياء في النهاية. وبدلاً من تشجيع البحث العلمي والتفكير الحر، انطلقت برامج دراسات المرأة لتخدم أجندة جاهزة. لم يُسمح بأي خروج عن النمط المتفق عليه، وهو أن كل الفروق بين الجنسين ترجع إلى تسلط المجتمع الذكورى، وإساءة معاملة النساء من قبل الرجال.

إن ظهور مقاربات أكثر تطوراً – مثل النسوية الفرنسية ما بعد البنيوية في منتصف سبعينيات القرن الماضى ونسوية "الاختلاف" في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي – لم يُحدث إلا تغييراً طفيفاً، لأن كلتيهما أغفلتا الحقائق البيولوجية تماماً. كان الرجال الأكاديميون – الذين كانوا متخوفين من سطوة التيار السائد – مترددين في تحدي السلطة الجديدة، وتراجعوا خوفاً من رميهم بتهمة التحيز الجنسي، ولكن التاريخ لن يعذر خجلهم وجبنهم. كان هناك نوع من اللامبالاة حيال تلك المسألة : "دع النساء يلعبن قليلاً".

وهكذا نمت برامج دراسات المرأة ونمت أيضاً – بعد ذلك – برامج الدراسات الجندرية بشكل مستقل، وخلقوا شريعة معزولة خاصة بهم، محمية من التحدي والاعتراضات من الأصوات الخارجية، وحتى من النسويات المنشقات مثلى.

لكن عواقب الحياة الواقعية لهذا الاستبعاد الشامل للبيولوجيا من الفكر الاجتماعي المعاصر تستمر في التزايد. على سبيل المثال، كانت الموجة النسوية الثانية سيئة وقاسية كالعادة بسبب تشويه سمعة الأمومة اعتماداً على أدلة مزيفة. ولذا، نشرت الكاتبة (بيتى فريدان) كتاب (اللغز

الأنثوى) عام ١٩٦٣م، وهو كتاب يتناول الحياة البائسة لربات البيوت في الأحياء النائية. أشادت الموجة النسوية الثانية بالمرأة العاملة ومجدتها، ونبذت المرأة المتقاعسة عن العمل بالبقاء في المنزل باعتبارها خائنة للقضية النسوية. وقد جعل هذا الأمر (فريدان) نفسها غير مطمئنة، وحاولت توجيه الحركة النسوية نحو اهتمامات النساء العاديات، ولكن بلا جدوى. لقد عانت (فريدان) من الانقسام الحاد حول ما وصفته بـ "تهديد الخزامى"، وهو تولي فتيات شاذات جنسياً زمام الأمور في الحركة النسوية.

ما استنتجته من بحثي هو أنه على الرغم من التحول في أدوار الجنسين في لحظات معينة في التاريخ، مثل ما حدث مع (شكسبير) في لندن عندما هاجم الدعاة البروتستانتيون بدعة تغيير الملابس (ارتداء ملابس الجنس الآخر في مسرحياته)، إلا إنه في نهاية المطاف عادت الأمور إلى وضعها الطبيعى (ارتداء كل جنس الملابس الخاصة به). وعلى الرغم من أن انتحال كل جنس دور الجنس الآخر أمر مثير للاهتمام للغاية بالنسبة لنا اليوم، إلا إنه ظل عادةً استثنائية لا يمارسها الأغلبية في أى مجتمع.

أخيراً، عادةً ما يكون تبادل الأدوار بين الجنسين هو من أعراض التوتر والقلق بشأن القضايا الأكبر. وهذا يعني أن الهوية الجنسية تصبح محوراً رئيسياً فقط عندما تنهار الأشكال الأخرى من الهوية والانتماء، الديني والوطني والقبلي والعائلي. علاوة على ذلك، في حين أن الخَنوثة والتحول الجنسى يعدان الآن شكلاً من أشكال التقدم، إلا إن مثل هذه الظواهر ساعدت في بعض الأحيان على إحداث رد فعل مضاد قد يستمر لقرون. على سبيل المثال، خلقت روما – بدينها الفارغ – خواءً أخلاقياً سرعان ما ملأته حركة روحانية ضخمة آتية من شرق البحر الأبيض المتوسط هي

المسيحية،[1] والتي ظلت بعد مرور ألفى عام حاضرة بقوة على مستوى العالم. وبلا شك شعر صفوة الرومان خلال إجازاتهم في (بومبى) أو (كابرى) أن حياتهم المطمئنة المهذبة ستستمر إلى الأبد.

يمكن لتغلغل نظرية الجندر في حياتنا العملية أن يعمي أبصارنا عن المشكلات النامية، على سبيل المثال، ما هي الآثار طويلة الأجل الناجمة عن تجاهلنا للأنماط البيولوجية وفرضنا على الفتيات مساراً وظيفياً متمركزاً حول الذكور، يلتهم سنوات الخصوبة المثلى لهؤلاء الفتيات، ويثقلهن بسلسلة طويلة من التعليم الجامعي والدراسات العليا ؟ بحلول الوقت الذي تكون فيه هؤلاء الفتيات على استعداد للزواج - فقد يكنَّ في الثلاثينيات من العمر - حينها يشكل الحمل مخاطر أكبر، وحينها يصبح للذكور الخيار للزواج بالفتيات الأصغر سناً.

لقد عبر المسلسل التلفزيونى (الجنس والمدينة) - الذى كان مفاجأة كبيرة على مستوى العالم - بطريقة درامية عن مشاكل الفتيات العاملة في مزيجٍ من الكوميديا والمأساة.

إنني أؤمن أنه ليس من الصواب تماماً أن تقدم المدارس الحكومية برامج التثقيف الجنسى دون وجود إرشادات منهجية خاصة بالفتيات المراهقات،

---

(١) وهذا ما نرجوه ونتوقعه أيضاً في السنوات القادمة، وهو أن الأوضاع الإنسانية في ظل العبث الجندري والظلال التي يلقيها على تفسخ الأسرة وتشوه نفسية الأطفال العالقين مع آباء شاذين أو أمهات شاذات أو متحولين ومتحولات : سوف تستدعي قيمة روحية عظيمة لتخليص مجتمعاتهم من ذلك الخراب، وهنا لن يجدوا شيئاً بإذن الله تعالى في قوة ووضوح وثبات الإسلام، وهو الدين الآخذ في التزايد بالفعل عالمياً وفي بلدانهم.

اللاتي يجب أن يفكرن في كيفية تنظيم حياتهن المستقبلية :

هل يردن أطفالاً ؟

وإذا كان الأمر كذلك، فما هو الموعد المناسب ؟ مع التفكير في مزايا وعيوب كل خيار. بسبب العبء البيولوجي الشاق للحمل والولادة، فهذه قضايا ستؤثر دوماً على النساء أكثر من الرجال. إن تكوين الأسرة مبكراً يمتص شباب المرأة وطموحها المهني، وهو ما قد يزيد المهمة صعوبة. من ناحية أخرى، فإن التواجد مع الأطفال في سنواتهم الأولى – بدلاً من إسناد تلك التجربة إلى مراكز الرعاية النهارية أو المربيات – له قيمة عاطفية، وربما روحانية عظيمة تم تجاهلها – للأسف – بسبب الموجة النسوية الثانية.

الآن في الولايات المتحدة، يُنظر إلى الأمهات الشابات بازدراء، ويوصفن بـ "إضاعة" مواهبهن، يجب أن ينتهي هذا العداء الذي عززه التطفل الاجتماعي على الكليات والجامعات التي تدعي دعم حقوق المرأة أن تدرك الاحتياجات البيولوجية بشكل أكثر إنسانية. سيكون وجود الأمهات أو الطلاب المتزوجين بشكل عام في الفصل الدراسي ذا فائدة كبيرة في إعادة خطاب الجامعة حول الجندر إلى الارتباط بالواقع بعيداً عن الأوهام. يجب على الجامعات توفير وتعزيز برامج دراسية بدوام جزئي وعطلات طويلة تسمح للآباء بإتمام شهاداتهم على مدار سنوات عديدة أو حتى عقود".[1]

---

[1] من مناقشة (الأدوار الجندرية : طبيعة أم تطبع ؟) Gender Roles: Nature or Nurture بين (كاميل باليا) و (جين فلاكس) في منتدى جانوس، معهد النظرية السياسية، الجامعة الأمريكية، واشنطن، ٨ أكتوبر ٢٠١٣م.

أكتفي بهذا النقل عن (باليا) بخصوص الموجة النسوية الثانية، إذ أبرزت أكثر سماته حضوراً على الساحة وقتها، ولن نكرر الحديث عن الإباحية والثورة الجنسية ومضارها، لكن يهمنا قضية فتح سوق العمل بوظائفه المتنوعة أمام النساء، وهو ما ذكرته (كاميل باليا) في بداية كلامها كدافع ومطلب للتحرك النسوي في تلك الموجة.

عمل المرأة

بعيداً عن موضوع (تحقيق الذات) و(التحدي) و(الشغف) الذي يكون أغلبه تقليداً لدعايات الأفلام والمسلسلات والنسوية، بل وحتى الرجال أنفسهم لا يعمل أغلبهم في الحقيقة لهذه الأهداف الحالمة ! وإنما لكسب العيش فقط وإعالة أسرهم والاستقرار، أما هذه الأهداف المثالية - إن وُجدت - فغالباً ما تكون (بجانب العمل) ونادراً ما تكون الأساس، لذلك فالذي أراه بالنسبة للمرأة أن هناك مجالات عمل أساسية تتوافق مع طبيعتها وتوفير كسب العيش الكريم لها، مثل التمريض والطب بجميع تخصصاته، لا سيما تخصص النساء والولادة، وكذلك المهن المرتبطة بتصنيع وبيع الأعمال المنزلية والمنتوجات البيتية مثل النسيج والملابس والطعام والمشروبات ونحوه، أيضاً مهن التعليم خاصة للرياض الأطفال ومدارس البنات (وأنا مع الفصل بين الجنسين في التعليم وهو الأنجح في التحصيل كما سنرى في المدارس الإسلامية البريطانية بعد قليل) وكذلك عدد من الوظائف الإدارية لاسيما التي تختص بمعاملات النساء أو التأكد من هويتهن ونحوه، وهكذا... **لكن يتبقى السؤال** : وهل هناك أماكن في هذه المهن تكفي (جميع) الفتيات أو الشابات أو النساء، سواء المعيلات منهن (أي التي تنفق على بيتها أو تساهم في نفقته) أو حديثات التخرج من المعاهد والجامعات ؟

والإجابة بالطبع : لا ... ومن هنا تظهر الحاجة إلى التوسع في مجالات العمل أمام المرأة لتستوعب كل هذه الأعداد، وكذلك لاستيعاب الاختلافات الفردية لدى كل فتاة أو شابة أو امرأة وتميزها فيها عن غيرها، وهو شيء لا خلاف في وقوعه لأن للمرأة عقل مثل الرجل، ولها مَلكات ومواهب قد تفوق فيها الرجال (وإن كانت نسبة ظهورها أقل في الرياضيات الذهنية والعلوم، فضلاً عن انشغالهن بأمور الزواج والأسرة والبيت ورعاية الأبناء).

وهنا يظهر السؤال التالي : **ما مدى (الضرورة الملحة) لعملها ؟**

والحقيقة الإجابة تعتمد على حالة المرأة التي نتحدث عنها، فمن حيث المبدأ نتفق جميعاً أنه يجوز للفتاة أو الشابة أو المرأة العمل في ظروف الاضطرار ما دام العمل شريفاً غير مُحرم، مثل فقدان العائل لها بموت أو إصابة أو طلاق ونحوه. وكذلك إذا كانت النفقة قصرت بزوجها أو أبيها واضطرت للمساعدة بالعمل، بشرط الالتزام فيه باللوازم الشرعية التي تحدثنا عنها سابقاً في اللباس والاحتشام وعدم الخلوة والاختلاط إلخ. إذن... **ماذا عن اللاتي لا يحتجن (مادياً) إلى العمل ؟** من المعلوم أن الأب مثلاً يتكفل في الإسلام بتجهيز بناته للزواج، ورغم أنه ليس من الإسلام ولا من الحكمة المغالاة في تجهيزات العروس كثرةً وثمناً، إلا إننا نرى اليوم مسارعة الكثير من الشابات والعزباوات إلى الانخراط في العمل لتجهيز أنفسهن أو المساعدة فيه، لكن ماذا لو كانت إحداهن فعلياً لا تحتاج إلى ذلك (كأن تكون ميسورة الحال مثلاً) ؟ ما الذي يدفعها للعمل ؟

الذي أراه من جديد (ولا ألزم به أحداً) أن **اختلاف نمط المعيشة اليوم** عن الحياة منذ ١٤٠٠ سنة أو حتى عن حياة الريف والبادية ذات الأنشطة اليومية للأسرة والجيران : قد يمثل عاملاً ضاغطاً عند نسبة كبيرة من الفتيات والشابات للبحث عن عمل (مهما كان مردوده المادي ضعيفاً) لأنه يمثل لها :

١) طريقة لتقضية الوقت فيما يفيد إلى حين يأتي الزواج على الأقل.

٢) طريقة لاكتساب خبرات الحياة والاحتكاك مع بنات جنسها والناس.

وهما نقطتان مهمتان جداً لمن يقيس الأمور بمقياس اليوم وبواقع اليوم الذي صارت فيه كل أسرة شبه منغلقة أو منعزلة أو متقوقعة على ذاتها، فلا اختلاط مع بقية العائلة (التي غالباً ما تكون بعيدة) أو الجيران إلا نادراً (نموذج الأسرة النواة)، ولا نشاطات بيتية أسرية يومية أو اجتماعية مثلما كان في الماضي.

ففي الماضي : حتى الريف والبادية كان فيهما نشاطات نسائية تجلس فيها الفتاة أو الشابة أو المرأة مع قريباتها أو جيرانها أو معارفها، أو تخرج معهن لقضاء حاجاتها أو حاجات البيت من جلب ماء، أو غسل ملابس، أو حلب شاة، أو رعي، أو مساعدة في الزراعة، أو في تربية الطيور ونحوه، وكما نلاحظ : فكلها نشاطات تنمي الإدراك والوعي وحس التعامل مع الآخرين .. وكلها أيضاً لم يعد لها وجود اليوم عند أغلب المجتمعات العمرانية والمدنية !

ولذلك أقول إن العمل بالنسبة للفتاة أو الشابة أو المرأة قبل الزواج قد يكون عنصر الجذب الأساسي فيه هو سد هذا الفراغ النفسي والاجتماعي، فعلى قدر ما يوجد فتيات وشابات ونساء يعشقن جلسة البيت ولديهن القدرة على شغل أنفسهن دون الحاجة إلى الخروج : على قدر ما يوجد مَن لا يستطعن البقاء بصورة أساسية في منازلهن من دون ما يشغلهن عملياً، خصوصاً مع قلة أو غياب الأنشطة النسوية (وهو ما يجعل من الزواج وضعاً مثالياً لهؤلاء بما فيه من انشغال برعاية المنزل والطعام والنظافة والعناية بالأطفال والزوج ونحوه)، وعلى ذلك أقول :

لا أرى (إلى هذا الحد) حاجة للمرأة المتزوجة للاستمرار في العمل بعد الزواج

إذا لم يكن لديها حاجة مادية أو مالية، لأن وجودها في بيتها أفضل لزوجها ولأبنائها، خاصة مع حصولها على القدر الكافي من التعليم وهو ميزة جيدة لها، كما أن وجودها في بيتها أفضل للشباب والرجال الذين يبحثون عن عمل، أو الذين تتضرر قيمة أجورهم أو رواتبهم بكثرة المزاحمات النسائية لهم في نفس مجالهم مع رضاهن بأجور أقل، فيكون الحل تقليل ذلك إلى أقل قدر ممكن (وهو ترك الزوجات غير المحتاجات له وقصره على غير المتزوجات والمحتاجات).

كذلك يمكن أن نضم لهن النساء المتميزات بالفعل في مجالات أو أعمال معينة لدرجة تمثل حاجة مجتمعية عامة إليهن، بل وأمثال هؤلاء يجب على الدولة أو أولياء الأمر أو الحكومة أن تعتني بهن عناية خاصة من جهة الأجور أو الرواتب، أو مساعدتهن في حضانة وأعباء تعليم أبنائهن ونحوه، وهو مما يخفف من عتاب أو تحامل أزواجهن عليهن بسبب العمل.

إذ قليل من النساء مَن يستطعن الموازنة بين العمل فعلياً وبين حاجة أزواجهن وأبنائهن إليهن، وعن هذا تنشأ الكثير من المشاكل الزوجية المختلفة.

وسوف نرى في فصل قادم عن العمل بعض أوجه معقولية هذا الرأي مني، رغم ما يمكن الاعتراض به عليه من تخوف الكثير من المتزوجات اليوم من تقلب ظروف الحياة بهن، ليس الفقر فقط مع الزوج ولكن ربما الطلاق أو موته شخصياً، وهو ما قد يتركها بلا عائل حقيقي خاصة في وجود أبناء وقصر يد والديها أو وفاتهما. أو ما نصفه بغياب (الأسرة الممتدة) التي تكفلها.

ولذلك - وفي الحقيقة – صار من الصعب ضبط هذه النسبة في المجتمع لتزايدها وتزايد مشاكلها المتعلقة بها - خاصة الطلاق كما قلنا - وهو ما يجعل الأمر في النهاية (تقديري) لكل امرأة وما تبصره من أحوالها الخاصة في حياتها.

الموجة النسوية الثالثة

وهي الموجة التي بدأت في تسعينيات القرن الماضي، وقد نقلنا أكثر من اقتباس لـ (كاميل باليا) يتعلق بها، ولا إشكال من ذكرهم مرة أخرى في سياق واحد كما ذكرتهم (باليا)، حيث تعطينا كلماتها صورة أقرب عن ذلك الاضطراب الحاصل في المجتمع الأمريكي خاصة في مواضيع الجندر والتحرر الجنسي والإباحية والاغتصاب التي أعقبت الثورة الجنسية، وكأنها تجسد لنا فترة (جني ما تم بذره) فيها !

تقول (باليا) :

"لكن طرأ تغييرٌ جذريٌ على النسوية في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي، حيث كانت الصور الجنسية الصريحة والعري الجزئي - التي قدمتها (مادونا) في أغانيها التي بثها التلفاز إلى العالم كله - تعمل على تشكيل وعي الجيل الجديد من النساء الأصغر سناً. بدأت (مادونا) عملية التحرر التي أعرب العديد من المعلقين من اليمينيين واليساريين على حد سواء عن استيائهم منها، لأنها كانت نوعاً من الـ "شرعنة الإباحية" داخل أمريكا. بدأت الثورة ضد طغيان (ماكينون) و(دوركين) من داخل الحركة النسوية في الثمانينيات في سان فرانسيسكو، حيث كانت هناك معارك ضارية حول السادومازوخية السحاقية ولعب دور المرأة المسترجلة. بحلول أوائل تسعينيات القرن الماضي، اكتسبت حركة الشاذات جنسياً "مثليات أحمر الشفاه" اهتماماً وطنياً، وقد مثل ذلك تحولاً جذرياً في صورة المرأة النسوية المثقفة باعتبارها تتبنى أيديولوجية سياسية قاتمة وترتدي ملابس رثة. كان للموجة النسوية الثالثة في التسعينيات - وهو مصطلح استخدمته لأول مرة (ريبيكا ووكر) - مواقف مختلفة بشأن هذه القضايا.

وعلى الرغم من تزمت (نعومي وولف) المبكر تجاه الجمال، فقد تبنت في النهاية موقفاً مؤيداً للجنس قريباً من موقفي، بينما انحازت (سوزان فالودي) إلى حزب (شتاينم) فيما يتعلق بمناهضة النسوية للثقافة الشعبية.

في حين يتغنى كلٌ من النسوية الأكاديمية والتيار النسوي السائد بتعزيز تنوع وجهات النظر وتقبل المخالف، فإن الواقع على النقيض تماماً من هذا الادعاء.

لقد دخلتُ في معارك مع النسويات الأخريات في أوائل سبعينيات القرن الماضي بسبب موسيقى الروك - التي كانت تصنف آنذاك بأنها متحيزة جنسياً - وبسبب مسألة الهرمونات التي أرى أنها عاملاً أساسياً في الاختلافات الجنسية. في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، اصطدمت (كريستينا هوف سومرز) أستاذة الفلسفة في جامعة كلارك بجلاميد التعصب والأدلجة في المؤتمرات الأكاديمية، وذلك عندما حاولت بدء النقاش مع النسويات الأخريات حول القضايا الحساسة. عندما نُشر كتابي الأول "أقنعة جنسية" في مطبعة جامعة (ييل) عام ١٩٩٠م، شبهت (جلوريا شتاينم) بحثي المكون من ٧٠٠ صفحة عن الفن والثقافة - والذي من الواضح أنها لم تكلف نفسها عناء قراءته - بكتاب هتلر "كفاحي". عندما تم نشر مقالتي عن الاغتصاب في المواعدة في افتتاحية مجلة نيويورك نيوزداي في يناير ١٩٩١م وأعيد نشرها في جميع أنحاء الولايات المتحدة كانت هناك ردة فعل عنيفة وصلت إلى حملة تشهير منظمة، حيث تلقى رئيس جامعتي في فيلادلفيا سيلاً من المكالمات من جميع أنحاء البلاد تطالبه بطردي من وظيفتي كأستاذة جامعية. لحسن الحظ، كان رئيس الجامعة يتبنى التيار المستنير الذي يرى أن أعضاء هيئة التدريس

لديهم الحق في التعبير عن أنفسهم وآرائهم بحرية في جميع القضايا العامة، وكنت محظوظة بما فيه الكفاية للحصول على ترقية. المعلمون الأصغر سناً، آنذاك والآن، سيكونون أكثر تردداً في التعبير عن وجهات نظرهم التي تخالف التيار السائد. عندما نشرت (كايتي رويف) بعد ثلاث سنوات كتابها **The Morning After** عام ١٩٩٤م، الذي ناقشت فيه أدلجة ظاهرة الاغتصاب داخل الحرم الجامعي كانت الاعتداءات الوحشية التي تعرضت لها من جهة النساء الأكبر سناً في المؤسسة النسوية فاضحة وغير معقولة. في رأيي، كانت تلك واحدة من أكثر اللحظات المخزية في تاريخ النسوية المعاصرة.

كانت النسوية القديمة تزداد حدة وقسوة حتى عندما كانت النسوية تخسر الحرب. كانت الشبكة العنكبوتية – التي أصبحت أداة شبه عالمية بحلول منتصف التسعينيات – تتغذى على التنوع والتعددية. عندما انتقلت المواد الإباحية إلى الشبكة، فقدت النسويات القدرة على تتبعها ووقفها. على الرغم من أن الإنترنت مورد رائع للاطلاع على مجموعات ومناقشات النسوية، إلا إنه قد يكون أحد الأسباب التي قلصت تأثير النسوية، لأن المواقع الإلكترونية يمكن أن تصبح مغمورة ونائية ولا تجتذب سوى المؤمنين الحقيقيين فقط. كان هناك عمل كبير أخير لزعيمات التيار النسوي السائد في التسعينيات ألا وهو دفاعهن القوي عن (بيل كلينتون) ضد الدعوى القضائية التي رفعتها (بولا جونز) في عام ١٩٩٤م – وحتى فضيحة (مونيكا لوينسكي) في عام ١٩٩٨م – وفجأة، أُسقطت الحجج التي قدمتها (أنيتا هيل) حول التحرش الجنسي، على الرغم من أن اتهامات (جونز) – الموظفة السابقة في ولاية أركنساس – ضد (كلينتون)

كانت أخطر وأكثر جدية من التي قدمتها (هيل) ضد (كلارنس توماس). وعلى الرغم من أنني انتخبته مرتين، إلا إنني ذُهلت من استغلال الرئيس (كلينتون) لـ (مونيكا لوينسكي) الشابة، حيث كانت هناك سلسلة من اللقاءات القذرة والنظرات الماكرة في المكاتب الممولة من جهة دافعي الضرائب، والتي كان بها استغلال فادح للسلطة، تلك المواجهات التي يدعي النسويات أنه لا يمكن الإحاطة بكافة تفاصيلها. أسفرت حزبية النسويات العلنية وتحيزهن الواضح خلال أزمة استجواب (كلينتون) عن تشويه مصداقيتهن وتدمير القضايا النسوية الأساسية.

أحد الأشياء التي يجب أن ننتبه إليها هي : أن شابات اليوم هن مَن سيبني نسوية المستقبل. يجب أن تختفي الخلافات العقائدية والحروب الضارية بين الجيل القديم (بما فيهم أنا). إنني أرفض مصطلح "ما بعد النسوية Postfeminism"، الذي أصبح شعاراً رائجاً في وسائل الإعلام في التسعينيات وغالباً ما يرتبط بي، لا يوجد مثل هذا المسمى. النسوية مستمرة ولكنها تمر بدورات من الاضطراب والتراجع. في الوقت الحاضر، لا توجد قضية رائدة واحدة يمكنها جمع النسويات على رأي واحد. من المؤكد أن الحركة النسوية ملزمة بأن تحتج وأن ترفع – إذا أمكن – الانتهاكات الواقعة على النساء والأطفال في دول العالم الثالث.[١] لكن

---

[١] من أكثر الكذبات ترويجاً في الإعلام والنسوية هي أن المرأة والطفل (في الدول التي يسموها بدول العالم الثالث) هم أسوأ حالاً عنهم في الغرب، ويتخذون مقياسهم في ذلك الحكم : مدى الحريات الجنسية والإباحية والشذوذ الجنسي وتفعيل الجندر وكسر أي ولاية ذكورية من أب أو زوج ونحوه، وإلا لو كانوا يتحدثون عن أحوالهم الحقيقية من مساوىء جرائم الاعتداء والضرب والتحرش في كل مكان والاغتصاب والدعارة والبيدوفيليا (الاستمتاع جنسياً بالأطفال) والبيع مثل العبيد في سوق الرقيق الأبيض والإدمان وقتل الطفولة بتشويهات الجندر : فإن الغرب يمتليء بها !

النسوية قد تبدو مستهجنة تماماً في المجتمعات المحافظة أو الدينية، حيث لا تزال الأمومة والأسرة موضع تقدير، وصورة المرأة العاملة المستقلة غير مألوفة ولا تحظى بقبول كبير".[1]

يمكننا القول أن فكر (كاميل باليا) بعدما كان شاذاً متحرراً جندرياً بنسبة ١٠٠ %، فقد تراجع إلى قرابة ٧٠ % بعدما رأت بنفسها التطور الطبيعي لنتائج الأفكار التي كانت تتبناها، وعلى رأسها دعاوى النسويات المتطرفات من أواخر الموجة الثانية مع الموجة الثالثة الداعية إلى إنهاء دور الذكور أو الرجال في التاريخ ! وتحميلهم كل نكبات المرأة وأدوارها التي انحصرت في البيت لآلاف السنين، وأنه قد حان وقت تغيير كل ذلك بدعاوى المساواة التامة بل :

والتفوق الأنثوي أو النسوي !

تخلت (باليا) عن ذلك التفكير المتطرف عندما أدركت أنه مهما قالت النسويات ومهما فعلن : فإن طبيعة المرأة المخالفة للرجل تظل حاضرةً وتبقى جسدياً وعاطفياً في حياتها، وهنا صار الاعتراف هو الأقرب للواقع بالنسبة لـ (باليا)، وإليكم ما أدلت به في مناظرة مشتركة لها مع أخريات حول موضوع : (هل انتهى عصر الرجال) Are Men Obsolete ؟!

حيث كان في جانب القول بانتهاء عصر الرجال كل من (هنا روزن) و(مورين دود)، أما المعترضات فكانت (كاميل باليا) و(كيتلين موران)، وكانت الكلمة الافتتاحية أو الكلمة الأولى لـ (باليا) فقالت :

"إذا كان الرجال قد عفا عليهم الزمن وانتهى عصرهم، فسوف تنقرض النساء قريباً، إلا إذا سارعنا إلى السير في طريق التحول المشؤوم إلى

---

[1] من كلمة (النسوية الماضي والحاضر) – مصدر سابق.

(عالم جديد شجاع)[1] حيث ستستنسخ الإناث أنفسهن عن طريق التوالد مثل تنين الكومودو وقرش المطرقة وأفاعي الحفر.

كان الحقد والحنق والضغينة ضد الرجال من أكثر المظاهر الظالمة والغبية في الموجة النسوية الثانية والثالثة. لقد تم أخذ أخطاء الرجال وإخفاقاتهم ونقاط ضعفهم وضُخمت لسن قوانين الاتهام المجحفة. يقوم الأساتذة المتحيزون في جامعاتنا الرائدة بتلقين الطلاب الجامعيين نظرياتهم الفاسدة والخالية من الحقائق التي تزعم أن الجندر ليس إلا خيالاً ملفقاً لا أساس له في علم الأحياء.

أليس من المستغرب أن الكثير من الشابات اللاتي حققن إنجازات عالية ورغم كل الرضا عن نجاحهن الأكاديمي يجدن أنفسهن في المراحل الأولى من حياتهن المهنية في حالة من الخوف المزمن والقلق بشأن فرصهن في بناء حياة خاصة تشبعهن عاطفياً ؟ عندما تقوم ثقافة الجامعات والمدارس بتشويه الرجولة والذكورة بشكل ممنهج، فسوف تتسع الهوة وتتعقد الأمور بين النساء والرجال، لأن الرجال حينئذ لن يكون لديهم حافزاً للنضج أو الوفاء بالتزاماتهم. وبدون وجود رجال أقوياء كنماذج يُحتذى بهم، لن تشعر النساء أبدًا بمركزية وعمق تأثيرهن كنساء.

من ملاحظتي الطويلة - التي سبقت الثورة الجنسية - لا تزال هذه

---

[1] تشير (باليا) هنا إلى الرواية الخيالية (عالم جديد شجاع) Brave New World لـ (ألدوس هكسلي) Aldous Huxley عام ١٩٣٢م والتي تخيل فيها المستقبل المتطور بعد تسييس البشر في طبقات اجتماعية وتوطينهم على عالم المتعة والراحة والشهوات والمساواة التامة بين الرجال والنساء، وإنتاج الأطفال بدون حمل أو ولادة.

مشكلة خطيرة تصيب المجتمع الأنجلو أمريكي بسبب رواسبه البوريتانية. ونرى العكس في فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وأمريكا اللاتينية والبرازيل، حيث يبدو أن العديد من النساء العاملات الطموحات قد عثرن على معادلة لتأكيد ذاتهن ونفوذهن في مكان العمل مع استمرارهن في إظهار الجاذبية الجنسية وحتى الإثارة. هذا هو السحر الأنثوي الحقيقي، الذي لا يمكن تعلمه ولكنه ينبع من اعتراف غريزي بالاختلافات الجنسية. في هذه الأيام التي تهيمن فيها الدعاية العاطفية والسياسية الإقصائية على النقاشات حول الجندر، كان هروب الخيال الجنسي إلى عالم بديل من المواد الإباحية على الإنترنت متوقعاً، حيث تنطلق قوى الطبيعة البدائية الشهوانية والمبهجة دون قيود الأخلاق الدينية أو النسوية.

كانت مهمة النسوية دوماً هي مهاجمة وإلغاء الممارسات الاجتماعية المتحجرة التي أدت إلى تمييز واسع النطاق ضد المرأة واستبدالها بأخرى، لكن من المؤكد أنه كان ولا يزال من الممكن لأي حركة إصلاحية تقدمية أن تحقق ذلك دون الحاجة إلى القوالب النمطية الظالمة أو ازدراء الرجال وشيطنتهم. يجب أن يُنظر إلى التاريخ نظرة واضحة وعادلة : إن التقاليد التي أعاقت النساء لم تنشأ عن كراهية الرجال أو استعبادهم للمرأة، بل عن التقسيم الطبيعي للعمل الذي تطور على مدى آلاف السنين خلال الحقبة الزراعية، والتي كانت تستفيد منها النساء بشكل كبير كما أنها كانت حماية لهن، حيث كان يُسمح لها بالبقاء في المنزل لرعاية الرضع والأطفال الذين لا حول لهم ولا قوة.

خلال القرن الماضي، كانت الأجهزة التي قللت العمل اليدوي – التي اخترعها الرجال ونشرتها الرأسمالية – هي التي حررت النساء من

الكدح في الأعمال اليومية. ما يثير القلق حول الكثير من الكتب والمقالات التي كتبتها صحفيات نسويات في الولايات المتحدة – على الرغم من اليسارية المفترضة – هو ذلك الاستدعاء الضمني للقيم والثقافة البرجوازية. يُنظر إلى المهارات المتخصصة والكتابية والإدارية لدى نخبة الطبقة فوق المتوسطة باعتبارها منتهى الآمال، وهي أعلى نقطة على الإطلاق في تطور البشرية. نعم، كان هناك تحول تدريجي من الاقتصاد الصناعي إلى اقتصاد قطاع الخدمات حيث تثبت النساء جدارتهن، لاسيما أولئك اللاتي يفضلن بشكل عام بيئة عمل آمنة ونظيفة وهادئة.

تبدو فرحة (حنا روزين) [في كتابها "نهاية الرجال"] بإنجازات المرأة سابقة لأوانها جداً، كما تقول عندما تحدثت عن الثروات المتراجعة للأزواج من الطبقة العاملة اليوم بأننا جميعاً قد وصلنا "إلى نهاية مائة ألف عام من التاريخ البشري وعلى أعتاب بداية حقبة جديدة، ولن نعود مرة أخرى إلى الوراء"، إن هذا التصريح الجريء عن التاريخ يتجاهل بطريقة أو بأخرى دروس التاريخ القاسية حول حلقات تعاقب نهوض وسقوط الحضارات، فكلما أصبحت الحضارة أكثر تعقيداً وتماسكاً كلما اقتربت من النهاية والزوال، والأرض مليئة بأنقاض الإمبراطوريات التي اعتقدت أنها أبدية.

بعد الدمار الشامل للعالم الحالي – وهو أمر لا مفر منه – ستكون هناك حاجة ماسة للرجال مرة أخرى ! بالتأكيد، ستكون هناك ناجية أمازونية على قيد الحياة يمكنها أن تصطاد من الأدغال وتطعم مَن معها، لكن معظم النساء والأطفال يتوقعون من الرجال أن يجلبوا لهم الطعام والماء، وأن يدافعوا عن المنزل. في الواقع، لا غنى عن الرجال حتى في الوقت الحالي، وهو أمر غير مرئي بالنسبة لمعظم النسويات اللاتي عميت

أبصارهن عن البنية التحتية التي تجعل حياتهن العملية ممكنة. إن الغالبية العظمى من الرجال هم الذين يقومون بالأعمال القذرة والخطيرة المتمثلة في بناء الطرق، وصب الخرسانة، ووضع الطوب، وطلاء الأسقف بالقار، وتعليق الأسلاك الكهربائية، وحفر آبار الغاز الطبيعي، ومد خطوط الصرف الصحي، وقطع الأشجار وتشذيبها، وإزالة المناظر الطبيعية لعمل التوسعات السكنية. الرجال هم الذين قاموا برفع وتوصيل الأعمدة الفولاذية العملاقة التي تحيط بمبانينا العملاقة، وهم الذين قاموا بالأعمال الخطرة في وضع وضبط الألواح الزجاجية الصلبة على النوافذ التي تزين ناطحات السحاب بطول ٥٠ طابقاً.

كل يوم على طول نهر ديلاوير في فيلادلفيا، يمكن للمرء مشاهدة ناقلات النفط الضخمة وسفن الشحن العملاقة القادمة من جميع أنحاء العالم، يتم شحن وتفريغ هذه العمالقة من جهة الرجال. إن الاقتصاد الحديث، بشبكته الواسعة للإنتاج والتوزيع، هو ملحمة للذكور وجدت النساء فيها دوراً مهماً، لكن النساء لم يكتبن هذه الملحمة. بالتأكيد، المرأة الحديثة قوية بما يكفي الآن للاعتراف بالفضل لأهله".[١]

لقد اختلفت الموجة النسوية الثالثة عن الأولى والثانية في جمعها لأطياف (شاذة) من كل حدب وصوب تحت مسمى (النسويات).

فبعدما كانت المطالب النسوية في أكثر بلدان العالم تدور في فلك واحد

---

[١] كلمة (كاميل باليا) الافتتاحية من مناظرة (مونك) The Munk Debate – قاعة روي طومسون، تورنتو، ١٥ نوفمبر ٢٠١٣م، وقد نشرها موقع التايمز في ١٦ ديسمبر ٢٠١٣م، وكذلك شركة Anansi للصحافة والإعلان تحت عنوان (هل انتهى عصر الرجال ؟ مناظرة مونك حول الجندر) في ٢٠١٤م.

معلوم الهوية للمرأة السوية الطبيعية ومطالبها المشروعة :

صار الوضع في الموجة الثالثة أكثر تشتتاً وتفرقاً لانفتاح الباب على مصراعيه لكل مَن تمسحت في مطالب النسوية من الشاذات جنسياً، إلى المتحررات والعاهرات، إلى الداعيات إلى الجندر، وكذلك حاملات لواء المساواة التامة في العمل وغيره، إلى الرافضات لتلك المساواة التامة والمطالبات بالتمييز الذي يراعي طبيعة المرأة، إلى الرافعات لشعار حرية المرأة في الإجهاض وحريتها في جسدها (وقد رأينا منذ قليل اعتراف (باليا) بهذه الاختلافات وأنه لم يعد هناك من سبيل للجمع بينها)، كذلك مع ظهور الإنترنت وصعوده سريعاً مع بداية الألفية الثالثة وانتشار الأفكار وتفريعاتها : صار الأمر أصعب وأصعب.

هل الحاجة إلي الرجال في الأعمال الجسدية الشاقة فقط ؟

قرأنا منذ قليل تعديد (باليا) لأمثلة من الأعمال الجسدية الشاقة التي يقوم بها الرجال في الحياة ولكن : هل ذلك بالفعل هو الفارق الجوهري (الوحيد) الذي يشير إلى أهمية دور الرجل في حياة المرأة ؟! أقول :

لا شك أن للرجل في حياة المرأة واتزانها العاطفي والنفسي دور كبير، سواء كان والداً بحنانه واحتوائه وتشجيعه وحمايته وطمأنته لها، أو كان أخاً مساعداً عطوفاً، أو زوجاً وعاءً لعاطفتها ومحبتها وأنوثتها ومشاعرها وأمانها، أو ابناً بإعطائها امتداداً وسبباً في الحياة وعوناً لها إذا ما مضى العمر بها، أو حتى خالاً أو عماً، كل ذلك يمكننا الحديث عنه باستفاضة، لكني أرغب في لفت النظر إلى شيء هام جداً وهو :

دور الرجل في حياة (أبناء المرأة) ! نعم .. فالمرأة يمكنها بدافع الغرور أو

العناد أن تتحمل خسائر تخليها عن الرجل، لكن : هل تستطيع تحمل تلك الخسائر في حياة أولادها وبناتها ؟! عشرات الدراسات النفسية والعلمية أثبتت هذا الدور الكبير للأب في حياة أبنائه ذكوراً وإناثاً في مختلف مراحل العمر (ومن هنا ندرك جناية الشاذين جنسياً الذين اقتحموا مجال التبني فأجرموا في حق أطفالٍ ينشأون في كنف رجلين أو امرأتين في طفولة مشوهة) ! بل وحتى الأم لا تدري أن عاطفتها الكبيرة قد تضر بأبنائها، لأن الابن في كنفها وحدها مثلاً قد ينشأ مهزوز الجنس يقلدها كأنثى أو يميل جنسياً إلى الذكور كنوع من تعويض الأب ! وذلك أحد أسباب استفحال الشذوذ والجندر في الغرب بعد الحرية الجنسية وانتشار الطلاق والإنجاب بغير زواج، بل وقد لا تعرف المرأة حتى والد أبنائها ! فالتصاق الابن بأمه في غياب تام لنموذج الرجل من حياته (حتى لو الجد أو العم أو الخال لغياب الأسرة الممتدة) له عواقب للأسف، يكفي أن بعض مدارس البلدان الأوروبية التي تخطى فيها عدد الأبناء غير معروفي الأب الملايين : طلبت عدم توصيل الآباء أبنائهم للمدرسة حفاظاً على شعور الطلاب الذين لا يعرفون أباً لهم وهم الأكثرية ! ففي فرنسا ومن المقال التالي من موقع Lepoint.fr بعنوان : "**الولادات في فرنسا : خارج الزواج وأكثر اختلاطاً**".

Naissances en France : hors mariage et plus mixtes

نقرأ أن الولادات خارج إطار الزواج في فرنسا كانت تمثل نسبة ضئيلة قبل ٥٠ عاماً وهي ٦,٥ % فقط، أما في عام ٢٠١٩م فوصلت إلى ٥٩,٧ % !

والأرقام في أكثر الدول الأوروبية تتخطى ٥٠ % أو تقترب منها ! كل ذلك رغم أن عدد المواليد يقل في كل عام كما يذكرون في المقال (بل أقول : ورغم العدد الهائل أيضاً من عمليات الإجهاض المسجلة وغير المسجلة) ! فهل تخيلتم وضعاً أسوأ من ذلك في مجتمع تحصد نساؤه شوك النسوية والحريات الجنسية ؟!

الموجة النسوية الرابعة

البعض لا زال ينظر إلى الموجة الثالثة على أنها ممتدة إلى اليوم .. متحججاً في ذلك بأنها موجة لم تعد تتأثر بالاختلاف حتى بين النسويات أنفسهن وبلدانهن وهكذا.... أما البعض الآخر (من الجيل الحالي) فيرى ضرورة تمييز الحراك النسوي الحديث (المعتمد على وسائل التواصل الاجتماعي وقوتها) ليعلن عن وجود الموجة النسوية الرابعة منذ عام ٢٠١٢م. هذه الموجة التي تركز على مواجهة مختلف أوجه الاعتداءات على المرأة من تحرش أو اغتصاب أو مواقعة بغير رضا (لا تعني لا)، وكذلك رصد أي تمييز عنصري ضد المرأة سواء في العمل وغيره في مقابل الرجل، كل ذلك في ضوء استغلال وسائل التواصل لتوجيه الرأي العام. وهنا يأتي سر اختيار سنة ٢٠١٢م تحديداً، فقد كانت الاختبار الأكبر وقتها لقوة تأثير وسائل التواصل وضغطها الجماهيري في قضية من قضايا النسوية، وهي التعدي على واغتصاب (جيوتي سينغ) Jyoti Singh الشابة الهندية في حافلة بجنوب (دلهي) في ١٦ ديسمبر، ثم وفاتها في آخر الشهر متأثرة بإصاباتها، حيث انتشرت المظاهرات النسوية العارمة تصب غضبها على الشرطة متهمين إياها بالتفريط في حماية المواطنات، وقد وقعت صدامات عديدة أصيب فيها قرابة ١٠٠ شخص وتم قتل شرطي مع تصعيد عالمي للتفاعل مع القضية، إلى أن تم الحكم على ٤ من المعتدين بالإعدام، أما أصغرهم فحكم عليه بالسجن لعدة سنوات لعدم تجاوزه ١٨ عاماً وقت الجريمة.

وكنتُ قد ذكرتُ في أحد الهوامش سابقاً واحدة من أبرز قضايا التواصل الاجتماعي التي نجحت النسوية في تطويعها ونشرها عالمياً، ألا وهي قضية الاعتداءات الجنسية التي أثارتها العديد من الفتيات أو الشابات أو النساء على هاشتاج (وأنا أيضاً) Me Too# بمختلف وسائل التواصل (خاصة تويتر) منذ

أكتوبر عام ٢٠١٧م مع الإدانات العديدة لمنتج أفلام هوليوود الشهير (هارفي واينستين) Harvey Weinstein.

في أي موجة نحن اليوم ؟

الذي يتأمل حال عالمنا العربي والإسلامي الآن يجد الحركة النسوية تسعى في بلادنا إلى تقليد الموجة النسوية الثالثة في الغرب (الثورة الجنسية والإباحية).

وأنه لولا التمسك بالدين (والذي يتناقص للأسف) لكنا في ركابها الآن !

إذ لم يعد ينتشر في بلادنا (غالباً) نفس كمية الظلم التي وقعت بالفعل على عدد من النساء سابقاً (سواء في ميراث أو زواج أو طلاق أو تعليم)، لكن يتم استغلال وسائل التواصل والأفلام والمسلسلات والإعلام لمحاولة الترويج لحرية الفساد الجنسي، والتي لن تتأتى إلا بالطعن في ثوابت الدين – حتى تلك التي في صالح المرأة – حيث تريد المزيد منها بصورة تضاد العدل الإلهي وأدوار الحياة (مثل تعديل شرع الله في نسبة ميراث الابن والابنة)، كل ذلك ينشأ عنه مصادمات مجتمعية كثيرة لها علاقة بالدين والقانون : ثم يأتي في النهاية دور الدولة إما بالشد أو الإرخاء حسب الحاجة ! إذ غالب الحكومات اليوم في مثل تلك القضايا الشائكة والتي تعلم توجهات الضغط الدولي فيها : تحب أن يكون التغيير (إذا وقع) بطيئاً متدرجاً، لأن ما يحمله من حزمة تغييرات ستكون (صادمة) للأغلبية المتدينة أو التي لا زالت تقيم اعتباراً للأعراف والتقاليد.

هذا (البطء) و(التدرج) يمكن استشعارهما بمراقبة ما تبثه الأفلام والمسلسلات المدبلجة أو العربية من أفكار (خاصة في شهر رمضان للأسف استغلالاً لأعلى نسب مشاهدة في العام)، حيث يمكن بذلك قياس مدى (القرب) أو (البعد)

عن أفكار النموذج (المتحرر) الذي تسعى لفرضه المؤتمرات الدولية والوكالات العالمية بدعم من منظمات الأمم المتحدة، مع استغلال أسلحة الموجة النسوية الرابعة من تأثير وسائل التواصل وسهولة توجيهها الزائف بالمشاهير والتريندات !

ولعل أشهر مؤتمر في ذلك (والذي كان صدمة كبيرة وقتها في نقل التفسخ الغربي إلى العالم وفرضه على حكوماته باتفاقيات) هو مؤتمر المرأة الرابع في (بكين) ١٩٩٥م، والذي أثار عدة قضايا بشكل (رسمي) لأول مرة رغم توغلها بصورة خطيرة في الغرب مثل حق اختيار الجندر (النوع الاجتماعي)، وتشريعات المساواة التامة، وهدم الزواج السوي ! ذلك الزواج الذي يعد قوام الأسرة النواة، والذي ترى نسوية مثل (ليندا جوردون) Linda Gordon وجوب القضاء عليه والبحث عن طرق أخرى للتعايش معاً ! حيث تعتبر تفكيك الأسرة النواة هو (عملية ثورية موضوعية) ! وذلك في مقالها (وظائف الأسرة) عام ١٩٦٩م :

Functions of the Family, Linda Gordon, WOMEN: A Journal of Liberation, Fall 1969.

بل وترى النسوية (روبين مورجان) Robin Morgan أنه لن يمكن القضاء على عدم المساواة التامة بين الرجال والنساء إلا بالقضاء على الزواج نفسه ! وذلك في كتابها الذي جمعت مقالاته وحررته عام ١٩٧٠م (الأخواتية قوة) :

Sisterhood is Powerful, edited by Robin Morgan. (NewYork: Vintage books,1970) P. 536-37.

وهو نفس رأي (شيليا كرونان) Sheila Cronan التي ترى أن الزواج يمثل استعبادًا للمرأة، لذلك على الحركة النسوية أن تهاجمه، قالتها في (مؤتمر المنظمة الوطنية للنساء بمدينة هيوستن الأمريكية) عام ١٩٨٨م Houston National Organization for Women Conference.

الوجه الآخر لعمل المرأة والاختلاط !

تحدثنا منذ صفحات عن بعض جوانب عمل المرأة من جهة الإيجابيات والسلبيات والضوابط، وقلنا أننا سنتحدث بتوسع قليلاً في موضوع العمل لأهميته في حياة كل إنسان وكل أسرة.

لقد ذكرنا من قبل موضوع الضرورة الملجئة إلى العمل في حالات عدد من النساء وظروفهن، وكذلك ذكرنا إمكانية استثناء الكفاءات المميزة إذا تم العناية بهن وأسرهن لمساعدتهن على التوفيق بين العمل وحقوق الزوج والأبناء... ثم ختمنا الكلام بنهاية أشبه بنهاية القصص المفتوحة على جميع الاحتمالات .. وهي تخوف الكثير من النساء اليوم من تقلبات العمر والزواج وفقدانها العائل أو الزوج (سواء بموت أو طلاق أو إصابة مقعدة ونحوه)، مما يضطرهن إلى الاهتمام بخوض مجال العمل من باب (التأمين المستقبلي)، وقلنا إن ذلك حق مشروع لهن – إذا توفرت ضوابطه الشرعية مع تحمل المخاطرة بمشاكله - خاصةً مع التغيرات الاجتماعية والأسرية الكبيرة اليوم مع انحسار نموذج (الأسرة الممتدة) قوية الأواصر والعلاقات العائلية، في مقابل تفشي نموذج (الأسرة النووية أو النواة) بمشاكله مثل ضعف اتصالاته العائلية وعلاقاته في كل مكان تقريباً من حولنا.

لكن لماذا نتحدث عن عمل المرأة على أنه نظام (مكروه) أو (ثقيل) بالنسبة إليها ؟ وأنه (عبء مزدوج) عليها بجانب عبء البيت ؟ لماذا لا نساير التوجه السائد في الإعلام الذي يعرض العمل بالنسبة للمرأة وكأنه شيء عادي وطبيعي ويوافق طبيعتها تماماً مثلما هو بالنسبة إلى الرجل ؟

الحقيقة الإجابة هنا تتطلب منا العودة إلى (طبيعة) المرأة و (طبيعة) الرجل...

فالرجل مفطور جسدياً ونفسياً وذهنياً وعاطفياً لتحمل أعباء العمل والمشقة خارج البيت : لتوفير لقمة العيش والاستقرار لأسرته، الرجل مفطور على تحمل مختلف الضغوطات ومسايرة ذلك وتحمله، فهو كتوم بطبعه، لا يحتاج إلى الحديث والشكوى لكي يشعر بالراحة، بل تكفيه الراحة والسكون في البيت، بعكس فطرة المرأة التي تجد راحتها في الحديث وضرورة إخراج ما بداخلها !

ومن هنا نفهم كيف أن العمل كلما ازدادت صعوبته وضغوطاته ومسافة سفره : كلما كان أشق على نفسية المرأة وعاطفتها وقدرتها على التحمل (وأحياناً تأتي الصعوبات من داخل بيتها من زوجها أو رفيقها سواء من غيرته عليها أو من حساسية علو راتبها عنه أو معاناته مع تقصيرها نحوه إلخ)... لذلك كلما كان العمل أطول في ساعاته، أو أكثر جفافاً في علاقاته، أو في التواجد البشري من حولها (أي المرأة) : كلما كان ذلك أشبه بالسجن لها، فهي مفطورة على قضاء أوقات راحة للحديث، وبث الهموم، وقص الخبرات على صديقاتها أو معارفها أو عائلتها أو حتى على زوجها وأبنائها، فكلما ضاقت هذه الأوقات التي يتم فيها (تفريغ) هذا الشحن العاطفي الداخلي للمرأة : كلما كانت أكثر عرضة للانهيار النفسي أو الانفجار في أي وقت !

مكتبة
t.me/t_pdf

لماذا يمثل البيت عبئا على المرأة ؟

اعتاد المختصون النفسيون عند تحليل سلوكيات الرجل والمرأة خاصة الزوج والزوجة : أن يعودوا بأصل تصرفاتهما إلى الأفكار السائدة عن الإنسان البدائي، تلك الحياة البسيطة التي ينطلق فيها الزوج بحثاً عن الغذاء والصيد، في حين تبقى المرأة في مسكنها تهتم به وبالأبناء وتقوم بإعداد الطعام الذي يأتي به الرجل،

هكذا بكل بساطة، فتجدهم مثلاً عند تفسير لماذا يحتاج الزوج عند عودته من العمل في عصرنا الحالي إلى الاختلاء بنفسه في فترة سكون (لا يفعل فيها شيئاً أو مجهوداً) فيشاهد التلفاز مثلاً وينزعج أيما انزعاج إذا أفسدت عليه زوجته ذلك الوقت : يشبهون ذلك بعودة الإنسان البدائي من يوم العمل أو الصيد الشاق وحاجته إلى الراحة والسكون ولو على سطح صخرة مع نفسه، لتفريغ كل الشد العصبي والعضلي الذي صاحبه طيلة اليوم... والآن : ماذا عن المرأة ؟

الحقيقة إن عمل المرأة في بيتها مرهق لها أيضاً، فهي القائمة على نظافة المسكن وترتيبه، والعناية بالأطفال تربيةً وتعليماً، وطعاماً وشراباً واغتسالاً، وكذلك الاهتمام بالملابس، وإعداد الطعام وتخزينه، ثم استقبال الزوج، والتخفيف عنه، وإعطائه جرعة الإشباع العاطفي والجنسي التي يحتاجها لمواصلة قيامه بالأعباء، والسعي على الرزق، وهكذا....

وكل جزئية من هذه الجزئيات لها أهمية قصوى في بناء الأسرة واستمرارها ونجاحها، سواء الجزئيات المادية، أو المعنوية، أو الجنسية، أو التربوية، وانشغال الزوجة عن أي منها يهدد إما بفشل الزواج (مثل ترك الزوج لها سواء بالطلاق أو الارتباط بأخرى يجد لديها ما لم يجده عند زوجته)، أو فشل الأبناء (مثل التشوه والنقص في اكتسابهم لمعلومات ومهارات الحياة وإعداد كل منهم لدوره فيها ذكوراً وإناثاً).

كل ذلك يتطلب منها يقظة ومهارة ومتابعة، والقيام بأكثر من عمل بنفس التركيز في وقت واحد (وهي قدرة فطرية في المرأة ليست عند الرجل) فهي تستطيع عمل شيئين مختلفين في نفس الوقت دون أن تضطرب، وهذا المجهود الهائل منها (خاصة قبل أن تلد أبناءً يساعدونها) يمثل دورها في الحياة الذي يناسبها، تماماً كما تدرك أن دور الرجل يناسبه، وهي تفرح بكلمات الثناء من

زوجها وأبنائها على طعامها أو مجهودها، وتفرح بسماع كلمة الحب التي تُشعرها بأنها مرغوبة وملكة متوجة في قلب زوجها قبل بيته.

كذلك تتولى تنشئة أولادها الذكور على حب الشجاعة والإقدام والمسؤولية منذ الصغر، وتصنع لهم قدوةً من أبيهم أو جدهم أو خالهم أو عمهم حتى يشبوا على أخلاق الرجولة، وكذلك تنشيء بناتها الإناث على إتقان مختلف أعمال المنزل ومساعدتها فيها، وتعطيهن من خبراتها كزوجة لكسب قلوب أزواجهن في المستقبل، وفي المقابل : يُعلّم الزوج أولاده الذكور أنهم (كرجال) يختلفون عن النساء، يُعلمهم أنهن أرق وألطف وأكثر عاطفة وأكثر حاجة للكلام ولمن يستمع إليهن، يُعلّمهم عدم تحميل الزوجة فوق طاقتها، والتجاوز عن هفواتها أو نسيانها، وألا يعاملها معاملة الند كالرجل فيقصمها أو يقسو عليها، ويدرك حاجتها إلى أوقاتٍ للترويح عن النفس، سواء مع صديقاتها أو جاراتها ونحوه.

كيف حملت المرأة أعباءً جديدة ؟

تجيبنا (كاميل باليا) باعترافٍ حاولت أن لا تكشفه كاملاً فتقول :

"يجب أن تُنهي النسويات حربهن الجنسية التي تعيق نضج كلٍ من الفتيات والفتيان. إن النساء العاملات من الطبقة الوسطى في الأمريكتين وأوروبا يُحمِّلن الرجال مسؤوولية تعاستهن، في حين إن السبب الحقيقي هو النظامية. أثناء التحول من العصر الزراعي إلى العصر الصناعي والتكنولوجي الحاضر، فقدت النساء الرفقة والتضامن اللذين تمتعن بهما فيما مضى مع النساء الأخريات عندما حكمن مجالهن الخاص، أما في العالم الجديد حيث يتقاسم الرجال والنساء نفس الطموحات ومكان العمل، ربما يجب أن نتوقع

التصادم أو عدم التوافق المتبادل بين الجنسين، لكن الشيء الذي لا جدال فيه هو أن النساء لا ينتصرن بالحط من الرجال أو ازدراء إنجازاتهم. لا يمكن بناء النسوية المستنيرة – التي يحركها دستور شجاع لتحمل المسؤولية الشخصية – إلا على تحالف يقظ بين نساء قويات ورجال أقوياء".[١]

وكعادة (باليا).... تذكر المشكلة : ثم تقدم الحل في صورة مشكلة أخرى ! فهي تضع يدها هنا على مكمن تعاسة المرأة العاملة مع ازدياد الضغوطات الحياتية و(النظامية) عليها : وحاجتها النفسية إلى مَن يحتويها عاطفياً (أو الرفقة والتضامن على حد وصفها)، ثم يكون العلاج هو (استمرار) غمسها في سوق العمل أكثر وأكثر بدعوى أن الأوضاع ستتحسن أو الرجال سيتعاونون معهن ! متناسية أن المشكلة هنا (طبيعة) في المرأة لا تتغير ! ودعونا نأخذ نظرة أقرب....

سأنقل لكم مقالاً كنا ترجمناه في كتاب (المرأة بين الداروينية والإلحاد) – المقال الرابع والأخير – عام ٢٠١٦م، وكان من الجارديان بعنوان :

"لماذا لم تزد مكاسب حقوق المرأة سعادة النساء" ؟

Gains in women’s rights haven't made women happier. Why is that ?

" **كتبت (آنا بيثريك) Anna Petherick** :

تشير التقارير إلى انخفاض شعور النساء بالرضا عن حياتهنّ في الولايات المتحدة وأوروبا منذ السبعينيّات.

النساء أطول عمراً من الرجال في كل دول العالم، على الرغم من أنهنّ

---

(١) من مقدمة كتاب (حرائر وأحرار) – مصدر سابق.

يواجهن مستويات فقرٍ أكثر من الرجال، واحتمالات أكبر من التعرض للعنف الجنسي، وغيرها من الصور المختلفة من التمييز.

وفي حين أن النساء يعشن أطول من الرجال، فمن غير الواضح ما إذا كانت سعادتهنّ تسير بخطوات مماثلة. إذ يتوقع المرء أن النساء سيشعرن برضاً أكبر مقارنةً بالرجال بما أنهنّ قد حققن حريات سياسية واقتصادية واجتماعية؛ ولكن الأمر ليس كذلك.

أشار الاقتصاديان (بيتسي ستيفينسون) و(جاستن ولفرز) – اللذان يتصادف أنهما يسكنان معاً مع أطفالهما – إلى «مفارقة تناقص سعادة المرأة». حيث قاما بتحليل ميول السعادة لمواطني الولايات المتحدة بين عامي ١٩٧٠ و٢٠٠٥م فوجدا نتيجة مفاجئة.

اكتشفا أن النساء الأمريكيات في السبعينيّات قدّرن رضاهن عن حياتهنّ أكثر من الرجال عموماً. ومن ذلك الوقت شهدت سعادة النساء انخفاضاً، بينما ظلّت سعادة الرجال مستقرة تقريباً.

وبحلول التسعينيّات، كانت النساء أقل سعادة من الرجال. هذه التعاسة النسبية قلّت بعد مطلع القرن، ولكن مازال الرجال يتمتعون بشعور أعلى بالسعادة يساوي على الأقل – إن لم يكن يفوق – ما تشعر به النساء.

شهدت الخمس وثلاثون سنة تلك تقدماً في مجال حقوق المرأة الأمريكية وقوتها المالية.

فمثلاً حظر الكونجرس في عام ١٩٧٤م التمييز القائم على أساس الجنس في مجال الائتمان البنكي، وفي عام ١٩٧٥م مُنعت الولايات من استبعاد النساء من هيئات المحلفين. وحتى عام ١٩٧٦م، كان الاغتصاب

الزوجي شرعياً في كل الولايات المتحدة.[1] وخلال فترة الخمس وثلاثين سنة، انتقلت مرتبات النساء العاملات في الوظائف ذات الدوام الكامل من كسب أقل من ٦٠ % من متوسط مرتبات الرجال إلى كسب حوالي ٧٦ % منه، صحيح أن هذا الفرق ما زال مصدر إحراج لدولة تطمح أن تكون قائمة على التفضيل على أساس العمل والاجتهاد، ولكنه مع ذلك يُعتبر تحسّناً.

لقد حدثت بالتأكيد في هذه الفترة المدروسة أمور ربما جعلت النساء الأمريكيات أقل سعادة. مثلاً الارتفاع الهائل في معدلات سجن شركائهم الفعليين والمحتملين (لم يترك هذا الارتفاع آثاراً في بيانات سعادة الرجل؛ حيث لم تشمل الدراسات المتعلقة بالرضا عن الحياة السجناء).

حيث شهدت العشرون عاماً ما بين ١٩٨٠ و ٢٠٠٠م زيادة قدرها خمسة أضعاف في أعداد السجناء الأمريكين من السود ذوي الأصول الأفريقية، فأصبح الرجال السود خلف القضبان في الولايات المتحدة أكثر

---

(١) لا يوجد في الإسلام مفهوم الاغتصاب الزوجي، لأن استمتاع كل من الزوجين جنسياً بالآخر هو حق ثابت بعقد الزواج، تماماً مثل أي عقد له حقوق معينة، وكما لا يجوز لأحد طرفي العقد تضييع حق الآخر : فكذلك في الزواج لا تضيّع الزوجة حق زوجها في الاستمتاع بها إلا بعذر مقبول، وذلك لما يترتب على فوات هذا الحق الأصيل للزوج من معاناة أو انشغال بال عن حياته وأعماله وربما وقوعه في الحرام، لذلك تعمد بعض النسويات المروجات لمصطلح الاغتصاب الزوجي في بلادنا كسب التعاطف بـ (انتقاء) حالات الزوج المدمن أو السكير الذي يضرب زوجته ليواقعها جنسياً والسؤال : هل صار هذا هو المقياس ؟ أم هو الستار الذي ستمر من خلفه حالات رفض الزوجة لأن (مزاجها) لا يواتيها ؟ فهذا كله مرفوض دينياً، لأن التي ترفض حق زوجها لكراهية أو غيره فعليها أن تسير في ذلك الرفض بنفس طرق الشرع الذي تزوجت به، أي أن تطلب صلحاً أو خلعاً أو طلاقاً !

من السود الملتحقين بالكليات والجامعات. ومثل هذه الإحصائيات توحي بحدوث تغيرات كبيرة في سوق الزواج.

وعلى الرغم من أن الزيادة في معدلات السَّجن أثرت على الأمريكيين السود بشكل أكبر من غيرهم، إلا أنه عند أخذ جميع الأمريكيين في الحسبان، تجد أن الارتفاع في معدلات سَجن الذكور بين عامي ١٩٧٠ و٢٠٠٠م مسؤولٌ عن انخفاض معدلات الزواج في الولايات المتحدة بنسبة ١٣ %. حيث دفعت الأعداد المتناقصة من الرجال المتاحين غير المسجونين كثيراً من النساء إلى قبول طلبات زواج من رجال ما كنّ ليقبلنهم، ويبدو واضحاً أن هذا التباين في العرض والطلب سبب كافٍ في جعل الميزة الاقتصادية للزواج في صف الرجال دون النساء.

ولكن سجن المزيد من الرجال لا يفسر كلياً انخفاض سعادة المرأة الأمريكية؛ فالنساء في الدول الصناعية الأخرى - وهي دول لا تسجن كثيراً من رجالها مثل أمريكا - أصبحن أقل سعادة أيضاً في العقود الأخيرة. حيث وجدت (ستيفينسون وولفرز) أن الفجوة بين سعادتي الذكر والأنثى في أوروبا أخذت منحىً مشابهاً لفجوة السعادة بين الجنسين في الولايات المتحدة خلال نفس الفترة تقريباً. لماذا إذن ؟...

تشير الأدلة إلى الفكرة القائلة بأن حقوق المرأة وأدوارها في المنزل في الولايات المتحدة وأوروبا لم تواكب التغيرات في مكان العمل. ولذلك؛ فإن النساء اللاتي يعملن في وظائف ويقُمن غالباً بأعمال المنزل ورعاية الأطفال يحملن على عاتقهن عبئاً مزدوجاً يقتطع من النوم ووقت الترفيه. ويُعتقد أن الذهاب يومياً إلى العمل في رحلات طويلة جعل النساء البريطانيات أكثر

تعاسةً من الرجال البريطانيين؛ بسبب الضغط الأكبر على النساء للقيام بمسؤولياتهنّ في المنزل بالإضافة إلى العمل.

عندما يقاس العبء المزدوج بدقة - كما في الدول الأوروبية -توضح النتائج تأثير التوقعات على شعورنا بالسعادة. فالعبء المزدوج الذي واجهته النساء في السويد دفعهنّ إلى الشعور بتعاسة أكبر من نظيراتهنّ في اليونان؛ وذلك في الغالب لأن توقعات النساء السويديات بخصوص المساواة بين الجنسين أكثر طموحاً. (أقل من ٣٥ % من النساء السويديات يقمن بثلاثة أرباع أعمال المنزل، مقارنة بـ٨١ % من النساء اليونانيات).

وتوقعات النساء أيضاً سبب النتيجة الغريبة التي وجدت أن أداء الأعمال المنزلية يجعل الرجال إحصائياً أقل عرضة للإصابة بالاكتئاب ولكنه يساهم في إصابة النساء بالاكتئاب. يبدو أن القيام بالأعمال المنزلية يشجع الرجال على أن يروا أنفسهم محبوبين عموماً ومنصفين، وأنهم يخففون بعطف العبء عن كاهل زوجاتهم.[1] في حين يبدو أن القيام بالأعمال المنزلية يجعل النساء يشعرن بالإنهاك.

إن تاريخ سويسرا الاجتماعي حيث لم يكن يُسمح للنساء بالتصويت حتى عام ١٩٧١م يكشف خفايا التوقعات الخاصة بالتوظيف على السعادة. فبعد عشر سنوات من حصول النساء في سويسرا على حق الاقتراع، صوّت مواطنو الدولة في استفتاء عما إذا كان يجب تعديل الدستور ليقرر أن النساء تستحق أجراً مساوياً مقابل عمل مساوٍ.

---

(١) روى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ كان في بيته في مهنة أهله أي مساعدتهم.

صوتت المناطق المختلفة في سويسرا بشكل مختلف تماماً. ليس من المستغرب أن التقارير أشارت إلى أن فرق الأجور بين الجنسين ضئيلٌ في الولايات السويسرية التي كانت بها نسبة عالية من الأصوات في صالح التعديل الدستوري. ولكن الغريب أن النساء العاملات في المناطق ذات العادات والتقاليد الثابتة – حيث صوّت أغلب الناس ضد مبدأ تكافؤ الأجر – كنّ أكثر سعادة من النساء العاملات في الولايات الليبرالية.

كان احتمال أن تقوم النساء في المجتمعات التقليدية بالتبليغ عن وجود تمييز في المعاملة : أقل مقارنةً بمواطناتهنّ في المناطق الأكثر تحرراً، وذلك رغم أن رواتبهنّ كانت أقل من رواتب الرجال.

ربما نشأت هذه النتيجة المقلوبة من مقارنات معرفية مختلفة.

فالنساء في المجتمعات المتحررة أقل سعادة ويلاحظن وجود تمييز لأنهن يقارنّ تلقائياً فرصهنّ ورواتبهنّ بكل مَن حولهم بمَن فيهم الرجال. أما النساء التقليديات فلعلهنّ يبنين هويتهنّ أكثر على الأدوار التي تمليها عليهن أنوثتهن، ويقارنّ أنفسهنّ بغيرهنّ من النساء فقط عندما يقيمن امتيازهنّ وفرصهنّ.

ربما يفسر هذا النوع من الاختلاف انخفاض سعادة المرأة الأمريكية. فبازدياد حقوق المرأة الأمريكية وفرصها يبدو منطقياً أن أصبحت توقعات النساء في الدول الصناعية أكثر تعقيداً وتفاؤلاً، وأنهن يقيمن الواقع بناءً على هذه التوقعات. فلو سُئلت ربة منزل في أوائل السبعينيّات عن مدى رضاها عن حياتها لربما فكرت فقط ما إذا كانت الأمور تسير على ما يرام في منزلها. أما نفس السؤال اليوم فيثير تقييمات لمجالات كثيرة في الحياة.

قد يبدو أن تناقص سعادة النساء أمر محزن. ولكن مَن قال أن اتساع الوعي يجلب السعادة والرضا" ؟

لو قارنا هذا الكلام بكلام (كاميل باليا) واعترافها بوجود مشكلة بالفعل تواجه المرأة نفسياً وعاطفياً (لكنها ترى بماديتها ونسويتها المتحررة أنها مشكلة يمكن للمرأة التغلب عليها : ضاربة عرض الحائط بكونها مشكلة فطرية وطبيعية في المرأة)، لقلنا إن (مجال عمل المرأة) بالفعل هو مجال شائك يجب أن تفكر المرأة كثيراً قبل الخوض فيه، خاصة عندما يكون عملها من النوع المرهق جسدياً أو ذي السفر البعيد أو ذي الضغوطات العالية ذهنياً وعصبياً ونفسياً، لأنها في الأصل ليست معدة لذلك كله بعكس الرجل، وكذلك لأنه سيزيد العبء عليها إذا كانت متزوجة (لحقوق الزوج والأبناء) مما يقصر العمل على حد (الاضطرار) أو (الحاجة) كما قلنا من قبل : أو بعض الاستثناءات الخاصة للكفاءات.

فهل راعت ذلك النسويات المتحررات (مثل باليا) ؟ أم يواصلن (الضغط) على الشابات والنساء أكثر فأكثر بدعوى أنهن (يستطعن) You Can وأنهن لسن أقل من الرجال بل : ولا يجب معاملتهن معاملة مختلفة ؟! النقل التالي يوضح لنا رؤية (باليا) أكثر وأكثر حيث تقول :

"وما أراه هو أن النساء يجب أن يدخلن ساحة السلطة دون أن يطالبن بحماية خاصة لا تمنح للرجال، ومن هنا عارضتُ بشدة الحصص التفضيلية [التي تمنح للبعض دون الآخرين]، وأدعو إلى وضع مبادئ توجيهية معتدلة بشأن التحرش الجنسي لا تنتهك حقوق الآخرين في مكان العمل ولا تضع معايير مزدوجة ترى المرأة على أنها أضعف أو أرق أو أنقى بطريقة أو بأخرى من الرجال. أعتقد أن البند الثاني في شروط "بيئة العمل العدائية" الذي يحدد معايير المضايقة الجنسية يحول دون تقدم المرأة ويضمن أن يعاملها الرجال

بشك وريبة وليس بجماعية وانسيابية، إن أي مكان عمل قد يكون عدائياً بالنسبة لكل من النساء والرجال؛ فالمواجهة والتحدي والمضايقات هي احتمالات قائمة في أي مكان. يجب أن تتعلم النساء كيفية المناورة والتفاوض من أجل حقوقهن الخاصة من لحظة وصولهن إلى أي مكتب أو مدرسة".[١]

إن الرؤية التي تروج لها (باليا) وأمثالها من النسويات المتحررات هي (إزالة) الفوارق بين (طبيعة) المرأة والرجل : حتى تضمن المرأة الحصول على نفس المزايا في سوق العمل كالرجال !

تلك الفوارق التي تتعدد ما بين جسدية ونفسية وعاطفية بل والقابلية للتحرش الجنسي كذلك ! إلى الدرجة التي تطالب فيها بعدم تمييز المرأة في توصيف التحرش الجنسي بها في العمل حتى لا يعيق ذلك تواجد النساء !

تقول للمرأة : "**يجب أن تتعلمي المناورة والتفاوض**" ! والسؤال : ماذا لو لم تستطع ؟ ماذا لو كانت في ضائقة مالية كبيرة بالفعل وراودها صاحب العمل عن شرفها إذا أرادت القبول في العمل، أو أرادت الاستمرار فيه أو الترقي ؟!

لماذا تفترض (باليا) دوماً أن (كل النساء) يمكنهن (المناورة والتفاوض) خصوصاً مع ضعف الوازع الديني والأخلاقي المتزايد والحاجة للمال بالفعل ؟

ماذا عن الاستثارة الطبيعية التي تنشأ بين الرجال والنساء إذا كانوا في مكان واحد ؟ ماذا عن التبسط في الكلام الذي يقع تلقائياً (كطبيعة للعمل الجماعي) إلى أن يصل مع بعض المتساهلين للأسف إلى درجة الإسفاف وإلقاء النكات

---

(١) من محاضرة (معركة الجنسين الحديثة) — مصدر سابق.

البذيئة أو الخادشة للحياء ؟! هل على المرأة التعاطي مع كل ذلك حتى تصير (مثل الرجل) وتضمن بقاءها وقبولها في تلك الأجواء المشتركة للعمل ؟

والإجابة لدى (باليا) : نعم... هكذا بكل بساطة... تقول :

"حطمت الثورة الجنسية لجيلي في الستينيات الأعراف القديمة التي كانت ترى أن السيدات المحترمات يجب أن يَصُنَّ أنفسهن عن استخدام الكلمات البذيئة والفاحشة، وكانت إحدى مطالبنا هي وضع حد للمعايير المزدوجة التي تميز بين الرجال والنساء. لكن ما يزعجني في "عدائية" سياسة التعامل مع التحرش الجنسي هو أنها تعود بالنساء إلى تلك الكائنات الوردية الحساسة التي يجب حمايتها من اعتداءات الذكور المتوحشين، ألا يُعَد طلب معاملة خاصة للنساء مناهضةً للنسوية ؟ بالتأكيد هو كذلك.

لا تزال أمريكا مثقلة بماضيها البيوريتاني، الذي يثور مراراً وتكراراً في السيناريوهات العامة لمحاكم التفتيش الجنسية، كما هو الحال في رواية (الحرف القرمزي) التي كتبها (ناثانيال هاوثورن).[1] إذا كانت (أنيتا هيل) قد وقعت في براثن مزاح جنسي، فهذه مشكلتها. فإنه إذا كانت في

---

[1] تقصد (باليا) هنا التزمت في البحث عن التفاصيل الجنسية، حيث تقع أحداث رواية (الحرف القرمزي) The Scarlet Letter في القرن ١٧ في مدينة بوسطن المتزمتة، حيث تزني الزوجة الشابة (هستر براين) وتنجب طفلة في غياب زوجها الذي يظن البعض موته في البحر قبل عودته، وعلى هذا سعى أهل البلدة في عقابها مع رفضها الإعلان عن اسم والد الطفلة، ومن هنا يرمز عنوان الرواية إلى حرف A القرمزي المعلق في رقبتها رمزاً للزنا والخطيئة، تحتوي الرواية على إسقاطات عديدة من المؤلف مثل مفهوم الخطيئة والذنب والقانون والإنسان. وهي من أشهر أعمال المؤلف الأمريكي (ناثانيال هاوثورن) Nathaniel Hawthorne.

السادسة والعشرين من عمرها، وخريجة كلية الحقوق بجامعة ييل، ولم تستطع أن تجد طريقة مقنعة للتعبير عن استيائها وإيقاف المتحدث عند حده فهذا تقصير منها. لا يمكننا الاعتماد على قواعد ولوائح صارمة لتنظيم كل شيء في حياتنا، هناك خط ضبابي يفصل بين شخصيتنا في العمل وشخصيتنا خارجه. نحن كائنات جنسية، وكما أوضح (فرويد)، فإن الإثارة الجنسية تنتشر في كل جانب من جوانب وعينا.

تعاملت (هيل) بشكل جامد مع محتوى المحادثات دون أي إشارة إلى سياق الحديث أو لهجته، فلم يسأل أعضاء مجلس الشيوخ أياً منهما عن المزاح والابتسامات وتعابير الوجه التي كانت تملأ جو الحديث. إن كل لقاء اجتماعي هو لعبة يشترك فيها طرفان، أظن أن سلوك (هيل) كان يعبر عن طواعية ورضا، وقد كانت مستقبِلة "سلبية" على حد تعبيرها، وانطلاقاً من سلوكها الودي تجاه (توماس)، اختارت (هيل) وضع اهتماماتها المهنية فوق مبدأ النسوية، لقد سارت مع التيار كي لا تكون منبوذة وتُشْعِر من أمامها بالأمان، ومن ثم فإنه من النفاق أن تأتي بعد عشر سنوات وتستحضر مبدأ النسوية في حين لم تكن لديها الشجاعة للثبات عليه من قبل. إن قيام النسويات بجعل (هيل) بطلة هو إهانة لجميع النساء الأخريات اللاتي أخذن موقفاً أكثر جرأة وأكثر صدامية وخسرن في مقابل ذلك الميزات والترقيات المهنية".(١)

ولذلك (أي لتكتسب المرأة مهارات الصدام) تمتدح (باليا) عنف كرة القدم الأمريكية ! وتطالب النساء بلعبها والخوض فيها وتشجيعها والتفاعل معها،

---

(١) من مقال (القضية الغريبة لكلارنس توماس وأنيتا هيل) – مصدر سابق.

لأنها تريد منهن أن يالفن القسوة والصدامات ويتعلمن منها صعوبة ووعورة التعامل في الحياة ! متناسية أن ذلك من طبيعة الرجل وليس المرأة.

وبما أن الأطفال أبعد عن الكذب والتصنع، فيمكننا مراقبة نشاط مجموعة أولاد يلعبون في أي مرحلة من الطفولة أو المراهقة وسنجد أن الخشونة والحركات العنيفة تجري في دمائهم بتلقائية دون أن يجبرهم عليها أو يدعوهم إليها أحد .. بعكس البنات مثلاً واللاتي لا يفعلن ذلك إلا بتوجيه أو دافع مخصوص !

فالأنثى تميل بفطرتها إلى نشاطات أخرى تماماً، ولو مارست الرياضة فإنها تمارسها لمردودها على النفس والجسم، لن تجد امرأة من طبيعتها عنف المنافسة مثل الرجال، الرجل من طبيعته وضع الأهداف لتحقيقها ومنها المنافسات مهما اشتدت، هو مجهز لكل ذلك ومستعد دوماً له.

لكن دعونا نقرأ كلام (باليا) في ذلك مع كرة القدم الأمريكية إذ تقول :

"في السنوات الأخيرة، كانت هناك هجمات متصاعدة من الليبراليين المتعصبين ونسويات اللياقة السياسية ضد كرة القدم الأمريكية بسبب غرسها للعنف وكراهية النساء، وزعموا أنها تعمل على خلق بيئة الاغتصاب وتدفع إلى العنف المنزلي. كما تم استهداف كرة القدم الأمريكية من جهة الجماعات التي لها مصالح خاصة داخل الحرم الجامعي والتي تعارض احتفاظها بنصيب الأسد من ميزانية الدعم الرياضي، مما يضر بالرياضات النسائية (التي لا تجذب أي منها معشار ما تجذبه كرة القدم الأمريكية من الجمهور).

بدلاً من ذلك أود القول بأن كرة القدم الأمريكية لا تتوافق مع النسوية المستنيرة فقط، بل إنها واحدة من أفضل الأدوات التعليمية التي تبين للنساء كيفية إحراز التصرف قبل وقوع الكارثة في "بيئة العمل العدائية" التي تحاول

لوائح المضايقات الجنسية الحالية السيطرة عليها من خلال تدخلات تطفلية وأخرى لا تتحرك إلا بعد وقوع الكارثة.

كرة القدم الأمريكية هي موسوعة حية للاستراتيجية العسكرية، والأنماط المعقدة للكر والفر في فن الحرب، وقد نُظمت لأول مرة في العصر اليوناني الروماني. ينبغي أن تأخذ الشابات الطموحات اللاتي يأملن في النهوض بالسياسة أو في بدء الأعمال التجارية دوراتٍ في التاريخ العسكري بدلاً من دراسات المرأة التي تنمي فيهن ردود الفعل الطفولية المتمثلة في الشفقة على النفس والامتعاض من الرجال.

تقدم كرة القدم الأمريكية، التي أعتبرها بمثابة جوهر وديانة مناداتي بالنسوية الأمازونية، الكثير من الإلهام والخبرات المفيدة في الحياة اليومية. من الناحية المثالية، يجب أن تكون جميع الفرق الرياضية متكافئة جنسياً وأن تكون قائمة على الجدارة والاستحقاق من المدرسة الابتدائية وحتى الجامعة، على الرغم من قلة الفتيات اللاتي سيواصلن ممارسة كرة القدم إلى ما بعد المستوى الجامعي.

إن كرة القدم كرياضة مفتوحة لجميع المشاهدين – مع كونها تجسد نمط الفن الأمريكي – تتفوق على الشطرنج في مزجها بين المشاهد العنيفة والحنكة العقلية والبصيرة الثاقبة. على الرغم من استخدام القباب المغلقة والأرضيات الاصطناعية (المغطاة بالمطاط المضاد للإصابات) في العديد من الملاعب وبعض الجامعات، إلا إن معظم مباريات كرة القدم الأمريكية ما زالت تلعب على العشب في الهواء الطلق، وتتحكم فيها عناصر لا يمكن التنبؤ بها. على عكس لعبة البيسبول – بأوهامها العاطفية الساذجة – فإن كرة القدم الأمريكية لا تتوقف مع أول قطرة مطر. مثل الجيش في الحرب،

تستمر اللعبة أثناء هطول الأمطار والعواصف الثلجية، فلديها نظرة شجاعة وصادقة للطبيعة الوحشية التي لا ترحم.

إن تقديم صورة للعالم الحقيقي هو أحد الرسائل الرئيسية المضمنة في كرة القدم. إن الكتل العضلية الضخمة والتصادمات الوحشية والرميات المرتفعة التي تمثل جوهر كرة القدم تعد بمثابة دورة تدريبية مكثفة في الفيزياء الأساسية. فكل لعبة هي مغامرة تنطوي على مخاطر جسيمة، وأي ضربة أو تكدس للاعبين يمكن أن يُحدث إصابة دائمة، وبالتأكيد فإن سفك الدماء من ثوابت اللعبة.

إن كرة القدم هي الدراما الإمبريالية الغربية حيث تجري الأحداث على الساحة الخضراء المخططة، ووفق الساعة التي لا ترحم ولا تعترف بأي قيود. إنها محمية ذكورية – إما أن تفوز وتسدد الكرة بقوة وسرعة البرق أو سيُدهس وجهك في الوحل. حتى في أفضل حالاتها، تربط كرة القدم بشكل وحشي بين الإذلال والانتصار كل قدم تتجاوزه من أرض الملعب يعني تراجع وهزيمة دفاع المنافس".[١]

العجيب هنا أن (كاميل باليا) نفسها تدرك أن نفسية وطبيعة الرجال في العنف والقوة وما يتولد عنهما من اندفاع وتصادم : تختلف تماماً عن طبيعة النساء، وقد قرأنا كلامها من قبل في مناظرتها (هل انتهى عصر الرجال ؟)، لكن المفاجيء الآن (وهو من تناقضاتها العديدة التي تُثبت تخبط فكرها النسوي المنحرف) أنها تعترف بتلك الفروقات أيضاً في الرياضة ! وتعترف أن رياضات

---

[١] من مقالها عن النسوية وكرة القدم الأمريكية Gridiron Feminism، صحيفة وول ستريت، ١٢ سبتمبر ١٩٩٧م.

الإناث تختلف عن الذكور، فضلاً عن قلة إقبال الإناث أصلاً عليها، فضلاً عن قلة المهتمين بمشاهدتها كذلك (اللهم إن لم يكن فيها تعري وعرض مفاتن للاعبات لجذب الجماهير كما هو حال معظم الألعاب النسائية اليوم !)، ولقد قلت من قبل أنه لكي تصور للناس أن المرأة مثل الرجل في الرياضة :

يجب أن تدفعها لذلك دفعاً بعكس الرجال الذين تجري مثل هذه الأشياء في عروقهم بالفطرة !

وإليكم ما قالته (باليا) تعليقاً على التعسف الجامعي في إلغاء أكثر من رياضة رجالية (بسبب ذهاب أغلب الدعم إليها مهما فعلت البروباجاندا والإعلام النسوي)، مما اضطر الجامعات لوقف الألعاب الرجالية، رغم أن بعضها له تاريخ حافل من البطولات منها ما وصل لعمر ٩٠ عاماً ! وسوف أنقل مقالها هنا كاملاً والذي كتبته عام ١٩٩٦م :

"الاختفاء المفاجيء للرياضات الرجالية...

إن أفكار النسوية الخاطئة تدمر رياضة الرجال في الجامعات في جميع أنحاء البلاد. ألغت جامعة كولجيت البيسبول، وألغت جامعة نوتردام المصارعة، وألغت جامعة ولاية سان فرانسيسكو كرة القدم، كما ألغت جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس برنامج السباحة والغطس الذي فاز بـ ١٦ ميدالية ذهبية أوليمبية.

لقد تم تشويه المادة التاسعة – وهي تعديل عام ١٩٧٢م لقانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤م – على يد مديري الجامعات الجبناء الذين يرعون مصالحهم الخاصة، فألغوا برامج ألعاب القوى الرجالية بدلاً من الوقوف في وجه البيروقراطيين المتطفلين في واشنطن.

في الأصل كانت المادة التاسعة ضرورية للضغط على الجامعات التي تتلكأ لزيادة البرامج الرياضية للطالبات. كانت الأموال تصرف ببذخ على الرياضات الرجالية، في حين أن النساء لم يكن لديهن سوى عدد قليل من البرامج. ولم يكن أمامهن سوى المعدات الضعيفة والمدربين غير المتفرغين، ولا توجد غرف لتخزين الملابس أو تدريب الأثقال، ولا حتى ميزانية للمواصلات. بالتأكيد كانت الرياضات النسائية مهمشة ولا تحظى بما تتمتع به الرياضات الرجالية.

ولكن كما يحدث في عمليات التمييز الإيجابي، تحولت الأوامر الحكومية الرسمية – التي تدفعها أغراض معينة – إلى نظام الحصص "الكوتا" العقيم. هدد مكتب الحقوق المدنية التابع لوزارة التعليم بسحب الأموال الفيدرالية من المؤسسات التي لا تتبع المبدأ الغامض للمساواة بين الجنسين في ألعاب القوى.

كما أوضحت المحاكم ذلك – لاسيما في الدعوى القضائية الناجحة عام ١٩٩١م التي قدمتها الرياضيات النسويات ضد جامعة براون (التي استأنفت عليها) – يجب أن توزع الاعتمادات المالية المخصصة للرياضة بشكل سخيف بين الذكور والإناث بالتساوي، على الرغم من أن عدد الرجال الراغبين في الانضمام إلى الفرق الرياضية يتجاوز أعداد النساء بكثير.

بدلاً من إدانة هذه التجربة المستبدة علناً عن طريق الهندسة الاجتماعية العاجلة، اتخذت إدارات الجامعات الطريق الأسهل المتمثل في تصفية الرياضات الرجالية من أجل تحقيق الإنصاف الظالم الموجود على الورق فقط. ونتيجة لذلك، أُلغي أكثر من مائة برنامج من برامج مصارعة الرجال،

واختفى جمباز الرجال تقريباً، كما استُهْدف الجولف الرجالي والمبارزة وهوكي الجليد.

في عام ١٩٩٣م، أوقفت جامعة برينستون فجأة برنامج مصارعة الرجال الذي استمر ٩٠ عاماً، والذي يعد جوهر أقدم رابطة رياضية بين الكليات في البلاد. إن ادعاء الإدارة بأن الضغوط الاقتصادية – وليس الخوف من المؤسسة النسوية – هو السبب وراء هذا القرار سرعان ما اكتشف كذبه عندما رفضت الجامعة قبول تبرع بقيمة ٢.٣ مليون دولار جُمِع لتمويل البرنامج بشكل دائم من جهة رابطة أصدقاء برنامج المصارحة في برنستون، وهي رابطة كونها مجموعة من الخريجين المهتمين بالرياضة.

بعد ثلاث سنوات من المناشدات غير المثمرة، لم تستعيد مصارعة الرجال كامل مكانتها في جامعة برينستون، بل أصبح الأمر أكثر سوءًا عندما أصبح فريق الكرة المائية للسيدات – وهي أحد أكثر الرياضات المهملة والنخبوية وليس لها جمهور كبير – هو فريق الجامعة الأول بدلًا من المصارعة. هكذا امتثلت كثير من الجامعات للمادة التاسعة : لزيادة أعداد النساء في الأنشطة الرياضية، حلت رياضات المدرسة الإعدادية النخبوية مثل التجديف واللاكروس والهوكي الميداني محل الرياضات المتنوعة إثنياً وعرقياً مثل المصارعة التي تتخطى الفروق الاجتماعية بين الطبقات.

عندما احتدمت الأمور بين خريجي برينستون وإدارتهم المتعنتة لجأوا إليّ للمساعدة، وهو مشهد مثير للسخرية حيث تأتي امرأة لتنقذ المحاربين وتقطع رأس التنين. في المؤتمر الأخير برعاية لجنة مناظرات برينستون، قمت بمهاجمة الطبقة الفاسدة من الإداريين المتعجرفين، الذين لا يستحقون ما يتقاضونه من مال. اتسعت رقعة الفساد بشكل كبير في حرم الجامعات الأمريكية في

السنوات الثلاثين الماضية، فقد حوَّل هؤلاء الفاسدون العملية التعليمية إلى أيديولوجية الوصاية الاجتماعية الخانقة. كان الحل الذي اقترحته لاستعادة التمويل الرياضي في الجامعة هو : طرد عدد من العمداء ومعاونيهم.

المصارعة، أقدم رياضة في العالم وسادس أشهر رياضة على مستوى الجامعات، هي في الواقع اقتصادية للغاية. فهي لا تتطلب أي معدات تقريباً، ويمكن إدراج جلسات التدريب بسهولة في الجداول الدراسية للطلاب – على العكس من تدريبات كرة القدم والتدريبات الجماعية التي تستهلك كل الحصص الدراسية – إن المصارعة بجولاتها الفردية (رجل لرجل) تهدف إلى التكافؤ الذي يجسد الفردية والروح الديمقراطية. هذه الرياضة القديمة تنمي الانضباط وسرعة رد الفعل والاتزان والتحكم بالذات. إن المصارعة تعتمد على الإعداد الذهني والتكتيك بقدر ما تعتمد على التنمية البدنية.

إن تدمير مصارعة الرجال في برينستون يمثل صورة شنيعة وصارخة من التحيز الجنسي. كان المقصود من المادة التاسعة القضاء على التمييز على أساس الجنس، وليس إيجاده. لا يمكننا أن نبني حرية المرأة على أنقاض أعراف الرجال. إن هذه الفضيحة المخزية لا تفيد النسوية، بل تضرها. لقد أصبحت المادة التاسعة ذريعة للتخريب وانتهاك الحقوق. إذا لم يكن بالإمكان تطبيق المادة التاسعة بذكاء، فيجب إلغاؤها".[١]

وعندما أعادت (باليا) نشر هذا المقال في كتابها (حرائر وأحرار) ذكرت ملحوظة في نهايته وهي إعادة جامعة برينستون لمصارعة الرجال في العام الذي

---

(١) من مقال (اختفاء الرياضات الرجالية) Men's Sports Vanishing، جريدة USA Today، ٩ إبريل ١٩٩٦م.

تلا المقال أي في عام ١٩٩٧م. إذن ولكي لا نتشتت عن موضوع العمل :

فحتى ما ترسمه (كاميل باليا) للنساء من ضرورة الانخراط في الألعاب العنيفة ليكتسبن مهارات خوض الحياة والعمل كالرجال : هي نفسها تعترف أنه ليس من طبيعتهن ! وتعترف بتفاوت ذلك تفاوتاً كبيراً بين الرجال والنساء، وأنه لا يتحقق إلا بدافع خارجي (الرغبة في تقليد النساء لألعاب الرجال) ثم يحميه تدخل رسمي خارجي يتسم بالجبر والتشريع ليستمر أو يكتسب دعماً !

في السنوات الماضية بدأ عالم النفس الكندي (جوردان بيترسون) Jordan Peterson يوافق على حضور اللقاءات المصورة في القنوات التي يشاهدها الملايين ويتم نشرها على اليوتيوب، فالرجل له باع في علم النفس الاجتماعي وعلم نفس الشخصية. لكن من أشهر لقاءاته عند الجماهير ومن أكثرها زخماً : هي تلك التي يكشف فيها الوجه الآخر للنسوية ومصادمتها للفروقات الأساسية بين الرجل والمرأة، بل ويكشف فيها تجني تشريعات وقوانين (الهوية الجندرية) و(التعبير الجندري)، وهو يستشهد دوماً بمفارقة غريبة للنسويات وهي أنه : كلما زادت تشريعات المساواة في دولة من الدول : كلما زادت الفروقات النفسية والشخصية بين الرجال والنساء أكثر !

حتى في سوق العمل والدراسات الأكاديمية ستبرز لنا تلك الفروقات بصورة طبيعية ! وإليكم هذا النقل لمحتوى أحد لقاءاته المصورة والتي ترجمها الأستاذ (سامي أحمد الزين) [١] على حسابه في تويتر @Sami_Al_Zain بتاريخ ٢ أكتوبر ٢٠٢٠م – حيث قال :

---

[١] الأستاذ (سامي) له اطلاع واسع على الميديا العالمية خاصة الإلحادية والنسوية، وقد عرفته عن قرب مع أول موسم إصدارات كتب مركز (دلائل) عام ٢٠١٦م، حيث نشر كتابه (قطيع القطط الضالة) وكتاب (نظرة خلف الستار)، وكلاهما

"(جوردان) : ماذا لو اختار الرجال مجالات دراسة وعمل مختلفة عن النساء كما يفعلون في دول إسكندنافيا ؟ – وهي الدول التي حققت مساواة بين الجنسين أكثر من بقية بلدان العالم – : الاختلاف في الشخصية بين الجنسين في إسكندنافيا زاد بدلاً من أن ينقص ! ونسبة النساء اللواتي اخترن مجالات الـ (STEM) نقصت بدلاً من أن تزداد ! لذا كلما زادت المساواة بين الجنسين في المجتمعات : كلما قلت أعداد النساء اللاتي يخترن مجالات الـ (STEM).

سؤال من المذيع : وما هي مجالات الـ (STEM) ؟

(جوردان) : العلوم S والتقنية T والهندسة E والرياضيات M.

لذا .. لو تركنا الرجال والنساء يختارون بحرية : فإن ما يحدث هو أنهم يختارون تخصصات مختلفة، لذلك لا تحصلين على مساواة في النتائج [نتائج مثل تساوي عدد المهندسين والمهندسات]. يتحدث إلى الضيفة النسوية.

سؤال من المذيع : أليس من المحتمل أن التنشئة هي السبب ؟ أننا برمجناهم على أن الأولاد يلعبون بأدوات ...

(جوردان) مقاطعاً : لا .. لا ..

لأن ما يحدث هو أن الدول كلما اتجهت أكثر نحو المساواة، وهو ما يعني أن البرمجة من ذلك النوع تكون أقل، فإن الفوارق بين الجنسين تزداد ولا تنقص، الإحصاءات العلمية واضحة في هذا الصدد، ومعظم من قام بتلك

يتناول كشف مغالطات أشهر الشخصيات الإلحادية وتناقضاتهم الصارخة عن طريق ترجمة لقاءاتهم المصورة بنفسه وكذلك ترجمة وعرض مقاطع من كتبهم.

الإحصاءات كانوا أناساً يميلون إلى اليسار السياسي المتحرر، لذلك لا يمكنك أن تلوم المحافظين من العلماء على تلك النتائج، كان اكتشافاً صادماً للجميع.

تعليق من الضيفة النسوية : لا يوجد مكان في العالم تتساوى فيه النساء مع الرجال، لكن دول إسكندنافيا [السويد – النرويج – الدنمارك] اتخذت الخطوات الأكبر تجاه الـ... الحضانة المشتركة إلخ. بعد ذكر ذلك أقول : إن المساواة الكاملة لم تتحقق بعد، لا يوجد مكان في العالم تحقق فيه ذلك...

(جوردان) مقاطعاً : لكن زيادة المساواة تأتي بأثر معاكس لما توقعه دعاة المساواة بين الجنسين، تأثير معاكس وليس مماثل ! وهذه ليست نظرية، بل هي بيانات تم تحصيلها من عشرات الآلاف من الدراسات الاستقصائية، ومن أفضل الكتابات العلمية في هذا المجال.

هي ليست نظرية، ولم آتي بها بدافع من رؤيتي السياسية، بل نظرت إلى البيانات .. وما دلت عليه هو أنه كلما زادت المساواة بين الجنسين في بلد ما : فإن الفوارق بين الرجال والنساء (تزداد).. لا تنقص.

أوجه التشابه بين الرجال والنساء حقيقة هي أكثر من أوجه الاختلاف، لكن المسألة هي أن الفوارق الصغيرة على مستوى السكان قد تتحول إلى فوارق ضخمة في الحالات القصوى، ولهذا السبب فإن النسبة الأضخم من السجناء هم من الرجال، والآن : هل تريدين المساواة في هذا ؟ فقط بدافع الفضول .. ماذا عن عمال البناء الذين يشكل الرجال ٩٩ % منهم ؟ كما أن ثلاثة أرباع المسجلين في الجامعات في أقسام الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية هم من الإناث ؟ هل نطلب المساواة في هذا أيضاً ؟

كما أن الرجال يعملون لساعات أطول، ويعملون في وظائف أكثر خطورة، وهم أكثر قابلية للتنقل، وأكثر قابلية للعمل الخارجي.

وكل هذا يتم إخفاؤه بالفكرة التي تزعم أن سبب وجود فارق الأجور بين الرجال والنساء هو اختلاف الجنس فقط".

انتهى النقل .. إذن... حتى الأعمال – لو أنصفنا – فإن منها ما يناسب النساء أكثر من الرجال (وهو ما يعرفه كل عاقل وعاقلة بالفطرة)، بل وقد يكون العمل نفسه مناسباً للمرأة لكن ظروفه غير مناسبة (مثل تطلبه لانتقال بعيد أو مواصلات صعبة أو سفر أو مواعيده متأخرة وهكذا)، فالرجال فيهم خشونة تتناسب مع أغلب الأعمال التي يكون التعامل فيها مع (أشياء) جامدة لا حس فيها ولا عاطفة، مثل تقطيع الصخر أو الحفر لأعماق كبيرة أو حمل الأشياء الثقيلة ونقلها أو التعامل مع المواصلات وكثرة الترحال والسفر إلخ، أما المرأة فتعاملها عاطفي بصورة أكبر، لذلك هي أفضل في الأعمال التي فيها احتكاك بشري مباشر، مثل التعليم والتمريض ونحوه.

ولفهم ذلك بصورة أكبر فسأنقل محتوى أحد الفيديوهات المترجمة لـ (جوردان بيترسون) أيضاً، لكن هذه المرة من قناة (قطيع القطط الضالة) على اليوتيوب – وهي للأستاذ (سامي أحمد الزين) – بعنوان :

"جوردان بيترسون   أعرف أن الكل مصدوم مما أقول Jordan Peterson".

حيث جرى هذا الحوار :

"(جوردان) : لا أعرف إلى أي درجة يعتبر ما سأقوله معروفاً هنا في دول إسكندنافيا لكن : أكبر الفوارق في العالم بين الرجال والنساء في الطبائع

والاهتمامات هي في إسكندنافيا، وقد تزايدت تلك الفوارق نتيجة لسياسة المساواة الصارمة التي تتبعونها.

مكتبة
t.me/t_pdf

سؤال من المذيع : ماذا تعني بذلك ؟

(جوردان) : هذا يعني أنه كلما كانت دولتك تميل لمساواة الجنسين أكثر.. زادت الفوارق في الشخصية بين الرجال والنساء.

سؤال من المذيع : كيف تقيس ذلك ؟ كيف تعرف ذلك ؟

(جوردان) : لقد طور علماء النفس أساليبهم في قياس الشخصيات خلال الثلاثين عاماً المنصرمة بنماذج إحصائية متطورة جداً، والطريقة هي أن تعرض على الرجال والنساء اختبارات موثقة ودقيقة تختبر بها ميولهم وشخصياتهم، وتفعل ذلك في جميع أنحاء العالم مع عشرات الآلاف من البشر - في عينات تشمل العديد من البلدان - ثم تنظر إلى الفوارق بين الرجال والنساء، ثم ترتب وتصنف ذلك بحسب درجة الثراء ودرجة المساواة الاجتماعية المفروضة، وما ستجده هو أنه :

كلما ازدادت المساواة في المجتمع ازدادت الفوارق بين الرجال والنساء.

سؤال من المذيع : ولماذا تعتقد أن ذلك يؤدي إلى زيادة الفوارق ؟

(جوردان) : لأن هناك سببان فقط للفوارق بين الرجال والنساء، الأول ثقافي، والثاني بيولوجي [جسدي]، وإذا قمنا بتضييق الفوارق الثقافية : فإننا بذلك نوسع الفوارق البيولوجية.

لذلك ..

أنا أعرف أن الكل مصدوم من سماع هذا، الحقيقة أن هذه ليست أخباراً صادمة، العلماء أدركوا هذا قبل مدة لا تقل عن خمسة وعشرين عاماً، وقد تكررت خلال الشهر الماضي ثلاث مرات في ثلاث عينات متفرقة، بما في ذلك مجلة (ساينس) التي تعتبر أفضل مجلة علمية في العالم دون منافس، والتأثير ليس صغيراً بل هو تأثير هائل.

في المتوسط : الرجال يهتمون بالأشياء والنساء تهتم بالبشر، وهذا في الواقع أكبر اختلاف سيكولوجي [نفسي] نعرفه بين الرجال والنساء.

ثم ..

على الرغم من أن الرجال والنساء متشابهين بشكل عام، إلا إن الحالات القصوى هي التي يظهر فيها الفارق.

فمثلاً حتى تصبح مهندساً – ومن الواضح أن ليس كل شخص يصبح مهندساً – يجب أن تكون لديك نزعة مزاجية معينة لتصبح مهندساً، يجب أن يكون اهتمامك بالأشياء أكبر بكثير من اهتمامك بالبشر، ومعظم مَن يمتلك هذه الصفة هم رجال، أما إذا أردت أن تصبح ممرضاً، فإن عليك أن تهتم بالبشر أكثر بكثير من اهتمامك بالأشياء، ومعظم مَن يمتلك هذه الصفة هن النساء، وهذا يؤدي إلى اختلافات في الخيارات المهنية، وهي بالمناسبة اختلافات كبيرة جداً في دول إسكندنافيا خصوصاً في مجالي الهندسة والتمريض.

هي اختلافات سببها الأكبر بيولوجي [جسدي]، ولا يمكن تقليصها بالهندسة الاجتماعية [أي لا تتغير بمؤثر خارجي مثل التعليم مثلاً].

وهذا ليس أمراً سيئاً ! انظروا .. يجب أن نسأل أنفسنا : ما هو الغرض

من بناء مجتمع يقدم أقصى حدود المساواة في الفرص ؟

أحد الإجابات هي : لتوفير القدر الأكبر من المساحة للاختيار الحر، وإذا زادت مساحة الاختيار الحر فإنك أيضاً تزيد حدة الاختلاف بين الناس، لذلك لا يمكن الحصول على الأمرين معاً.

ما ينبغي أن نفهمه هنا هو أن : هذه ليست مسألة خلافية بين العلماء المطلعين، نحن نعرف هذا الكلام منذ ٢٥ سنة ! وهو تأثير معاكس لم يتوقعه أحد.

البيانات تشير إلى أن نتيجة السياسات التي تروجون لها : هي زيادة الفوارق بين الرجال والنساء، سياساتكم لا تفعل ما تريدون منها أن تفعله ! كلامي لا يعني أن التوجه نحو المساواة هو لزوماً أمر سيء، ولكن نسبة هائلة من المساواة تم تحقيقها ليس بواسطة القوانين الاجتماعية، وإنما بالتكنولوجيا والاختراعات.

القصة التي يتم تلقيننا إياها الآن هي : إلى ستينيات القرن العشرين حينما طورت النسويات عقائدهن الداعية إلى المساواة، كان الرجال قد قيدوا النساء، لكنهن نهضن وتحررن أخيراً، لكن الحقيقة هي أنه تقريباً منذ العام ١٨٩٥م وما بعده حدثت سلسلة من الثورات التكنولوجية [اختراعات متلاحقة] كانت قوية جداً في تأثيرها، وقد سمحت للنساء بأن يتقدمن بتحرر من القيود التي كانت تؤخرهن في السابق.

موانع الحمل هي أحد تلك الاختراعات، المرافق الصحية بكافة أشكالها، تطور السباكة وتوصيل المياه كان له دور ضخم، الفوط الصحية كان لها دور ضخم، وكذلك المناديل المعقمة، كل هذه الاختراعات تم تطويرها فسمحت

للنساء بالتقدم بمعوقات بيولوجية [جسدية] أقل.

حينما أتحدث عن قضايا تتعلق بالجنسين واختلافاتهما الشخصية فإنني أتحدث في الحقيقة في واحد من مجالات تخصصي، أنا أعرف الكتابات العلمية المتعلقة بذلك، وهي تقول ما قلته لكم بالضبط.

وكما ذكرت أيضاً : لقد تم تكرارها ثلاث مرات خلال الشهر الماضي، لقد جاء في عدد جريدة (لندن تايمز) الصادر قبل ثلاثة أسابيع أن النتيجة المكتشفة بأن الفوارق بين الجنسين تزيد بزيادة سياسات المساواة هي الآن من أقوى النتائج المكتشفة ثباتاً ومتانة في تاريخ علم الاجتماع، يمكنكم أن تفهموا هذا الكلام بالطريقة التي تعجبكم، ليس في الأمر أي متعة شخصية بالنسبة لي، كل ما في الأمر أنها الحقيقة".

انتهى النقل ...

نلاحظ هنا إشارة (جوردان) لمسألة أفضلية الرجال عن النساء في السفر كذلك، وهذه واحدة من فوارق عديدة تبين كيف أن الرجال مجهزون لل (متاعب)، بعكس النساء اللاتي تكون شكواهن من متاعب السفر أكبر، وهو ما تعرفه الشركات والمؤسسات التي يتم إجبارها على تشغيل نسب معينة من النساء (هكذا يتم فرض الوضع القائم) أو يتم إغراء تلك الشركات بمزايا ضريبية وغيرها في حال تشغيل عدد معين من النساء، هذه الشركات سيكون عليها أن تزيد من دواعي تأمينها وراحتها لأولئك النساء بشكل خاص فضلاً عن جميع موظفيها الذين يسافرون بشكل عام.

تشير إلى ذلك (كيم ألبريشت) Kim Albrecht في مقالها بعنوان :

"لماذا يختلف تأمين سفر العمل بالنسبة للنساء ؟ ".

Why Is Business Travel Safety Different For Women ?

والذي ترجمه موقع (آثارة) Atharah بعنوان :

"لماذا تختلف رحلات أعمال النساء من جهة السلامة والأمان عن رحلات الرجال ؟".

حيث تحاول الكاتبة عرض المشكلة ولماذا يجب أن تهتم النساء بتوفير هذا الحد من التأمين والسلامة لهن، فتقول في أوله :

"قد لا يفاجئنا أن ٧١ % من الإناث المنخرطات في أسفار الأعمال يعتقدن أنهن يواجهن خطراً أكبر مما يواجهه نظرائهن من الرجال. هذا وفقاً لاستطلاع رأي أونلاين أجرته شركة AIG Travel Inc والجمعية العامة لأسفار الأعمال GBTA سنة ٢٠١٨م، للنساء اللائي سافرن أربع مرات فأكثر في أسفار عمل خلال السنة المنصرمة.

٨٣ % من النساء اللائي شملهن الاستطلاع شهدن حدثاً متعلقاً بالسلامة خلال تلك السنة، و ٨٠ % منهن قلن إن تلك الأحداث أثرت سلباً على مستوى إنتاجيتهن في العمل. وهذا منطقي أليس كذلك ؟

إذ حين نشعر بعدم الأمان أو التهديد – تكون الاستجابة البشرية الطبيعية هي حماية أنفسنا قبل كل شيء، مما يجعل التركيز بنسبة مائة بالمائة على الأهداف العملية المنوطة بنا حاليا مهمة شاقة".

وتقول بعدها بقليل :

"من خلال تجربتي الخاصة كمسافرة أعمال أنثى، أستطيع أن أضمن أنك إن جلست مع أية مجموعة من زميلات العمل، فمن المحتمل جداً أن تجد

لكل واحدة منهن حكاية أو اثنتين عن حدث متعلق بالسلامة خلال سفرهن لمهمة عمل – سواء تعلق الأمر بمؤتمر في مدينة قريبة أو برحلة عمل إلى النصف الآخر من الكوكب. الأحداث المتعلقة بالسلامة قد تشمل المخاطر الغذائية أو الصحية أو أمن المعلومات أو الكوارث الطبيعية بل و الأحداث الإرهابية. لكن القصص التي أسمعها غالباً ما تتعلق بالتحرش الجنسي، والاعتداء والسرقة وقضايا متعلقة بالرحلات الثقافية.

ومع ذلك، فإن نسبةً أقل من ٥٠ % من النساء يبلّغن عن الأحداث المتعلقة بالسلامة الشخصية إلى المنظمات اللائي ينتمين إليها، وفقاً لاستطلاع رأي أجرته شركة AIG Travel Inc و جمعية GBTA. في دائرة نقاش بمؤتمر اتفاقية GBTA لـ ٢٠١٨م، قالت (بريتاني لويس) محللة أنظمة الأمن في AIG Travel بأنها تعتقد أن الأمر متعلق بعدم رغبة النساء في الظهور بمظهر الضعف أو الهشاشة داخل منظماتهن. أو أن الإبلاغ عن الحادث قد يحدّ من فرصهن في مزيد من رحلات العمل مما قد يؤثر سلباً على حياتهن المهنية أو مسار الترقية الخاص بهن".

ثم ختمت المقال ببعض الروابط المفيدة للنساء اللاتي يسافرن أو المهتمات بأمور السلامة والأمان وكيف تجد الإرشادات في ذلك ونحوه.

عندما تكسب الزوجة أكثر من الزوج ....

كنت أشرت في كلامي سابقاً إلى مشكلة قليل مَن ينتبه إليها وهي الضغط النفسي على الزوج عندما يجد زوجته تكسب أكثر منه في العمل أو راتبها أعلى منه... لا شك أنه تقع مجموعة من التغيرات النفسية والسلوكية

لديه، لأن الرجل بطبيعته هو الذي (من المفترض) يعيل الأسرة بصورة أساسية، وهو ما يعني أن زوجته قد لا تعمل، أو عندما تعمل فالمفترض أن يكون راتبها أقل منه حتى لا يفقد قيادته للأسرة، أو يخشى انخراط زوجته في عمل لا يليق.

هناك دراسة عام ٢٠١٩م نشرها موقع (ساينس ديلي) الشهير Sciencedaily بعنوان :

"يزداد توتر الأزواج إذا كسبت الزوجات أكثر من ٤٠٪ من دخل الأسرة".

Husbands' stress increases if wives earn more than 40% of household income

ثم العنوان الفرعي :

"تظهر دراسة لبيانات أمريكية أن الأعراف الاجتماعية المستمرة حول الرجل عائل الأسرة يمكن أن تضر بصحة الرجال العقلية".

Study of US data shows persistent social norms about male breadwinning can harm men's mental health

الدراسة من جامعة (باث) Bath، واستندت لبيانات ٦٠٠٠ من الأزواج على مدى ١٥ عاماً، حيث أكدت القراءات أن الأزواج يتعرضون لتوترات وضغوط نفسية أقل عندما تكسب زوجاتهم أقل من ٤٠٪ من دخل الأسرة، لكنهم يصبحون متوترين بشكل متزايد كلما ارتفعت أجور زوجاتهم إلى أكثر من ذلك، مما يعني أنه كلما زاد اعتماد الأزواج اقتصادياً على زوجاتهم زاد توترهم النفسي.

والسؤال : لماذا حدد الأزواج نسبة ٤٠ % ثم يبدأ التوتر بعدها ؟

والإجابة هي أن تلك النسبة هي أقصى زيادة يمكن أن تصل إليها المرأة دون أن تساوي الرجل (٥٠ %) أو تزيد عليه (٦٠ إلى ١٠٠ %).

هذا التفكير في طبيعة الرجل (والذي يمكن تشبيهه بالانكسار النفسي للمدير إذا تقاضى أحد موظفيه راتباً أعلى منه !) : هو ما تسميه الدراسة (الأعراف الاجتماعية) أو (الأدوار الجندرية التقليدية في شخصية عائل الأسرة) والتي كانت لآلاف السنين من نصيب الرجل لدوره في الأسرة.

تقول إحدى المسؤولات عن الدراسة الدكتورة (جوانا سيردا) Joanna Syrda الخبيرة الاقتصادية في كلية الإدارة بجامعة (باث) :

" **تمتد عواقب انعكاس الدور الجندري التقليدي في الزواج والمرتبط بالمكسب الأعلى للزوجة إلى أبعاد متعددة، بما في ذلك الصحة الجسدية والعقلية، والرضا عن الحياة، والإخلاص الزوجي، والطلاق، وقوة التفاوض أو المساومة بين الزوجين**".

The consequences of traditional gender role reversals in marriages associated with wives' higher earnings span multiple dimensions, including physical and mental health, life satisfaction, marital fidelity, divorce, and marital bargaining power

والأمر في تزايد... حيث ذكرت الدراسة أنه وفقاً للأرقام الصادرة عن مركز (بيو) Pew الشهير للأبحاث في الولايات المتحدة فإن ١٣٪ فقط من النساء المتزوجات هن اللاتي حصلن على أكثر من أزواجهن في عام ١٩٨٠م.

لكن بحلول عام ٢٠١٧م، كان الرقم يقترب من الثلث (٣٣٪) ومن المرجح أن يستمر في هذا الاتجاه المتزايد. ولعل هذا التطور هو أحد أسباب ازدياد حالات الطلاق والتفكك الأسري في المجتمع الأمريكي....

إن الزوجة (أو الرفيقة كما ينتشر في الغرب حيث يعيش الاثنان بدون زواج بل وينجبون كذلك بدون زواج أو قبل الزواج) : قد تنظر إلى هذا الأمر (أي زيادة راتبها أو مكسبها عن زوجها) على أنه (لا يمثل مشكلة)، وفي الغالب المرأة لا تحمل بالفعل أفكاراً سيئة أو تخطيطات مُسبقة لمضايقة الرجل أو التضييق عليه، الأمر مثل تبرجها كما قلت من قبل : معظمه قد يكون تعبيراً عن إحساسها الذاتي بالجمال والألوان ومواكبة الموضة ومنافسة زميلاتها وإظهار جمالها لهن إلخ، وهي في ذلك غالباً لا تستحضر خطر تأثيرها على الشباب والرجال من حولها كلما تعرت أو تزينت أو تخففت من ملابسها !

كذلك الأمر بالنسبة للأجور وتسيير البيت، هي في الغالب تفكر وتتصرف من مبدأ (المساهمة والمساعدة)، لكنها لا تعي أن أغلب الأزواج أو الرفقاء سيستشعرون (تلقائياً) أنه قد سُلب منهم – كرجال – أحد أهم أدوارهم في الحياة والزواج ! بل غالباً هو أحد (مؤهلاتهم كرجال) لكي تكون لهم قيادة البيت لا لنسائهم ! بمعنى : أنه عند اختلاف الرأي تكون الكلمة الفاصلة والحاسمة لهم لا لنسائهم، وقد أشار القرآن الكريم لهذا المعنى (معنى القيام على أمور البيت والمرأة أو القوامة) وارتباط أحد ركنيها بالإنفاق في قوله عز وجل :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ سورة النساء – ٣٤.

فهناك تفضيل خاص (تفضيل فطري مثل قوة الحزم والتحكم في النفس والقيادة والإقدام والقدرة الجسدية وقدرة التحمل وغيرها)... وهناك الإنفاق.

نعم... قد تكون الزوجة أغنى من الرجل أو راتبها أعلى منه أو تكسب أكثر منه : ولا يقع بينهما حزازيات لحكمتها وحسن تبعلها له.

فهي تستشعر قلقه النفسي وتسعى لاحتوائه بشكل غير مباشر، وتعمل على طمأنته من أن ذلك التفاوت لن يغيرها ولن يجعلها تشذ أو تنشز عن أوامره ونواهيه أو تصير نداً له في البيت، بل من حصافة المرأة في مواقف كهذه أنها تشعره من حين لآخر باحتياجها (وباحتياج البيت) له، هذا الشعور هو أحد (الجوائز النفسية) التي تستكين نفوس الرجال إليها من عناء العمل والإرهاق.

والحقيقة : إن مسألة كسب المرأة أكثر من الرجل عموماً (أو من زوجها أو رفيقها خصوصاً) قد تكون مسألة (نصيب) لا أكثر ولا أقل، ففرص العمل اليوم تتفاوت حتى بين الرجال أنفسهم، وليس معنى أنك أكفأ أو أكثر خبرة أو تبذل مجهوداً جسدياً أكبر : أنك في النهاية تكسب أكثر من الباقين ! المشكلة عند الرجل في حال الزوج أو الرفيق هو أنه كقائد للبيت ومسؤول عنه فطرياً وطبيعياً (كما تعلّم البشر من أدوار الحياة) : فالمفترض أنه هو الذي يوجه ويحاسب ويقوم بالتقويم والتعديل على زوجته إذا قصرت في أي من واجباتها تجاهه أو تجاه الأبناء أو البيت بعد أن ينبهها إلى ذلك، فإذا تحججت بالعمل مثلاً فسيخبرها بكل بساطة أن (تتركه)، هذا القرار سيكون سهلاً عندما يكون كسب المرأة قليل، لكن عندما يكون كسبها ومساهمتها في نفقات البيت مساوياً أو أكبر : فهذا هو الوضع الذي يقلق الرجال أو الأزواج ! خاصة في عصر النسوية اليوم لارتباط ذلك غالباً بأفكار التمرد والندية بعكس القرون الماضية.

بالطبع ليس في كل الحالات سيقلق الزوج -كما أشرت سابقاً- خصوصاً مع حصافة زوجته وحسن معاملتها له، كذلك إذا كان هو الذي طلب منها العمل لقصوره عن نفقة البيت خاصة مع كبر الأبناء واحتياجاتهم المتزايدة، أو إذا

كان يرى بالفعل أن راتبها الأعلى يتناسب مع مجهودٍ كبيرٍ تبذله، أو خبرةٍ حقيقية خاصةٍ وليس مجرد (خروج وجمال ومكياج) !

هكذا يفكر معظم الرجال تقريباً، خاصة أن أغلب الوظائف التي تعمل فيها النساء فعلياً تكون أقل في المجهود والوقت من الرجال !

أما الأخطر فهو عندما تكتسب المرأة قيمتها في العمل من جمالها (كونها أنثى) بالمقام الأول ! ثم يأتي بعد ذلك تخصصها غالباً أو ما قد تجيده ! لا زلت أذكر صورة إعلانين في إحدى صحف الإعلانات لطلب عمل، كان الإعلانان فوق بعضهما البعض (ولكي تكتمل المفارقة) ! أحدهما يحتاج إلى (طبيبة بسنوات خبرة)، والآخر إلى (سكرتيرة جميلة حسنة المظهر)، وكان راتب السكرتيرة ٣ أضعاف راتب الطبيبة تقريباً ! أما الرجل : فهو يعرف أن قيمته غالباً تكون بما يصنع أو بما يتخصص مباشرة، حيث لا مجال للـ (جمال) أو (حسن المظهر) إلا في أضيق الحدود، وبمفهوم وغرض مختلف تماماً عن مثيلهما للنساء !

أعرف مهندساً شاباً ترك عمله في أحد المكاتب الاستشارية رغم راتبه الجيد فيه بالنسبة إلى حداثة سنه وقتها، فسألته عن الأسباب ؟

فذكر في أولها (ويا للعجب) : السكرتيرة ! كانت شابة صغيرة السن تثير لعاب أي عميل بملابسها الضيقة الملتصقة بجسدها والتي تصف تفاصيله بشكل فاضح ! فإذا أضفنا إلى ذلك أنها كانت تقوم ببعض أعمال النظافة الخفيفة في المكاتب أمام أعين المهندسين، هذا يراها من الجانب، وهذا يراها من الخلف، وهذا يراها عندما تنحني، وهذا وهذا وهذا : لاكتملت الصورة من تلمسنا العذر لذاك المهندس الشاب !

وسوف أتحدث عن موضوع التحرش بعد قليل ...

إن الناظر إلى ساحات الموظفين والعمل التي فيها النساء ليدرك بأقل نظر أنهن لم يخلعن (الأنوثة) خلفهن عند مجيئهن إلى العمل ! بل يشكو المفكرون الغربيون أنفسهم من هذه الطبيعة التي لا تنفك عن أغلب النساء عندهم في مكاتب العمل وغيره، حيث ترتدي أجمل الثياب، وتتزين بأجمل الزينة، وتتعطر بأجمل العطور، وترتدي الكعب العالي ليعطيها القوام الجذاب... وماذا بعد ؟

هي تتصرف كذلك بكل عفوية، وتضحك بكل عفوية، وتتحرك، وتنحني، وتدور، وتمازح (سواء مع زميلاتها أو زملائها الرجال) بكل عفوية !

كل ما سبق يمكن للمرأة أو الشابة أن تفعله وهي لا تقصد به جذب أنظار الرجال ! فقط (إبراز) أجمل ما لديها لجميع مَن حولها، فإذا كان هذا كله وهي (لا تقصد)، فماذا لو (قصدت) أن تلفت نظر أو إعجاب شاب أو رجل بعينه تعلقت به ؟! هذه كارثة أخرى .... فهي لكي تجذب نظره وإعجابه : تكون قد فتنت وأغرت كل مَن مرت بهم من الشباب والرجال من حولها ! كل ذلك وغيره يرفع من وتيرة :

١- التحرش ٢- العنف المنزلي.

وهنا نعرف قيمة تشريعات وضوابط الإسلام في خروج المرأة وعملها.

التحرش مشكلة لا تنتهي ....

قد نفهم دفاع امرأة أو نسوية عن عمل المرأة ... لكن بالتأكيد لا يمكن فهم إصرارها على أن تصحب المرأة كامل (أنوثتها) معها وسط العمل وبين الرجال ! هذه هي (كاميل باليا) واستخفافها بـ (أسباب) التحرش !

فهي دائماً تعترف بوجود التحرش، لكن بدلاً من توجيه نصائحها للأسباب

الحقيقية : فهي تزيد الطين بلة بوضع رهانها على (قوة) المرأة وحسمها لوقف الأمر عند حده في كل مرة أو قبل أن يتطور ! وهذا أبعد ما يكون عن ردة فعل المحترمات وصدمتهن عند تعرضهن لأي إشارات جنسية، لكن يبدو أن من متطلبات العمل عند (باليا) الفحش والبذاءة :

"لقد استمعت بعناية إلى شهادة (أنيتا هيل) في جلسات استماع مجلس الشيوخ، ووجدت أنها صادقة وذكية، لكنني أرفض دعواها بوجود تحرش جنسي. إن ما حدث بالضبط بينها وبين (كلارنس توماس) لا يمكننا أن نعرفه أبداً، وذلك لأن غضب (هيل) بسبب الإشارات الجنسية قد يكون بالفعل هو المشكلة، ولكن نظراً لأن الكلام لم يكن به تهديد ولم يكن نوعاً من الضغط والإجبار على المواعدة مثلاً، فإنني لا أدري كيف تَكوَّن من هذا الحديث قضية تحرش جنسي ؟ ربما يرى العديد من الرجال المتدينين – وكذلك النساء – أن الحديث حول الجنس أو الإباحية أمراً غير مقبول وخارج حدود الأدب، لكن هذه ليست قضية جنسية، إننا وحدنا المسؤولون عما نتحدث عنه وما لن نسمح بالحديث عنه.

حطمت الثورة الجنسية لجيلي في الستينيات الأعراف القديمة التي كانت ترى أن السيدات المحترمات يجب أن يَصُنَّ أنفسهن عن استخدام الكلمات البذيئة والفاحشة، وكانت إحدى مطالبنا هي وضع حد للمعايير المزدوجة التي تميز بين الرجال والنساء. لكن ما يزعجني في "عدائية" سياسة التعامل مع التحرش الجنسي هو إنها تعود بالنساء إلى تلك الكائنات الوردية الحساسة التي يجب حمايتها من اعتداءات الذكور المتوحشين، ألا يُعَد طلب معاملة خاصة للنساء مناهضةً للنسوية ؟ بالتأكيد هو كذلك".[١]

---

[١] من مقال (القضية الغريبة لكلارنس توماس وأنيتا هيل) – مصدر سابق.

حسناً ... وماذا حصل للنساء بعد كل هذه النصائح (المتحررة) ؟

لن نتحدث عن التحرش في أكثر مؤسسات الدولة التزاماً بالحدود والقوانين – من المفترض – مثل الجيش (وقد تحدثنا عنه بالفعل في أحد الهوامش سابقاً)، ولكن من باب التجديد سنتناول مجالاً آخر من المفترض – أيضاً – أنه أبعد ما يكون عن التفكير الجنسي ...

إنه المجال العلمي والتعليمي (ولكم أن تتخيلوا الأخبار التي سنقرأها الآن هي لباحثات وطالبات جامعيات وطالبات مدارس وملابسهن) !

ولنبدأ من مجلة نيتشر العالمية Nature وعنوان مقالها في ٢٠١٩م :

"التحرش الجنسي منتشر في العلوم الأسترالية، يشير إلى ذلك أول مسح لمكان العمل".

Sexual harassment rife in Australian science, suggests first workplace survey

حيث نقرأ في العنوان الفرعي :

"تعرضت واحدة من كل اثنتين من المشاركات في استطلاع وطني للتحرش الجنسي في العمل".

One in two female respondents to a national poll has been sexually harassed at work.

الاستقراء شمل قرابة ٣٠٠ من العلماء والباحثين (رجالاً ونساءً)، وفي حين كانت نسبة ٥٠ % تقريباً من النساء ذكرن التحرش بهن في مكان العمل : فقد ذكر ١٠ % من الرجال كذلك تعرضهم للتحرش !

ذكرني ذلك بأيام الجامعة حينما لا تخطيء العين مجموعة غير قليلة من الطالبات تشعر أنهن أتين إلى الدراسة بهدف آخر بجانب العلم (وربما مقدم على العلم) ألا وهو العثور على زوج ! (يبحثن عن الاستقرار بعكس الشباب الذين يبحثون غالباً عن عشيقات) ! حيث يقوم بعضهن بالتلميح بذلك في كلامهن، في حين تصرح به الأخريات (تصريحاً بالزواج أو التغزل في شكل أو أخلاق الشاب في وجهه) ! فضلاً عن الملابس التي تبالغ بعضهن في اختيارها بما يشبه الذهاب إلى حفل وليس حرم جامعي... هذا الكلام كان قبل عام ٢٠٠٠م، ولا أعلم الحقيقة مدى ما وصل إليه الحال اليوم في جامعاتنا المختلطة !

في هذا الوضع (أي عدم وجود قيود واضحة على حدود التعامل بين الجنسين أو على ملابس المرأة أو الباحثة أو الطالبة) ولو من باب احترام مكان العمل أو الدراسة أو الحرم الجامعي :

فإن باب التحرش يُفتح على مصراعيه، إذ لو كان الاحتشام ظاهراً لأرسل لكل طامع رسالة بالرفض من قبل أن يفكر في كيفية التحرش !

وبهذه المناسبة، اخترت المثال الثاني هنا، وهو من قلب الجامعات الغربية نفسها، بل من قلب بريطانيا صاحبة أعرق وأقدم الجامعات الإنجليزية في العالم الغربي، حيث تم إجراء أكبر مسح في دراسة نشرها موقع Legacy.**Brook**.org.uk المتخصص في صحة ونصائح الشباب في عام ٢٠١٩م أيضاً بعنوان :

"بحثنا الجديد حول التحرش الجنسي والعنف في جامعات المملكة المتحدة".

Our new research on sexual harassment and violence at UK universities

ونقرأ فيه :

" **يُظهر بحثنا الجديد أن أكثر من نصف طلاب جامعات المملكة المتحدة في جميع أنحاء البلاد يتعرضون لسلوكيات جنسية غير مرغوب فيها مثل اللمس غير اللائق، أو الرسائل الصريحة، أو المعاكسة بالصفير، أو المشي خلفهم وتتبعهم، و / أو إجبارهم على ممارسة الجنس أو الأفعال الجنسية – لكن ٨ % فقط هم الذين أبلغوا عن تلك المخالفات.**

تم تصميم الاستطلاع بواسطة Brook ووزعه من خلال قاعدة بيانات Dig-In، وهو الاستطلاع الذي شمل ٥٦٤٩ من الطلاب الجامعيين في المملكة المتحدة وهو الأكبر من نوعه وكشف أن :

– فقط ربع الطلبة (٢٥٪) من الذين تم إجبارهم على ممارسة الجنس : ذهبوا للإبلاغ عن ذلك.

– ما يقرب من نصف النساء (٤٩٪) قلن أنهن تعرضن للمس بشكل غير لائق... لكن (٥٪) فقط منهن اللاتي أبلغن عن ذلك.

– تم مراسلة ربع النساء (٢٦٪) برسائل جنسية صريحة غير مرغوب فيها، لكن (٣٪) فقط منهن اللاتي أبلغن عن ذلك.

– (٥٣٪) من المستجيبين قد تعرضوا لهذه السلوكيات الجنسية غير المرغوب فيها من طالب آخر.

– (٣٠٪) من الحالات وقعت في الحرم الجامعي.

كانت النساء أكثر عرضة لتجربة السلوكيات الجنسية غير المرغوب فيها من الرجال؛ حيث قالت (٤٩٪) من النساء أنه تم لمسهن بشكل غير لائق

مقارنة بـ (٣٪) من الرجال".

ولعل ذلك الوضع المتردي (وفي دول لا يمكن وصفها بحجة الكبت الجنسي كما يصفون المسلمين الرافضين لتعري النساء) :

هو ما جعل موقع BBC الشهير بالعربي ينشر الخبر التالي عام ٢٠٢٠م بعنوان :

"عشرات الجامعات البريطانية تطلب من طلاب التوقيع على اتفاق لعدم التحدث عن تحرش، أو تنمر، أو ضعف مستوى".

يهدفون بذلك للحفاظ على سمعتهم وتجنب التعويضات، وإليكم الخبر:

"علمت "بي بي سي" أن عشرات الجامعات في المملكة المتحدة تلجأ إلى ما يعرف باتفاقات عدم الإفصاح عن معلومات لمنع طلاب من التحدث عن مزاعم واتهامات بالتحرش الجنسي وضعف مستوى التدريس وتنمر.

ويقول طلاب إنهم اضطروا للتوقيع على تلك الوثائق بعد رفض الجامعات ذات الصلة أو الشرطة مواصلة التحقيق في بعض الشكاوى نظرا لـ "عدم وجود أدلة كافية".

وتقول طالبة لبي بي سي إن جامعتها هددتها بالفصل إذا خالفت الاتفاق.

وبحسب بيانات حصلت عليها بي بي سي نيوز، تستخدم نحو ثلث الجامعات البريطانية تلك الاتفاقات في التعامل مع شكاوى الطلاب منذ عام ٢٠١٦م.

وصُممت اتفاقات "عدم الإفصاح" أساساً لحماية أسرار العمل، وهي اتفاقات قانونية تمنع الأشخاص من مشاركة المعلومات الخاصة.

وأقرت ٤٥ جامعة، من أصل ١٣٦ جامعة، باستخدام تلك الاتفاقات على نحو متفاوت مع طلبة منذ عام ٢٠١٦م.

وتُظهر البيانات، التي حصلت عليها بي بي سي بموجب قانون حرية الحصول على المعلومات، أن حوالي ٣٠٠ طالب وطالبة وقعوا اتفاقيات لـ "عدم الإفصاح" بعد شكاوى أثيرت منذ عام ٢٠١٦م. وبلغت التكلفة الإجمالية المدفوعة كتعويضات للطلاب أكثر من ١.٣ مليون جنيه إسترليني.

ويتراوح مبلغ التعويض المدفوع لطلاب بين ٢٥٠ جنيهًا إسترلينيًا و ٤٠ ألف جنيه إسترليني".

ويزول العجب من وصول (التحرش) إلى أروقة الجامعات عندما نعلم أنه يتم فرض لبس التنورات القصيرة Skirts على الفتيات في المدارس نفسها ! (والسراويل للأولاد)، وهناك واقعة شهيرة تم النشر عنها عام ٢٠٠٢م في الصحف والمواقع الأجنبية والعربية يمكن البحث عنها بعنوان :

" طالبة بريطانية تكافح لارتداء السروال بالمدرسة" !

ورغم أن المواقع الإخبارية لم تفصح عن الفتاة أو اسمها أو دينها (فيما أعلم) إلا أن المشكلة عامة لدى كل أسرة محترمة تخاف على بناتها من التحرش أو الاعتداء الجنسي والاغتصاب أو حتى (أقل ما فيها) ظاهرة (رفع التنانير) Up-Skirting للفتيات وتصوير الأولاد لما تحتها بالهواتف ثم نشره على مجموعاتهم أو حتى على مجموعات المدرسة !

لذلك تفضل الأسر المسلمة المحترمة أن تلحق بناتها بمدارس إسلامية خاصة لأنها رغم كل الصعوبات : فهي تكفل لهن حق الارتداء المحتشم، أما اللاتي يتبعن التعليم العام فوضعهن سيء جداً للأسف، خاصة في بلد تزعم الليبرالية

مثل (**فرنسا**)، لا نجدها تدافع إلا عن حريات التعري فقط وترفض كل ما هو محتشم خاصة إذا له علاقة بالإسلام !

فهذا خبر من التليجراف Telegraph.co.uk في ٢٠١٥م بعنوان :

" **تم إرسال تلميذة مسلمة إلى المنزل لارتدائها تنورة طويلة**".

Muslim schoolgirl sent home for wearing long skirt

وبالطبع هم أفضل مَن يتحجج بحجة (عدم إبراز الرموز الدينية) ! والتي لا تطبق إلا على الإسلام ! حيث جاء في العنوان الفرعي للخبر :

"**خلاف حول تلميذة فرنسية مسلمة أرسلت إلى منزلها لارتدائها تنانير طويلة لأنها كانت "علامة تباهي بالدين**".

Row over French Muslim schoolgirl sent home for wearing long skirts because it was 'ostentatious sign of religion '

وما يقصدونه بـ (علامة تباهي بالدين) هنا هو القانون الفرنسي الذي تم إصداره عام ٢٠٠٤م لتطبيق مباديء العلمانية في فصل الدين عن الدولة في المدارس الابتدائية والثانوية الحكومية بعنوان :

"**القانون الفرنسي في العلمانية والرموز الدينية الواضحة في المدارس**".

French law on secularity and conspicuous religious symbols in schools

وهو ما يسميه الإعلام وعامة الناس بـ (قانون حظر الحجاب) لأن المتضرر الوحيد منه دوماً هو المسلمات اللاتي يرتدين الحجاب فقط ! فلا يتعرض أحد

الفرنسيين لصليب النصارى أو قبعة اليهود أو غيرهم مبررين ذلك بأنها (صغيرة الحجم) أو غير ظاهرة بعكس الحجاب !

لذلك كانت حالة هذه الفتاة من لبسها للتنورات الطويلة هو تطور (فاضح) أكثر وأكثر للسياسات الفرنسية الإقصائية للإسلام تحديداً وحشمة المسلمة !

الأمر يشبه الزوبعة التي أثارها عام ٢٠١٨م ظهور الشابة الفرنسية المسلمة (مريم بوجتو) ممثلة اتحاد طلبة جامعة (السوربون) على إحدى القنوات الفرنسية بحجابها، ثم تجدد الأمر هذا العام ٢٠٢٠م مؤخراً عند حضورها جلسة البرلمان بحجابها : فخرج عدد من أعضاء البرلمان والنسويات اعتراضاً على ظهورها بهذا (الرمز الديني) !

لكن هذه المرة كانت الفضيحة أكبر وأكبر في حق فرنسا راعية (الحقوق والديموقراطية) زعموا ... ذلك لأنه تحت نفس قبة البرلمان جلس نصارى بلبسهم الديني الكامل ! ويهود بلبسهم الديني الكامل ! وحتى بوذيين بلبسهم الديني الكامل ! فلماذا لم يتم أخذ نفس ردة الفعل معهم ؟!

الأمر كان مزرياً ومتناقضاً حتى في عين اليساريين أنفسهم !

حيث وضعت نائبة البرلمان الفرنسية اليسارية (كليمنتين أوتان) Clémentine Autain على حسابها في تويتر صورة لمسيحي ويهودي وبوذي بملابسهم الكاملة في البرلمان وتساءلت معها بلهجة ساخرة :

"بلاغ للمفتشين : مَن مِن النواب الأكثرية النيابية غادر اللجنة لأنه صُدم من هذه الملابس التي تمثل عدم احترام لمبدأ العلمانية ؟ ".[1]

---

(١) التغريدة على حسابها @Clem_Autain بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠٢٠م.

Avis de recherche. Quel.le député.e de la majorité parlementaire a quitté une commission car choqué par ces tenues vestimentaires considérées comme irrespectueuses du principe de laïcité

وبالطبع لا أحد ! هم يعترضون ويغادرون فقط من أجل الحجاب !

ولكي نتأكد أكثر من أنه كلما ابتعد الناس عن الدين : تحكمت فيهم تناقضاتهم الغريبة وتعارض أفكارهم : فها هي بريطانيا تبدأ في التوجس والخوف من التنانير القصيرة للفتيات في عمر تسع سنوات (حيث في ذلك السن المبكر قد تبلغ البنت وتحيض ويمكنها الحمل عند المعاشرة !) نقرأ في ذلك الخبر التالي من التليجراف في عام ٢٠١٣م بعنوان :

"تحظر المدرسة على الفتيات ارتداء التنانير القصيرة "غير المناسبة للسيدات المهذبات" ".

School bans girls from wearing 'unladylike' short skirts

هل نفهم من ذلك أن التي ترتدي التنورة القصيرة ليست سيدة مهذبة ؟ هل يستطيعوا قول ذلك صراحةً ؟! وقد جاء في العنوان الفرعي للخبر :

"تم منع الفتيات في سن التاسعة من ارتداء التنانير في المدرسة بسبب القلق من كونها صارت قصيرة جداً و "غير مناسبة للسيدات المهذبات" ".

Girls as young as nine have been banned from wearing skirts to school because of concerns they are getting too short and "unladylike."

ولا زلنا مع الطالبات في المدارس (تخيلوا كل ذلك مع طالبات في المدارس وما يثيره إبراز مفاتنهن وأقدامهن العارية وتنانيرهن القصيرة من مشاكل واستفزازات للذكور صغاراً وكباراً : فما بالنا بسوق العمل والشابات والنساء الكبيرات اليافعات مكتملات الأنوثة) ؟! إنها فطرة لا تتغير مهما أنكروها ...

ففي خبر آخر متناقض من الجارديان عام ٢٠١٤م نقرأ :

"إرسال مئات الفتيات اللاتي يرتدين تنانير ' قصيرة للغاية ' إلى المنزل لإعدادهن لـ ' عالم العمل ' ".

Hundreds of girls with skirts 'too short' sent home to prepare them for 'world of work'

أي إنهم أخذوا تبرير رفضهم بأن عالم العمل والمستقبل الذي ينتظرهن : ليس فيه مثل هذا التبرج والتعري السافر ! رغم أنه لو قامت موظفة بارتداء هذه الملابس المثيرة فغالباً لا يمكن لصاحب العمل الاعتراض وإلا لوقف القضاء والنسويات في صفها، وفتحوا في وجهه أبواق الإعلام ووسائل التواصل !

وقد جاء في العنوان الفرعي للخبر :

"قام المعلمون في أكاديمية (رايد) بجزيرة (وايت) إما بإرسال الفتيات – اللاتي تتراوح أعمارهن بين ١١ و ١٨ عاماً – إلى المنزل، أو إخراجهن من فصولهن الدراسية لوضعهن في قاعة منعزلة" !

Teachers at Ryde Academy on the Isle of Wight either sent home the girls, aged between 11 and 18, or took them out of their classrooms to be placed in an isolated hall.

يا إلهي ...! هل تعاملوا معهن كأنهن (وباء) (ضار) ؟! فهل هذه هي الفطرة عندما تحكم على نتائج وتوابع (التبرج والسفور والتعري) بالفعل دون رتوش أو نفاق أو تزوير وتزييف للحقائق ؟!

تفاصيل هذا الخبر كانت أكثر إثارة ! فهذه الإجراءات وقعت في حق ٢٥٠ طالبة بين ١١ و ١٨ عاماً، وأما المفاجأة : فهو أن ذلك تم قبل انتهاء العام الدراسي بخمسة أسابيع فقط ! يعني لم تستطع الأكاديمية الصبر لخمسة أسابيع أخرى حتى تغير سياستها في ملابس الطلاب ! يا له من أمر خطير .. ماذا لو فعلت ذلك إحدى مدارسنا أو كلياتنا اليوم ؟! الطالبات اللاتي تم حجزهن في قاعة خاصة : كن اللاتي ارتدين تنورات قصيرة جداً .. أما اللاتي تم إرسالهن إلى المنزل : فهن اللاتي جئن بسراويل ضيقة جداً ملتصقة بأجسادهن (يعني تجسم الجسم ومفاتنه كما نراها اليوم في كل مكان للأسف : وعلى رأسه عالم العمل الذي تحججت الاكاديمية بأنها تعد الفتيات له) !

وعلى هذا تم إرسال سياسة الملابس الجديدة :

- لا تنورات فوق الركبة – لا سراويل ضيقة - حذاء جلدي للأولاد.

هذا كان في ٢٠١٤م، وكان في أكاديمية لديها الشجاعة لمواجهة سخط الطالبات وأولياء الأمور الذين يسارعون في تعرية بناتهن ! أما في ٢٠١٥م فكان هناك حدث آخر أشد تعبيراً عن المعاناة العامة للرجال ! حيث كان البطل فيه هذه المرة أحد المعلمين الذي عندما تحدث (كرجل) مع طالبة حول تنورتها القصيرة جداً قالت له **"ليس من المفترض أن تنظر إلى ساقيّ"** ! وإليكم الخبر من الجارديان يقول :

"المدرسة تحظر الفتيات من ارتداء التنانير لأنها تجعل الموظفين الذكور "غير مرتاحين" !

School bans girls from wearing skirts because they make male staff 'uncomfortable'

وجاء في العنوان الفرعي للخبر :

"إجراء قمعي في أعقاب حادثة قيل فيها لمعلم ذكر "لا يجب أن تنظر إلى ساقيّ" من جهة فتاة كان يوبخها".

Clampdown follows an incident when a male teacher was told 'You shouldn't be looking at my legs' by a girl he was telling off

جيد أنهم لم يطردوه (حسب التفكير النسوي) ! وجاء الحظر عاماً على الطالبات اللاتي يرتدين تنورات قصيرة، حيث قاموا بدورهم مثل الحالة السابقة بإقرار سياسة جديدة للملابس، وعلى مَن يخالفها من الطالبات المراهقات يتم حجزهن في قاعة معزولة كما أفاد الخبر !

ليس ذلك فقط، بل قامت رئيسة المعلمين (سارة باشلي) Sarah Pashley باتهام الطالبات بأنهن يتعمدن الخروج عن الحدود بارتداء السراويل الضيقة جداً على الجسم !

أما عائلات الطالبات (وحسب تفاصيل الخبر) فقد اعترضوا على شيئين : الأول هو اضطرارهم لشراء (ملابس جديدة) حسب سياسة الدراسة المعدلة ومنع التنورات، والثاني أنه يجب تطبيق نفس المحظورات على (المعلمات) كذلك لأن منهن مَن ترتدي الكعب العالي والتنورات القصيرة والبلوزات القصيرة ! (من المفترض أن يعدوا المعلمات أيضاً لعالم العمل وفق أكاديمية رايد !).

كان هذا في ٢٠١٥م...

وحتى لا نطيل عليكم في تتبع (أخبار التنورات القصيرة) في عالم تحكمه نسويات متناقضات عدوات لأنفسهن وللفطرة :

فأختم بهذا الخبر عن ظاهرة رفع الأولاد للتنانير القصيرة للطالبات والفتيات (سواء في المدارس أو الشوارع) وتصوير ما تحتها بالهاتف أو ما يعرف بـ Up-skirting ! والآن : هل تتذكرون خبر الفتاة البريطانية من عام ٢٠٠٢م التي تم منعها من لبس البنطال ؟

اقرأوا معي هذا الخبر الآن من التلجراف أيضاً عام ٢٠١٨م يقول :

"تم إجبار فتيات المدارس على ارتداء سراويل قصيرة (شورت) تحت التنورات لوقف وقائع رفع التنانير، تحذير قائد المعلمين".

Schoolgirls are forced to wear shorts under their skirts to stop boys from 'upskirting', teachers' leader warns

وفي تفاصيل الخبر تعترف الدكتورة (ماري بوستيد) Mary Bousted رئيسة جمعية المعلمين والمحاضرين أن المدارس في ظل التحرش الجنسي المتزايد : "**لم تعد آمنة للفتيات**" ! .Schools are no longer safe for girls.

العجيب أنه أثناء كل هذه المعارك حول (قصر التنورة وتعرية الساقين وطول أو مقدار التكشف) للطالبات في بريطانيا نرى تحقيق المدارس الإسلامية لأعلى المراتب التعليمية ! وسبحان الله العظيم !

يملأ المتحررون المتفسخون أخلاقياً الدنيا صراخاً لخلع الحجاب والاختلاط ولتعرية الفتيات والشابات وأن ذلك هو (طريق التقدم) ! في حين يصمّون آذانهم ويغمضون أعينهم عن إنجازات الملتزمين والملتزمات في كل مكان ! والسؤال : ما دخل حجاب وحشمة وستر الطالبة في مقدار تحصيلها الدراسي ؟!

أم أنه عند هؤلاء المعترضين : تفهم النساء بشعورهن المكشوفة مثلاً ؟!

والإجابة : هم يعرفون أن الحجاب والحشمة وكذلك الفصل بين الجنسين في الدراسة وحتى العمل إذا أمكن : **هو مدعاة للتركيز والإنجاز...**

بل وعدم الانشغال بالمهاترات الجانبية واتهامات التحرش وفتنة الجنسين للآخر وتصورات الحب الزائف ومحاولات جذب الإعجاب والانتباه !

فمنذ تم اعتماد نظام التقييم في بريطانيا على أساس ما يحصله الطلاب على مدار العام وليس وفق نتائج اختبارات آخر العام فقط (والتي يمكن التلاعب فيها) : قفزت المدارس الإسلامية (خاصة الثانوية) إلى أوائل القوائم سنوياً، وكان من أبرز ذلك ما تم في عام ٢٠١٧م عندما احتلت مدرستان إسلاميتان مركزين من الثلاثة مراكز الأولى، لترفع بذلك تقييم المدارس الانتقائية Grammars school عن المدارس الشمولية Comprehensives لأول مرة .. نقرأ ذلك في خبر جريدة الصن Thesun.co.uk البريطانية بعنوان :

"أعلى التقديرات المدارس الإسلامية تدفع بالمدارس الانتقائية إلى الصدارة حسب ما نشره جدول ترتيب أفضل المدارس في البلاد".

TOP MARKS Muslim schools knock grammars off top spot as league table of country's best schools is published

مكتبة
t.me/t_pdf

وجاء في العنوان الفرعي للخبر :

" تظهر الأرقام الرسمية أن الطلاب ما زالوا يحرزون تقدماً أفضل في المتوسط في المدارس الانتقائية عن المدارس الشاملة ".

Official figures show students still make better progress on average in grammar schools than in comprehensives

حيث أحرزت المركزين الأول والثالث مدرسة الثانوي للبنات ومدرسة الثانوي للأولاد التابعتان لـ (منظمة التوحيد للتعليم) The Tauheedul Education في مدينة (بلاك بيرن) بمقاطعة (لانكشاير).

هذا في ٢٠١٧م، أما في ٢٠١٩م فإليكم مواصلة النجاح :

حيث صنفت الحكومة البريطانية ٣ مدارس ثانوية إسلامية في أول ٣ مراكز من بين ٦٤٨٩ مدرسة في قائمة الأفضل في البلاد من حيث جودة الأداء والخدمة التعليمية المقدمة لطلاب المرحلة الرابعة (المعروفة باسم Stage 4) ضمن القسم الثانوي (من سن ١٤ إلى ١٦ عاماً).

جاء في المركز الأول مدرسة (توحيد الإسلام للبنات) في مدينة (بلاك بيرن) بمقاطعة (لانكشاير)، وفي المركز الثاني مدرسة (عدن للذكور) في مدينة (برمنغهام)، وفي المركز الثالث مدرسة (عدن للبنات) في مدينة (كوفنتري) شمال غرب العاصمة لندن.

وأما المفاجأة : فهي تواجد ٤ مدارس إسلامية ضمن الـ ١٠ مراكز الأولى من القائمة ! وذلك بمجموع ٨ مدارس إسلامية ضمن الـ ٢٠ مركز الأوائل بشكل عام ! وهي جميعاً مدارس (أكاديمية) أي : تعد كل منها مؤسسة خاصة تدير شؤونها بنفسها وتعين موظفيها وتحدد مناهجها، لكنها تحصل على تمويلها من وزارة التعليم.

يمكننا قراءة التفاصيل من عناوين الأخبار مثل هذا الخبر في ٢٠١٩م من

موقع TRTworld بعنوان :

" **مدارس العقيدة الإسلامية تتصدر المجموعة في قائمة أفضل المدارس في المملكة المتحدة**".

Muslim faith schools lead the pack in UK top schools list

وفي العنوان الفرعي للخبر :

"**تم إحراز المراكز الثلاثة الأولى في ترتيب المدارس البريطانية بواسطة المدارس التي تقول إنها تدار وفقاً للقيم الإسلامية**".

Top three positions in a ranking of every British school were taken by schools which say they are run according to Islamic values.

وتركيز الخبر هنا على (القيم الإسلامية) هو (رد عملي) على التشغيبات التي كان يثيرها العلمانيون والنسويات كل فترة في وجه تلك المدارس بسبب بعض السلوكيات التي كانت توجهها للطالبات والطلبة مثل أهمية الحجاب وأهمية الابتعاد عن أغلفة الكراسات التي عليها رسومات أو صور تخالف القيم الإسلامية وغيرها. والآن ....

نترك كل ذلك لنختم هذا الفصل بالكلام التالي لـ (كاميل باليا) والتي تغرد في وادي آخر تماماً لخلع أي حماية أو وصاية أخلاقية في الجامعات على الطالبات ! حتى إذا وصل الأمر إلى سماع الكلمات الفاحشة في أغاني جنسية فجة .. ودعوتها لأن تتعاطى الطالبات مع كل ذلك بأريحية بل : ويتفننّ في الرد عليها بالفحش والبذاءة مثلها ! تقول :

"علاوة على ذلك، فإننى مهتمة بشكل خاص بما أعتبره تراجعاً في أسلوب الكلام لدى النخبة من نساء الشمال اللاتى يمثلن اللسان الناطق باسم الحركة النسوية، ولكن يبدو أن صوقمن في الجامعات ضعيف جداً، وهذا قد يكون بسبب أنهن من الطبقة الثريَّة، حيث نشأن وتربين في المدن النظيفة المليئة بمراكز التسوق. إن الرعاية المفرطة والتدليل الزائد للفتيات من الطبقة الثريَّة داخل المنازل قد تغلغل في جامعات الشمال باهظة الثمن بسبب تدليل مديرى الجامعات، وفرضوا الآن بشكل روتيني قيوداً على الحديث والخطاب الجامعي مراعاة للياقة السياسية حول مسائل الجنس والجندر.

على سبيل المثال، قبل ثلاث سنوات، تسبب حادث صاخب في جامعة (ييل) في عاصفة قوية أدت إلى إيقاف أسرة **DKE** لمدة خمس سنوات. واحتج مركز ييل النسائى على أن الاتفاقات كانت مطلوبة لترديد أناشيد إباحية في الحرم الجامعي القديم المقدّس، الذى يحيط به مساكن الطلاب الجدد. هذه الأسطر المبتذلة (التى لا يمكننى أن أكررها هنا) كانت تُدعى "خطاب الكراهية"، لكنها كانت في الواقع تهزأ بالشعار النسوى "لا تعني دائماً لا" عندما تباطأت إدارة ييل في الرد، تقدم ستة عشر طالباً من طلاب جامعة ييل والخريجين الجدد بشكوى إلى مكتب التعليم في وزارة الحقوق المدنية بالولايات المتحدة، وتراجعت الجامعة عن قرارها. وكما هو متوقع، فقد تم تشكيل لجنة جديدة متخصصة في الشكاوى المتعلقة بسوء السلوك الجنسى.

إن هذا النظام – المقبول دولياً الآن – من المراقبة الأكاديمية والتحكم في حياة الطلاب الخاصة غير معترف به فعلياً في أوروبا.

في رأيي، في حين يجب أن تحكم المبادئ التوجيهية الخاصة بالجنس العلاقة الإشرافية بين المعلمين والطلاب، إلا إنه يجب ألا تتدخل إدارات الكليات في حياة الطلاب خارج الفصل الدراسى إلا إذا وقعت جريمة، وفي هذه الحالة يجب استدعاء الشرطة.

ولكن فيما يخص موضوعنا الحالى، لماذا تلجأ النسويات - المستقلات ذاتياً - إلى السلطات للحصول على المساعدة، خاصةً في تلك الحوادث التافهة التى تكون البينة فيها مجرد كلمات خرجت عرضاً عن غير قصد وبحسن نية ؟

قاتل جيلى من النساء في الستينيات من القرن الماضي لإبعاد رجال السلطة الأبوية عن حياتنا في تلك الحقبة التي كانت تسودها القواعد الصارمة، وذلك عندما أرادت الكليات أن تقوم بدور أولياء الأمور وتتسلط على الطلاب. وبدلاً من أن نهرع إلى السلطات كمجموعة من

الرجال الثائرين، كنا قد شننا هجوماً مضاداً، وقمنا بالرد بلغة أكثر سخافة مستغلين هفوات وحماقات الرجال. لدى نسويات الشمال الكثير ليتعلموه من العروض الرائعة التى قدمتها (ديكسي كارتر) من ولاية (تينيسى) مثل شخصية (جوليا شوجار بيكر) في المسلسل التليفزيونى **Designing Women** الذي عرض على قناة **CBS** في أتلانتا من ١٩٨٦م إلى ١٩٩٣م.

لقد نال هذا المشهد المتكرر إعجاب المشاهدين حيث كانت (ديكسى) تتحدث بقوة وصرامة منقطعة النظير إلى المجرمين الأوغاد دون أن تفقد أبداً كرامة السيدة الجنوبية الحقيقية. في الديمقراطية، يجب مواجهة الخطاب

العداوني بخطاب أقوى، وليس بالاحتكام الطفولي لرجال السلطة".[١]

مرة أخرى تستشهد (باليا) بالأفلام والمسلسلات وبطولاتها الخيالية في أغلبها ولا تناسب أكثر النساء : لتضع الطالبات الشابات والنساء في أكثر من مأزق يناقض طبيعتهن وفطرتهن خاصةً في مواجهة الرجال، والسؤال :

بعد كل هذه الأعوام (عشرات الأعوام) من نفخ (باليا) في هذه الروح القتالية (الخيالية) المزعومة في النساء :

هل ازدادت الأمور تحسناً في الخارج للنساء ؟ في الغرب نفسه ؟ في معقل الحركات النسوية والموجات العاتية التي تدعمها التشريعات والقوانين ؟ أم أن إنجازات النسوية المتحررة والمصادمة للفطرة هي أشبه بالطفل الضعيف الذي يستقوى على الناس بقوة عسكرية وقضائية تحميه من حوله ! ولولاها ما سكت عليه أحد ... وبسببه تعاني النساء الأمرّين ؟

هذا ما سنتعرف على بعض مآسيه الآن للأسف ....

---

[١] من محاضرة (نساء الجنوب : أساطير قديمة وآفاق جديدة) – مصدر سابق.

العنف ضد المرأة .. والاغتصاب

في عام ٢٠١٤م نشر موقع (وكالة الاتحاد الأوروبي للحقوق الأساسية) fra.europa.eu تقريره الصادم بعنوان :

"**العنف ضد المرأة : في كل يوم وفي كل مكان**".

Violence against Women: every day and everywhere

التقرير يعد الأكبر من نوعه... والمتهم الرئيسي فيه الرجال. حيث تم إجراء مقابلات مع ٤٢ ألف امرأة من ١٨ دولة من الاتحاد الأوروبي European Union (EU).

وسوف أتحدث بعد قليل عن بعض الأسباب (من وجهة نظري الخاصة وخبرتي في عدد كبير من المشاكل الزوجية التي عرضت عليّ)، لكني أولاً أرغب في توضيح حجم المأساة الحقيقية التي أدخلتها النسويات والفكر المتحرر ونتائجه في حياة المرأة وأين ؟

في أرقى الدول الأوروبية التي يقاس فيها مستوى الرفاهية للمواطن وسعادته بمدى التحرر من قيود الدين والعرف والأخلاق !

ففي تقرير عام ٢٠١٥م الذي نشر عنه الموقع المتخصص (يوروستات) ec.europa.eu/eurostat عام ٢٠١٧م حول جرائم العنف الجنسي المسجلة رسمياً ضد المرأة بعنوان :

"**جرائم العنف الجنسي المسجلة في الاتحاد الأوروبي**".

Violent sexual crimes recorded in the EU

وفي التفاصيل نقرأ عن تسجيل قرابة ٢١٥ ألف جريمة عنف جنسي في عام ٢٠١٥م. ثلث هذه الجرائم (أي ما يقرب من ٨٠ ألف حالة) كان جرائم اغتصاب !

في **بريطانيا** كانت أعلى نسبة (في إنجلترا وويلز) حيث وصل عدد جرائم العنف الجنسي ٦٤,٥ ألف، منها ٣٥,٨ ألف حالة اغتصاب (أي ٥٥ % من الحالات)، يليها **ألمانيا** (بلد المستشارة أنجيلا ميركيل) بعدد ٣٤,٣ ألف جريمة عنف جنسي، منها ٧ آلاف حالة اغتصاب (أي ٢٠ % من الحالات)، ثم تليها **فرنسا** (بلد الحريات) بعدد ٣٢,٩ ألف جريمة عنف جنسي، منها ١٣ ألف حالة اغتصاب (أي ٤٠ % من الحالات)، وأخيراً **السويد بعدد** ١٧,٣ جريمة اعتداء جنسي، منها ٥,٥ ألف حالة اغتصاب (أي ٣٣ % من الحالات)

أما إذا أردنا مقارنة عدد جرائم العنف الجنسي والاغتصاب بالنسبة إلى عدد السكان، فنجد أنه بالنسبة لكل ١٠٠ ألف نسمة :

١٧٨ جريمة عنف جنسي في **السويد** – تليها ١٦٣ في **اسكتلندا** – تليها ١٥٦ في **أيرلندا الشمالية** – تليها ١١٣ في **إنجلترا وويلز** – تليها ٩١ في **بلجيكا** .. أما بالنسبة لحالات الاغتصاب لكل ١٠٠ ألف نسمة :

٦٢ اغتصاب في **إنجلترا وويلز** – يليها ٥٧ في **السويد.**

مع الملحوظة التالية من الخبر والتي تشير إلى أبعاد أخطر للأسف وهي : أن كل هذه الأرقام هي (المبلغ عنها رسمياً فقط) ! يقولون :

"يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن الأرقام لا تعكس بالضرورة العدد الفعلي لجرائم العنف الجنسي. بل تُظهر إلى أي مدى يتم الإبلاغ عن هذه الجرائم وتسجيلها من جهة الشرطة. لذلك فإن الاختلاف بين البلدان يتأثر أيضًا

بالوعي العام وبالمواقف تجاه جرائم العنف الجنسي".

هذا الوضع في ٢٠١٥م، وأما في ٢٠١٧م فيواجهنا خبر على موقع BBC بالعربية يقول :

"**ماكرون : عار على فرنسا أن تُقتل امرأة كل ثلاثة أيام**".

حيث تحدث بحماسة عن تشديد العقوبات والقيود على العنف ضد المرأة ومسألة (القبول) في الجنس أو (التراضي) –كل ذلك ولا يقترب من أقوى الأسباب للأسف مثل التمسك بالأخلاق أو تبرج النساء وهي أسباب فطرية يدركها كل عاقل - بل وحتى موضوع القبول أو التراضي يعد تناقضاً في كلامه لأنه قبل خطابه ذلك وقعت حادثتان شهيرتان في فرنسا لرجلين بالغين أقاما علاقات جنسية مع فتاتين في سن ١١ سنة ! حتى إن إحداهما حملت وأنجبت ! ولم تستطع المحكمة عقابهما بتهمة (الاغتصاب) لعدم ثبوت الإكراه في الحالتين، وقال أحدهما أن الفتاة كذبت عليه بشأن عمرها الحقيقي (لأن سن التراضي في فرنسا هو ١٥ سنة في العلاقات الجنسية لكن الزواج ١٨ سنة !) نقرأ عن الحادثتين في خبر من نفس موقع BBC العربية عام ٢٠١٧م بعنوان :

" **فرنسا تدرس تغيير قوانين "ممارسة الجنس" لحماية الفتيات الصغار** ".

وأما في عام ٢٠١٩م فنقرأ خبراً صادماً من موقع فرانس ٢٤ France24 الشهير النسخة العربية بعنوان :

" **العنف ضد النساء : اغتصاب امرأة كل ٧ دقائق في فرنسا والأمم المتحدة ترفض الإفلات من العقاب**".

طبعاً العنوان يتحدث عن نفسه، مع تسليمنا بأن هناك مبالغات أحياناً في توصيف بعض الأفعال والاعتداءات لتضخيمها من جهة النسويات (مثل

الاغتصاب الزوجي الذي علقت عليه من قبل)، لكن في العموم كل هذه الأخبار من دول ينظر إليها المخدوعون على أنها دول (التقدم والتحضر والرقي وحقوق المرأة) : هي مفزعة بكل المقاييس ! وهي لأناس **ليس لديهم قرآناً فيه آية (ضرب النساء) كما يحلو لأعداء الإسلام اتهامه بها !**

والشاهد : العنف له أسباب عديدة، وبالطبع أكثر حوادث العنف ضد المرأة (الجسدي) أو (الجنسي) أو (النفسي) هي من الزوج أو حتى العشير والشريك الحميم الذي يعيش معها ويعاشرها بدون زواج، ويمكن ذكر عدة أسباب للعنف كالآتي - من واقع اطلاعي وخبرتي الشخصية - :

١- **شرب الخمر والاستقواء الجسدي والاستغلال الجنسي** من رجال غير منضبطين نفسياً وأخلاقياً على الزوجة الضعيفة بطبيعتها أو على الشريكة أو الرفيقة - أو حتى على بناتهم أو بناتهن للأسف.

٢- **عدم انضباط سلوك المرأة وملابسها الكاشفة** مما قد يتسبب لها - بجانب الاعتداء عليها خارج البيت - في مشاكل وشجارات الغيرة والتخوين أو الشك من الزوج أو العشير أو الشريك الحميم، خصوصاً علاقاتها بالرجال الآخرين خاصة المدراء أو زملاء العمل، أو مَن تختلي بهم أو تسافر معهم، أو مَن يتصلون بها أو تتصل بهم.

٣- **انخداع المرأة بالخطاب النسوي المحفز للندية والقوة وممارسته في** وجه زوجها أو عشيرها وشريكها الحميمي، مما يجعلها تقف أمامه وقت الشجار وذروة الغضب دون تصور لما قد يفعله الرجال في تلك المواقف بطبيعتهم (ومن هنا يقع الضرب المبرح الذي قد يفضي إلى إصابات بالغة أو القتل) ! خصوصاً مع غياب رادع الدين.

٤- **عدم تربية المرأة على فهم طبيعة الزواج وطبيعة الرجل** (متطلباته النفسية والعاطفية)، مما يجعله يعاني كثيراً في حصوله على حقوقه منها (خاصة حق الطاعة وحق الاستمتاع الجنسي)، وهو ما يثير غضب الرجال بشكل فطري دون أن تنتبه النساء إلى خطورته وفداحته لعدم توعيتهن به عكس تاريخ البشرية الماضي، حيث كانت تتلقى فيه الابنة أو الفتاة هذه التعاليم على يد أمها أو جدتها أو أخواتها أو صويحباتها وقريباتها ويتواصين به وهكذا.

٥- **انتشار النماذج الخيالية المغلوطة** للرجال عن النساء وللنساء عن الرجال، وذلك بفعل مئات الأفلام والمسلسلات بالإضافة إلى الإباحية وغيرها، والتي تجعل كل من الرجل أو المرأة حبيساً في أفكاره لنماذج غير موجودة في الحقيقة عن الطرف الآخر ! (مثل نموذج الزوج أو الشريك المراعي العاطفي الرومانسي في كل الأوقات وكل الظروف دون النظر لتعبه في الحياة – ونموذج الزوجة أو الشريكة المثيرة جنسياً على الدوام التي لا هم لها ولا شاغل إلا راحة وسعادة زوجها دون النظر لتعبها في أعمال البيت ومع الأبناء أو تعبها في العمل كذلك إذا وجد). كل هذا يعمل على تنامي حالة الإحباط ثم الاحتقان المفضي إلى مشاكل متفرقة وشجارات !

٦- **الجدال المستمر من المرأة** لزوجها أو عشيرها وشريكها الحميمي ومراجعتها له في كل كلمة وأمر ونهي مهما كان كبيراً أو صغيراً (تظن أن ذلك علامة على نسويتها وقوة شخصيتها التي يجب أن تحوزها في حياتها معه)، كل هذا يدفع الرجل مع الوقت إلى عدم الحديث معها لمخالفة ذلك الوضع لما عليه طبيعته في بيته مع امرأته (ويزداد

الطين بلة إذا كانت تتعالى عليه بمشاركتها في الإنفاق على المعيشة والبيت بشكل يساويه أو أكبر منه كما قلنا سابقاً) والنتيجة غياب لغة الحوار بينهما تماماً مع الوقت وانغلاق كل منهما على نفسه، يقضي أوقاته (حلوها ومرها) على وسائل التواصل أو مع الأصدقاء، مع تخزين وتراكم إحباطي مستمر من هذا الوضع (خاصة للرجل) يتم التنفيث عنه في شكل شجارات على فترات، قد تتصاعد حدتها وخطورتها مع تكرارها وبدون العلاج الحقيقي.

هذا ما يحضرني الآن، وقد ركزت على لحظات انفجار الرجل في الغضب أو الشجارات الناتجة عن الإحباطات المستمرة والمتراكمة لأنه **هو الأخطر**، وهو الذي يفضي أكثرها إلى **إصابات بالغة أو قتل المرأة للأسف**، ولكي ندرك أن طبيعة الرجل مختلفة عن طبيعة المرأة عند الغضب، وأنه لن ينفع المرأة في الواقع لا تدريبات قتالية ولا دورات دفاع عن النفس إلا نادراً (لأنه لن تفعله كل النساء بطبيعتها)، بعكس الرجل الذي من طبيعته الخشونة والضرب (من دون الحاجة إلى أي تدريبات قتالية أو دورات متخصصة)، فاقرأوا معي الموقف التالي :

في إحدى المرات تواصلت مع زوج وزوجة ملتزمين دينياً يشهد لهما الناس بالأخلاق، كانت مشكلة الزوج أن زوجته يعلو صوتها كثيراً بالصراخ في الأبناء في المنزل، وبصورة صار يستحي منها، وغاب معها معنى الهدوء اللازم لراحته من عناء العمل (الزوجة لا تعمل)، ومهما تكلم معها وينصحها لا جدوى، وفي إحدى المرات وأنا معهما كان يلومها قائلاً فيما معناه :

"كل ذلك بسبب عدم استماعك لي وطاعتك لكلامي، لقد أخبرتك منذ طفولتهم أن تضربيهم ضرباً خفيفاً حتى يكون لديك نصيب من (الخوف) بجانب المحبة في نفوسهم منذ الصغر ، فيكبروا ويكبر خوفهم منكِ معهم :

فلا تحتاجين إلى كل هذا الصراخ في كبرهم كما يحدث اليوم ! انظري إلى حالي : مجرد تهديدك لهم بي يكفي لينصاعوا لأمركِ مباشرة خوفاً مني، رغم أني لا أكاد أضرب أحداً منهم الآن إلا على فتراتٍ متباعدة، لكن ذلك كان يكفيهم ليحتفظوا بقدر من الخوف تجاهي يريحني، فلا أضطر إلى الصراخ مثلك وهم يأمنون جانبك وكأنكِ طفلة مثلهم" !

بالطبع يحتاج كلامه إلى تحليل ورد من نواحي عديدة، لكن ما يهمني هنا هو ذلك الفارق الذي يعرفه أكثرنا بالفعل وهو : نزوع الأب أو الزوج أو الرجل عموماً إلى حل المشاكل بـ (العنف) أو بـ (القوة) المباشرة إذا تعذر التفاهم أو تأخر رد الفعل أو الاستجابة، في حين يعارض ذلك طبيعة المرأة أصلاً، فلا تراها تلجأ إلى العنف ولا القوة إلا نادراً، وغالباً إذا وقع سيكون في حالة فقدان الأب أو الزوج، ويحل محل ذلك منها الصراخ والشكوى.

هذا الموقف يترجم لنا ما يقع بالفعل أثناء الشجار بين زوج وزوجته، وأنها لو لم تعي هذه الحقيقة فهي تقف فعلياً على بعد خطوات قليلة من رد فعل (قوي) أو (عنيف) لا تتوقعه (أو لا تتصوره مهما قيل لها عنه مُسبقاً). ومن هنا ندرك : لماذا لم يتجاهل القرآن أو الإسلام تلك (الطبيعة) الفطرية في الرجل، فهي طبيعة لازمة له بسبب دوره في الحياة وفي القتال وفي الحروب، طبيعة صلبة تتناسب مع طبيعة الحياة المضبوطة لتنفيذ هدف معين سواء كان في جيش أو حتى في فريق ألعاب ! طبيعة لا تتهاون مع النشوز والجدال المضيع للوقت والمشتت لسرعة الاستجابة أو التنفيذ، لكننا نرى القرآن عالج ذلك بتهذيبه في الرجل بشيئين...

الأول : أنه جعل (**مرحلتين**) واجبتين قبل الاضطرار إلى الضرب.

الثاني : أنه حدّ هذا الضرب بأن يكون (**غير مبرح**)، ضرب لغرض نفسي

تربوي وهو إظهار استياء الزوج والذي وصل معه إلى هذه المرحلة للأسف، وليس غرضه التكسير أو التحطيم أو التعذيب.

فكل مؤسسة أو نظام :

يقوم على وجود (قائد مطاع) لديه من معلومات تسيير العمل وظروفه ما لا يعلمه الموظفون، والمرأة ترضى بذلك إذا عملت في أي وظيفة، فتطيع المدير أو رئيسها المباشر ولا تشذ عن أوامره ونواهيه، ولا تجادله وتستفسره في كل شيء، وإذا فعلت بغير حق : فقد تعرّض نفسها للعقاب، وكذلك عقد الزواج في الإسلام، هو قائم على هذا الدور للزوج (أي دور القائد) الذي لديه من معلومات تسيير البيت ما لا تعلمه زوجته بالضرورة، ومن هنا ندرك أهمية عقد الزواج الذي وافقت عليه الزوجة. فأما المرحلتان الواجبتان قبل اضطرار الزوج للضرب (وتذكروا أننا نتحدث هنا عن حالة النشوز فقط وليس مع كل خلاف، والنشوز هو العصيان المنذر بنهاية الأسرة أو الزواج) فكل مرحلة منهما تخاطب جانباً من المرأة : المرحلة الأولى تخاطب **عقلها** : وهي الوعظ والنصح بالكلام، ثم المرحلة الثانية تخاطب **عاطفتها** : وهي هجرها في الفراش أو المضاجع وعدم الاقتراب منها أو التجاوب معها .. وفي ذلك ألم نفسي لها. فإذا لم يصلح خطاب **العقل** ولا خطاب **العاطفة** فيأتي أخيراً الخطاب **الحسي** المادي وهو الضرب الخفيف أو الظاهري **غير المبرح**، الضرب التربوي وليس الانتقامي، الضرب الذي ينقل للزوجة الشعور بالاستياء منها دون الإضرار بها جسدياً في الحقيقة، مع مراقبة الله في عدم الزيادة أو التمادي أو البغي، يقول تعالى :

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ سورة النساء – ٣٤.

جاء في تفسير (الطبري) عن (ابن عباس) رضي الله عنه :

"**قال : تهجرها في المضجع، فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضرباً غير مبرح، ولا تكسر لها عظماً، فإن أقبلت، وإلا فقد حل لك منها الفدية**".

ونقل (الطبري) نفس القول (أي الضرب غير المبرح) عن (عطاء) و(قتادة) و(الحسن) وقد ذكر في تفسيره لـ (غير مبرح) عن (قتادة) أنه :

"**غير شائن**"، أي لا تعاب به المرأة، وعن (ابن عباس) أنه :

"**ضرب بالسواك ونحوه**"، والسواك هو عود خشب الأراك الصغير الذي يستخدمه المسلمون في تنظيف الفم والأسنان ! إنه مجرد إشعار للزوجة بأنه فاض الكيل من زوجها في عدم طاعتها له أو نشوزها عنه، بل وحتى ضرب الوجه أو صفع الوجه فهو منهي عنه بأمر رسول الله (حتى للحيوان) ! فأين هذا الدين العظيم الذي وضع ضوابط للضرب (إذا وقع) بهذا الشكل ؟ لأنه ليس حتى كل المسلمين يضربون !

لذلك لم ينتشر بين المسلمين ما ينتشر في غيرهم من الأمم والأديان من الضرب المبرح للنساء : ولن تجده يزداد بينهم اليوم في عصرنا الحديث إلا مع الإبعاد المتعمد لتعاليم الإسلام عنهم، لأنه يمكننا القول بكل أمانة أنه :

كلما زاد إيمان الرجل وتدينه والتزامه بأخلاق الدين وتعاليم القرآن والسنة : كلما كان أقل ضرراً بالمرأة ليس في الضرب فقط أو جسدياً فقط وإنما : عاطفياً ونفسياً كذلك، كيف لا وقدوته الأعلى (مُحمَّد) صلى الله عليه وسلم تقول عنه زوجته أمنا (عائشة) رضي الله عنها كما في صحيح مسلم :

"ما ضَرَبَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ شيئًا قَطُّ بيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبيلِ اللهِ".

كما استنكر رسول الله أن يضرب الرجل زوجته كما يجلد العبد ثم يضاجعها (أي يجامعها) في آخر يومه كما لو لم يقع منه شيء ! فقال كما في صحيحي البخاري ومسلم :

"يَعْمِدُ أحَدُكُمْ، فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِن آخِرِ يَومِهِ".

وللمرأة إذا تضررت من ضرب زوجها أن تلجأ إلى القاضي أو الحاكم، فضرب الزوجة إما أن يكون (**مشروعاً**) أي وفق ما جاء في القرآن وفسره الرسول والصحابة والتابعين بأنه (غير مبرح)، وهذا لا شيء فيه على الزوج، وإما أن يكون ضرباً (**غير مشروع**) وهو الذي يكون فيه التجني والمبالغة سواء بالضرب الشديد أو باستخدام آلات أو أشياء تتسبب في الإصابة أو العاهة أو الموت، وهذا يكون فيه عقاب على الزوج حسب الحالة، يتدرج من القصاص بالقتل إلى الدية ونحوه.

إذن ... في الحقيقة الإسلام احترم المرأة ووقف في صفها عندما جعل لهذه النقطة الهامة في حياتها الزوجية : نصيباً واضحاً من القرآن والسنة **يعظ فيه الرجال**، بل ولا زال السلف وعلماء الأمة **يقيسون مروءة الرجل بعدم تعديه على النساء أو مجارتهن في كلامهن أو استفزازاتهن التي تكون غير مقصودة غالباً** (خصوصاً مع الغيرة التي في طبعهن، لذلك قالوا : أن الغيراء لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه) بل وامتدحوا التغافل وعدم تصيد كل أخطاء المرأة !

وقد عمل النبي ﷺ على تغيير المفاهيم مثل مفهوم القوة والقدرة على

المصارعة التي تستهوي الرجال، فسأل أصحابه ومَن معه يوماً قائلاً :

" **ما تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ ؟ قالَ** (أي الرواي) **قُلْنا : الذي لا يَصْرَعُهُ الرِّجالُ، قالَ : ليسَ بذلكَ، ولَكِنَّهُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**" كما في صحيح مسلم وغيره.

ليس هذا فقط، بل يرشدنا النبي إلى خطأ الذي ينظر دوماً إلى أسوأ ما في زوجته من طباع أو صفات، ويترك النظر إلى أحسن ما فيها فيفركها (أي يكرهها) من أجل ذلك .. فيقول كما في صحيح مسلم :

" **لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مؤمنة، إن كَرِهَ منها خُلُقًا، رَضِيَ منها آخَرَ**".

فالمرأة ليست كالرجل في صلابة تصرفاته وردود أفعاله، ذلك أن طبيعة مهمتها هي الحنو عليه وعلى الأبناء : تماماً كالضلوع التي تنحني في الصدر لتحنو على القلب وتحميه، فهذا الاعوجاج الذي في انحنائها ليس عيباً فيها على الحقيقة .. وإنما يناسب وظيفتها، وكذلك المرأة، تنحني عاطفة تصرفاتها وردود أفعالها لتستطيع القيام بما يعجز عنه الرجل !

فالرجل رغم محبته الكبيرة لأبنائه خاصة الصغار المواليد منهم : إلا أنه لا يستطيع تحمل بكائهم أو صراخهم بجواره لأكثر من خمس دقائق (وكلنا – كرجال – نعرف ذلك ومررنا به)، لكن تستطيع المرأة تحمل كل ذلك وأكثر منه، بل والبقاء بجوارهم طوال الليل إذا تطلب الأمر، إنها تلك العاطفة الجياشة داخلهن، نفس الأمر بالنسبة إلى تحمل تنظيفهم وتغيير ملابسهم أو حفاضاتهم ونحوه، كل ذلك تقوم به المرأة بطيب خاطر وكأنهم جزء منها (ولعل ذلك من حكمة الله في تعب المرأة ٩ أشهر في الحمل ثم الولادة لترتبط بأقوى عاطفة بشرية مع أبنائها)، لكن لا يستطيع الرجل ذلك بطبيعته وفي الأوضاع العادية

دون الاضطرار (لذلك يكثر في الرجال الزواج بعد موت زوجاتهم أو الطلاق ليجد مَن تعتني بأبنائه، خصوصاً مع عمله وسعيه على الرزق وهكذا).

وفي هذا يوصي رسول الله ﷺ الرجال بالنساء قائلاً في الحديث الصحيح المتفق عليه :

"اسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ، فإنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وإنَّ أعْوَجَ مَا في الضِّلْعِ أعْلاَهُ، فإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وإنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أعْوَجَ، فاسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ".

وفي الحديث إشارة للرجل ليرضى بما عليه المرأة، وألا يحاول تطويعها مائة بالمائة عكس طبيعتها كما يتخيل لتصبح مثل الرجال في تصرفاتها واستجابتها له وإلا كسرها (لأن الضلع لن يستقيم بل سينكسر) لذلك جاء في رواية أخرى :

"وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا طَلاَقُهَا".

وهو وصف عظيم المعنى عميق المغزى لما يصيب المرأة بالطلاق.

ليس من المفترض أن يسوء حال كل طلاق للمرأة، لكن إذا وقع ذلك وكان هناك خلافات وتقصير منها أو من زوجها : فلتجعل الطلاق حلاً أخيراً بالفعل **(على اعتبار أنه ساعتها سيكون أقل الضررين لأن ما بعد الطلاق فيه ضرر غالباً بالمرأة نفسياً ومادياً)**، وعلى المرأة ألا تستسهل الطلاق أو تستخف به خصوصاً مع الإغراءات النسوية في وجه كل زوجة مع أقل إشكال بينها وبين زوجها، وتصويرهن الزائف لقوتها وقدرتها العاطفية على التحمل والاستمرار بعد الطلاق (لذلك جعل الإسلام العصمة أو أمر الطلاق في يد الرجل لا المرأة).

حيث تجد أغلب المطلقات كل ذلك سراباً للأسف بعد الطلاق.

نعم الطلاق حل ناجع في حالات معينة ولن تموت معه المرأة بل قد يكون فيه حياتها ! لكنه حل (أخير) يجب أن يأتي بعد استنفاد كافة الحلول بين الزوجين للإصلاح، وخير مَن يُحذر المرأة من الاستخفاف به هو مطلقة بالفعل، شرط أن تكون صادقة معها تحب لها الخير، لا أن تكون من اللاتي لا يهدأ بال إحداهن حتى يصيب غيرها ما أصابها فلا يكون لهن تميزاً عليها ! (بعض النفوس كذلك للأسف سواء في الرجال أو النساء).

لقد كرم الله الأم (**كامرأة لها أكبر الفضل على الإنسان**) أيما تكريم قرآناً وسنة، وكذلك ذكر النبي ﷺ فضل تربية البنات وإعالتهن والنفقة عليهن **والصبر على مطالبهن ولأواهن** وما يتطلبه ذلك من إحاطة بطبيعة الأنثى المترددة **لأنها تسعى دوماً نحو الأجمل والأكمل**، فالرجل (على سبيل المثال) قد ينهي اختيار طلباته من الملابس والاكسسوارات في ساعة واحدة من يوم واحد، في حين قد تستغرق المرأة ساعات بل أيام ! لذلك السعيد مَن رزقه الله ابنة **يتعلم معها كيف هي طبيعة المرأة كأنثى منذ الصغر**، والتي تظل بنفس رقتها مهما كبرت.

(كاميل باليا) والعنف والاغتصاب

عندما يميل الإنسان (بهواه) إلى رأي ما : فإنه يتعامى عن كل حقيقة ظاهرة للعيان تخالف هذا (الهوى) .. رأينا ذلك كثيراً في الملحدين وهم ينظرون بعين (الهوى) لبديع خلق الله في الإنسان والكائنات الحية ثم (يزعمون) أن كل ذلك ليس دليلاً على الصانع ! وكذلك رأيناه في المروجين للشذوذ الجنسي عندما يوضع أمامهم الحقائق العلمية على أن الشذوذ ليس (صفة جسدية أساسية لا يمكن تغييرها) فيرفضون ذلك ويتمسكون بأكذوبة أنه صفة

جسدية لا يمكن تغييرها مثل لون البشرة وطول القامة !

وليس من المصادفة أن تسير آراء (باليا) على نفس المنوال من اتباع (الهوى)، فهي (ملحدة) و(شاذة) معاً ! فبحجة الحريات تستنكر خطورة الخمر أو الكحول الذي يذهب بالعقل في جرائم اغتصاب الطالبات والاعتداء على الزوجة والأبناء (بل الحقيقة أن اعتداء النساء كذلك في الخارج على أزواجهن أو شركائهن أو أبنائهن يكون أكثره بتأثير الخمر أو المخدرات) !

ثم تستنكر كذلك دور المواد الإباحية وما فيها من تغذية بشتى الأفكار القذرة عن معاملة النساء والعنف الجنسي معهن : في جرائم الاعتداءات الجنسية والتحرش والاغتصاب !

كل هذه العلاقات لا ينكرها عاقل، لكن تنكرها (باليا) فتقول :

"لا تزال الأطروحة الأساسية للحركة النسوية المبكرة مثيرة للغضب حتى اليوم. أنا نسوية مناصرة لمبدأ المساواة، وهذا يعني أنني أؤمن بالمساواة بين الجنسين أمام القانون وإزالة جميع العقبات التي تحول دون تقدم المرأة في المجتمع. ومع ذلك، فأنا أعارض فرض حماية خاصة على النساء والتي كانت سعت إليها منذ البداية بعض النسويات البارزات. إن ما تم تجاهله بسهولة هو أنه حتى أنبل النسويات التي كافحت للفوز بحق الانتخاب – مثل (سوزان ب. أنتوني) التي كانت ناشطة أيضاً في حركة الاعتدال : الحملة "الصليبية" الشرسة لحظر بيع الكحول في الولايات المتحدة – كانت تنظر إلى قضية تناول الكحوليات على أنها قضية تمس المرأة، لأنه كان يُعتقد أن رجال الطبقة العاملة يهدرون النفقات المخصصة للمنزل على الشراب، ولأن إدمان الكحول يُعتبر سبباً رئيسياً في ضرب الزوجة

وإساءة معاملة الأطفال وبالتالي تدهور الحياة الأسرية. هذه النبرة المحافظة المتشددة متجذرة بقوة في الثقافة الأمريكية التي يرجع تاريخها إلى تأسيس "نيو إنجلاند" من جهة اللاجئين البيوريتانيين والمهاجرين الأوائل الذين ما زالت ذكراهم حاضرة في عطلة عيد الشكر الوطنية.

ربحت حركة الاعتدال القضية في عام ١٩١٩م بالتصديق على التعديل الثامن عشر للدستور، والذي أدى إلى ١٤ عاماً من حظر الكحوليات في الولايات المتحدة. تسبب حظر بيع المشروبات الكحولية في ظهور السوق السوداء، حيث كان هناك الكثير من الأعمال الهائلة من التعبئة وبيع الكحوليات تُنفذ على نطاق واسع. كما ساعدت على نشأة منظمات إجرامية دولية تحولت في النهاية إلى تجارة المخدرات. لا نزال ندفع ثمن هذه المحاولة الغبية التي قامت فيها الحكومة الأمريكية بالتطفل على حياة الناس الخاصة. ويجب أن يسجل التاريخ الثقافي ويعترف بالدور المخزي الذي لعبته المنظمة النسوية في هذا القرار الخاطئ.

تكررت قضية حركة الاعتدال مرة أخرى بعد قرن من الزمان في الحركة النسوية من جهة المدرسة الفكرية التي تمثلها كل من (كاثرين ماكينون) و(أندريا دوركين)، لكن مع استبدال الكحول بالمواد الإباحية. وقد انقسمت النسوية حيال هذه المسألة. فمن منتصف سبعينيات القرن العشرين وحتى أواخر الثمانينيات، كان التيار المناهض للمواد الإباحية في أوج قوته. حيث قامت (ماكينون) و(دوركين) بترجمة معارضتهما للمواد الإباحية إلى سن تشريعات محلية في ولايتين أمريكيتين تحظر بيع المواد الإباحية بما في ذلك المجلات الرجالية السائدة مثل ##### و ####، إلا أن المحاكم العليا رفضت هذه القوانين لاحقاً باعتبارها غير

دستورية. تعتقد (ماكينون) و(دوركين) أن المواد الإباحية هي في الأصل "معادية للمرأة" وأنها تؤدي مباشرة إلى الوحشية والاغتصاب والقتل.

لكن ادعاءهن بأن العلاقة بين المواد الإباحية والاغتصاب هي علاقة سبب ونتيجة لم يتم إثباته على الإطلاق، على الرغم من الدراسات التي لا حصر لها. لا يوجد دليل قوي – بصرف النظر عن الحوادث الفردية والتي غالباً ما تكون بين المراهقين – على أن الأعمال الوحشية في الفن والأدب والثقافة الشعبية تؤدي مباشرة إلى الجريمة. لا شيء – في رأيي – يضفي شرعية على انتهاك الحريات المدنية للمواطنين، فكل إنسان حر في اختيار ما يقرأ وما يشاهد".[1]

دعونا نتخيل مسلسلاً أمريكياً يعرض رجالاً يهينون النساء ويضربونهن ولا يستخدمونهن إلا في العمل مع عبارات طيلة المسلسل تؤسس لذلك الفكر أو تلك العقيدة (مع رضا وخضوع كامل من النساء) ثم ضع ما تشاء مما يعترض عليه النسويات اليوم ويملأن الدنيا عليه عويلاً (دون أن ينتصر الخير في النهاية أو تتحرر النساء أو تثور) ثم انظر : هل ستصمت (باليا) أو غيرها على هذا المسلسل باعتبار مشاهدته (حرية شخصية) وأنه (فن) وأنه (لا يؤثر على أفكار الرجال والنساء) ؟!

كيف لا يقول عاقل أن ما يشاهده المرء ليلاً ونهاراً لن يؤثر عليه وعلى تصرفاته بشكل أو آخر أو بنسب متفاوتة شاء أم أبى ؟!

تعد صناعة (الخمر) أو (الكحول) في الخارج من أكبر الصناعات الغربية وأضخمها ربحاً، لذلك فلن يفلح أي تشريع في منعها ما لم يكن أمراً ثابتاً في

---

(١) من محاضرة (معركة الجنسين الجديدة) – مصدر سابق.

الوعي الشعبي أو الجماهيري (وهنا دور الدين الحق في ترسيخ مثل هذه الحرمانية والرفض المجتمعي)، بل وحتى في بلادنا الإسلامية التي تعد هذه المؤذيات المذهبة للعقل مُحرمة : انظر كيف يتم بث مئات مشاهد شرب الخمر في الأفلام والمسلسلات العربية لتمييع قبولها وترويجها بالحد الكافي لهذه الشركات لتستمر (جمهورها من المسيحيين أو فسقة المسلمين)، فما بالك إذن بالمجهود الهائل لترسيخها في العالم الغربي نفسه إعلامياً وحكومياً أو سياسياً بل وعلمياً كذلك ؟

دائماً ما يتمسك الملاحدة والشاذون جنسياً بأهداب دراسات علمية متلاعب بها حتى تكون (القشة) التي يتحججون بها في وجه الأدلة !

ففي محاولة تخفيف حقيقة الأضرار الصحية الهائلة للخمر نجد العديد من الدراسات التي يتم التلاعب فيها كالآتي :

هدف الدراسات : إثبات أن الشرب (المعتدل) للخمر أو الكحول ليس ضاراً مثل الإفراط في الشرب بل : ويزعمون أنه قد يفيد القلب !

طريقة الدراسات لتمرير هذا الخداع : عقد مقارنات بين مجموعتين من الناس : مجموعة ممتنعة (أي لا تشرب الخمر) ومجموعة تشرب (باعتدال)، وملاحظة نسبة الأمراض المختلفة بينهما خاصة أمراض القلب والسرطان.

كيفية التلاعب في تلك الدراسات : عن طريقين .. **الأول** : ضم الذين توقفوا عن شرب الخمر لكبر السن أو نتيجة ما أصابهم من أمراض بسببه : إلى المجموعة (الممتنعة) ! وهكذا تكون نسبة الأمراض فيهم (أي الذين لا يشربون) عالية وقريبة لأمراض المجموعة التي تشرب (باعتدال) والنتيجة : لا يوجد فرق بينهما في الأمراض ! وأما الطريق **الثاني** للتلاعب : فهو عدم ذكر عوامل فردية عند بعض الأشخاص تجعل مناعتهم أعلى من الإصابة ببعض الأمراض !

وللمزيد من التفاصيل حول كيفية تمرير هذا الخداع ونشره بكثافة بين الناس للأسف (وعن طريق جامعات ومؤسسات كبيرة تتلقى المنح من شركات الخمر) يمكن قراءة الخبر التالي من موقع Statnews بعنوان :

"القليل من الكحول قد يكون من غير المفيد لك في النهاية".

A little alcohol may not be good for you after all

هذا مثال واحد، والمجتمع العلمي (المقدس) مليء بحوادث الغش والمنح والتمويل والدعم المدفوع لدكاترة وجامعات للخروج بمثل هذه الأبحاث المتلاعب بها في المشروبات الغازية وفي المنتوجات السكرية والتدخين وغيرها.

وكذلك الدراسة العلمية (الشهيرة) التي دعم بها الشاذون جنسياً موقفهم في البداية (والتي لم يحتاجوا لأكثر منها كدفعة لكسب مصداقية وتعاطف الناس بالكذب)، وهي دراسة عالم الوراثة (دين هامر) Dean Hamer عام ١٩٩٣م (وهو شاذ جنسياً بالمناسبة)، والتي خرج منها بوجود رابط (محتمل) بين المؤشر الجيني Xq28 وبين الشذوذ الجنسي، لكن لم يستطع أحد الحصول على نفس النتيجة عند تكرار نفس الدراسة بعد ذلك، مثل دراسة الدكتور (جورج رايس) George Rice وفريقه عام ١٩٩٩م رغم أنها اعتمدت على عدد أشخاص (أو عينات دراسة) أكبر ! ثم توالت دراسات أكبر وأكثر خاصة في العشر سنوات الأخيرة على عشرات الآلاف من الشاذين جنسياً لتثبت أنه لا يوجد دليل واحد على جين معين لصفة الشذوذ الجنسي في الجسم. وأنه مجرد اختيار نفسي وسلوكي يمكن تعديله، وهو ما واجهته منظمة الصحة العالمية بالمنع !

والشاهد حتى لا يتفرع بنا الحديث : احتجاج (باليا) ببعض الدراسات المتلاعب فيها لادعاء غياب صلة بين الكحول أو الإباحية وبين الاعتداء

الجسدي والجنسي على المرأة وهدم البناء الأسري : لا وزن له في مقابل الدراسات الأخرى التي تثبت كل ذلك : فضلاً عن إدراكه من كل عاقل لن يخادع نفسه.

(باليا) نفسها تخوض بالمرأة في أحط مراتب الحياة ضياعاً وكآبة وهو عالم **العاهرات والخمر والضياع**، لذلك من الهام جداً عندها أن تحاول التقليل من خسائر المرأة في تلك المواضع بدعوتها لتتعلم (القتال) و (العراك) كالرجال حتى تدافع عن نفسها ! قارنوا تلك الحياة التي تضيع فيها قيمة المرأة أمام نفسها وأنوثتها، وفقدانها لشرفها واحترامها : بما سعت إليه (باليا) لتجريدها من أي وصاية أو حماية أسرية أو مجتمعية ! ودعوني أنقل لكم هنا مقالها (الكعب الخنجري) من مشروع (الأزياء والعنف) والذي تم نشره في كتاب بنفس الاسم، حيث تقول فيه :

" الكعب العالي المدبب هو السلاح الاجتماعي الأكثر فتكاً لدى المرأة العصرية. جاءت الفكرة لأول مرة في ثلاثينيات القرن الماضي ولكنها لم تتحقق حتى تمكنت تكنولوجيا ما بعد الحرب من جعلها واقعاً في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي. إنه قطعة مائلة مدببة كالخنجر صُنعت للثقب والاختراق.

في حين أن "أحذية المنصة" استخدمت لزيادة طول كل من الرجال والنساء من الممثلين اليونانيين والرومانيين إلى الأثرياء في الطرقات الغارقة في القذر، نرى أن الهيكل المائل للكعوب العالية الحالية ينحدر من أحذية فرسان العصور الوسطى الأوائل التي استعملت لحث الخيل على السير أسرع. وبالتالي فإن الكعب العالي له سلف ذكوري، ويتضح ذلك في استخدامه من جهة النساء المتحررات في الوصول إلى مستوى

قامة الرجال.

لكن هذا السعي لتحقيق المساواة، أو الهيمنة، أو حتى مجرد إثبات الذات أو الظهور بمظهر حازم في أماكن العمل تعوقه الملابس، لا توجد قطعة في الملابس النسائية منذ المشد الفيكتوري الضيق إلا وهي مُشوِّهة للغاية. الألم والتشوه هما ثمن الجمال الذي يعتمد على الكعب العالي. يخلق الكعب العالي صورة وهمية للساق تُظهر أنها طويلة عن طريق انقباض عضلة السمانة، وثني القدم، وسحق أصابع القدمين، مما يجبر الثديين والأرداف على أخذ الوضعية الكلاسيكية البدائية للإغراء.

إن إحياء موضة الكعب العالي (متوسط الارتفاع) تزايد في العشرينيات من القرن الماضي بسبب ظهور موضة الـ **Flappers** [1] اللاتي تعمدن فيها إظهار أرجلهن في الرقصات الفاحشة مثل تشارلستون.

يمكن رؤية تركيز (ألفريد هيتشكوك) الشديد وهيامه بالكعب العالي في أفلامه عن ألغاز جرائم القتل، سواء أفلامه الصامتة المبكرة في لندن، أو في كلاسيكيات هوليوود الملونة مثل **Vertigo** و **The Birds**، حيث ترتدي "تيبي هيدرن" (عارضة أزياء سابقة) حذاءً متقناً وفاخراً بكعب عال وتظهر مدى كونها عُرضة للاعتداء، وهي صورة نمطية ظهرت في الآلاف من أفلام الرعب منخفضة التكاليف. وهي أن المرأة ذات الكعب العالي – غير القادرة على الجري – هي فريسة سهلة.

---

(١) موضة نسوية منحلة ظهرت باكراً في عشرينيات القرن العشرين لنساء يرتدين التنورات القصيرة ويستمعن إلى موسيقى الجاز ويتفاخرن بالتلفظ بالكلمات الفاحشة، وساد بينهن الإسراف في مساحيق التجميل وشرب الخمر وتدخين السجائر في الأماكن العامة وقيادة السيارات، وكذلك ممارسة الجنس خارج الزواج.

يمكننا رؤية الكعب العالي كأداة للحرب الجنسية في المواجهة المذهلة من فيلم باترفيلد ٨ (١٩٦٠م)، عندما أمسك (لورانس هارفي) بمعصم (إليزابيث تايلور) بقوة وجذبها حتى لا ترحل في حانة راقية في مانهاتن، فقامت بسحق قدمه عن طريق كعب حذائها الرفيع الذي اخترق جلد حذائه. كان هذا في وقت تم فيه حظر الكعب العالي المدبب - الذي يقوم بتركيز ضغط هائل على مساحة صغيرة - من المباني ذات الأرضيات البلاستيكية أو الخشبية.

كانت هناك شائعات بالفعل في الأيام التي سبقت أحداث شغب ستونوول [١] أن الممثلين الذين يرتدون ملابس نسائية والمعروفين بالـ (دراج كوين) "Drag queens" [٢] الذين يتعرضون للمضايقات في الشارع، سيستعملون نعالهم ذات الكعب الخنجري لضرب المهاجمين. في عام ٢٠٠٦م، سُجنت إحدى أشهر رواد هذا النوع من الفن في نيويورك - (فلوتيللا دي باراج) - بعد مشاجرة في الحانة حيث هاجمت بحذائها ذي الكعب الأسود المدبب (احتجزته الشرطة كدليل) رجلاً من الأسوياء استهزأ بها وتسببت له بجروح غائرة.

منذ عام ٢٠١٣م، تزايدت أنباء الجرائم التي يظهر فيها الكعب الخنجري المدبب كأداة للجريمة. في واشنطن، اشتكى رجل إلى الشرطة من

---

(١) يرى الشاذون جنسياً أن المظاهرات وأحداث الشغب التي قاموا بها عام ١٩٦٩م ضد هجمات الشرطة في حانة ستونوول في حي بمنهاتن من مدينة نيويورك : هي العلامة الفارقة في تاريخ (نضالهم !) لنيل حقوقهم والاعتراف الرسمي بهم.

(٢) أي مشية الملكة بسحبتها المميزة، وغالباً يكونوا من الرجال الشاذين أو المتحولين جنسياً ويتعمدون اللبس كالنساء والمشي الساحر كالملكة، وقد اشتهروا منذ القرن الـ ١٩ في الأعمال الكوميدية وغيرها.

أن امرأة ضربته على رأسه بحذائها خارج ملهى إيبيزا الليلي. بعد مشاجرة كبيرة في أحد شوارع واشنطن، تم القبض على ثلاث نساء لطعن خصومهن. كانت إحداهن قد استخدمت سكيناً، لكن الأخرتان استخدمتا حذائهما، وكانت التهمة الموجهة إليهما "اعتداء بسلاح خطير". في هيوستن، تكساس، اتُهمت امرأة تبلغ من العمر ٤٤ عاماً بالقتل بعد اشتباك دموي في إحدى الوحدات السكنية توفي خلاله خصمها بعد تلقيه ٣٠ طعنة في رأسه ووجهه ورقبته باستخدام كعب حذائها الخنجري.

بدأ السلاح (الذي أطلق عليه فيما بعد اسم الخنجر) كأداة من القرون الوسطى تشبه المثقاب للتغلب على الفارس الذي سقط عن جواده في المعركة عن طريق اختراق درعه وطعنه. خلال عصر النهضة، أصبح الخنجر هو السلاح المفضل للقتلة الإيطاليين، حيث كانوا يتسللون من خلف الضحية مستخدمين الخنجر الذي يخترق الجلد والدرع السميك ويذبحون ضحيتهم في لمح البصر وبالكاد يتركون وراءهم قطرة دم واحدة.

إن العلاقة التاريخية بين الخنجر والخيانة والخديعة تضفي سحراً سادياً على الكعب الخنجري الحديث، حيث أصبحت هناك كعوب تحتوي داخلها قضيباً مخفياً من الفولاذ. إن المرأة سواء كانت فاتنة أومفتونة يمكنها أيضاً أن تجرح وتُشوِّه.

استطاعت إحدى صور (هيلموت نيوتن) - الذي امتلأ تصويره الرائع الخاص به للأزياء بالنظرة الشاذة للعالم من موطنه الأصلي فايمار برلين - أن تلتقط التعقيدات المزعجة للحذاء ذي الكعب العالي، وهي الصورة التي التقطت في مونت كارلو عام ١٩٨٣م.

في هذه الصورة نرى الحذاء العصري بجاذبيته ورقته كما نرى عدوانيته

الجامحة. في وضع الوقوف، مع الكاحل المرفوع، نرى فيه لمحة ذكورية طاغية. هل هذه امرأة سادية تدهس ضحيتها المستسلمة ؟ أم أنها عاهرة تدافع بشراسة عن حقوقها ؟ أم أنها (دراج كوين) "Drag queens" تتبول في زقاق غير عابئة بأحد ؟

يبدو أن الحذاء – الوحش الذي يخرج من الأرض – هو طوطم جبار لا يرحم خرج من عبادة الجنس الوثنية.

إن الكعب الخنجري الفاخر – كعلامة على المكانة الاجتماعية – ليس موجهاً إلى الرجال بل إلى النساء الأخريات، سواء المقربات أو المنافسات. إن الكعب العالي من حيث إنه علامة ساطعة على التحول الشاعري المذهل (كما هو مصور في دراما فيلم الجنس والمدينة) يتجاوز فهم معظم الرجال : فقط النساء والرجال الشاذين جنسياً هم الذين يستطيعون معرفة الفرق بين مانولو بلانيك وجيمي تشو. بكل صراحة ووضوح، أنا لا أرتدي هذه الأحذية أبداً وأستنكر حقاً كلفتها المرعبة في الوقت الذي تتزايد فيه الحاجات الاجتماعية الملحة. ومع ذلك، فإنني أعترف بجودة وجمال الكعب العالي كأيقونة معاصرة وربما كقطعة فنية.

في متجر نيمان ماركوس في ساحة تسوق King of Prussia في ضواحي فيلادلفيا، يرى الزائر الذي يصعد إلى الطابق الثاني في استقباله ساحة كبيرة من الأرفف اللامعة، المحملة بأحذية أنيقة ذات جاذبية ساحرة، لكن الأسعار باهظة (تتراوح الآن بين ٥٠٠ دولار و٩٠٠ دولار للزوج وقد تصل إلى ٦٠٠٠ دولار لأحذية دافوديل المرصعة بالكريستال من تصميم كريستيان لوبوتان). على الرغم من إزعاجي بانحطاطها الثقافي، إلا إن هذه المجموعة من الأحذية الفاخرة قد زودتني لسنوات بجرعة عالية من

الإحساس بالجمال والسرور أكبر بكثير من أي معرض للفن المعاصر، نظراً لما تعكسه إشارات خفية، والفضول القاسي، والأيديولوجية الطاغية.

تعكس الأحذية المصممة الانتصار البطيء والمستمر للصناعات اليدوية على الفنون الجميلة خلال القرن الماضي. إنها أعمال مبسطة من النحت الحديث، وهي مضيعة للمال وتافهة، ولكنها تعبر بأناقة عن الصورة النقية، وإعادة التشكل الهندسي للطبيعة البسيطة المثمرة. إن قسم الأحذية الراقية هو عرض لمنتجات مصممي الأزياء في المناطق الحضرية، وهو موقع للعرض الشعائري حيث يكمن الخطر تحت قناع الجمال". [١]

تكمن الخطورة هنا في اعتراف (باليا) في مواضع عدة من كتبها ومقالاتها بقوة الدافع الجنسي عند الرجال (قد تصل إلى حد التصرف بسفه وجنون) لذلك تسخر (باليا) من فكرة "لا تعني لا" ! ولها حق في ذلك، فكيف بعد أن وضعنا النار بجوار البنزين نقف قائلين (لا تعني لا) ؟! ثم نتخيل أن النار ستستمع إلى كلامنا وتخمد ولا تتفاعل ! أو أن يتجمد البنزين !

لكن رغم كل ذلك (وكما تعودنا من كاميل باليا مراراً وتكراراً) تراوغ كما تراوغ الثعالب هرباً من الحلول المنطقية العقلية الوحيدة في اتباع الحشمة في الملابس، والكف عن الخلوة والمواعدة المفضية للجنس : خاصة أنها وأشباهها من النسويات قطعن كل صلة (حماية أو وصاية) بين الفتاة أو الشابة أو المرأة :

وبين رجل يحميها !

مكتبة
t.me/t_pdf

---

[١] مقال (الكعب الخنجري) The Stiletto Heel من مشروع (الأزياء والعنف)، موقع متحف الفن الحديث، ٢٥ أكتوبر ٢٠١٣م. وقد تم نشره في كتاب (الأزياء والعنف) لـ (باولا أنتونيلي)، نيويورك : متحف الفن الحديث، ٢٠١٥م.

تتصور (باليا) وتكرر أن على الحركات النسوية أن تقوم بتعليم النساء ماذا يفعلن ليدافعن عن أنفسهن ! في حين يرى كل عاقل أن ما تفعله (باليا) أشبه بألعاب خفة اليد لخداع الجمهور، وأن المخدوعات بكلامها فقط هن اللاتي يطاردن السراب ! الفقرات التالية التي سأنقلها لكم هي من مقالها بعنوان :

"**الاغتصاب وحرب الجنس الجديدة**" من جريدة (نيويورك نيوزداي) New York Newsday بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٩١م حيث تقول في أوله :

"الاغتصاب هو تعدٍ وانتهاك لا يمكن السكوت عنه في المجتمع المتحضر. ومع ذلك، فإن الحركة النسوية، التي شنت حملات شرسة من أجل لفت النظر إلى خطورة الاغتصاب والتعامل معه بحزم، قد عرّضت الشابات للخطر بإخفاء حقيقة الجنس عنهن.

ولإضفاء طابع درامي على تفشي الاغتصاب، أخبرت النسوياتُ الفتيات أنه قبل أن يمارسن الجنس مع رجل، يجب أن يصرحن بالموافقة تماماً كأنه عقد قانوني حيث القبول ركن من أركانه. بهذه الطريقة، اقتنعت الشابات بأنهن كن ضحايا الاغتصاب. في طبقة النخبة في الشمال الشرقي والساحل الغربي، عقدوا جلسات لرفع الوعي، ورفعت الإدارات بعض الدعاوى، وطلبوا إجراء تحقيقات. وفي جامعة براون، قامت "الضحايا" الغاضبات المذعورات بكتابة أسماء المغتصبين المزعومين على جدران دورات المياه النسائية. ما كان يُعرف بالاغتصاب الزواجي في السبعينيات، أصبح يكافئ "الاغتصاب في المواعدة" في التسعينيات".

إلى هنا كلام (باليا) صحيح رغم تناقضه مع نتائج ما تدعو إليه بطرق أخرى ! فالجنس عند الرجل من أقوى شهواته الحياتية، وإذا لم يتحلّ الرجل

بخلق أو دين حقيقي : فلا شيء سيمنعه أبداً من مواقعة أنثى تدعوه إلى مواقعتها بقصد أو عن غير قصد بملابسها أو كلامها وتغنجها، وهنا مكمن الخطورة الذي لم يقم أحد بتوعية الضحايا به وتركهن في خيالاتهن الحالمة !

ليس هذا فقط، بل تتضاعف المصيبة مع الغياب التام للتدخل الأسري في قرارات الفتاة وإلا عدوه انتهاكاً لحريتها وخصوصيتها كبالغة (كما فرضته النسويات على القانون والتشريعات) ففقدت المرأة بذلك أقرب وأصدق مَن يحميها من أهلها للأسف ! تقول (باليا) :

"لا يتطلب تفشي الاغتصاب وخطورته هذا النوع من المبالغة. فالاغتصاب ليس شيئاً جديداً. لقد كان مشكلة فظيعة بالنسبة للنساء على مدار التاريخ المسجل، يوماً ما كان الآباء والإخوة يحمون النساء من الاغتصاب، وكانت عقوبة الاغتصاب هي الموت. لقد نشأتُ في بيئة إيطالية لها تقاليد قاسية، حيث كانت عقوبة المغتصِب الذبح والإخصاء ويُعلق حتى يتآكل جسده ليكون عبرة.

لكن العشائر القديمة والمجتمعات الريفية الصغيرة انهارت. ففي مدننا، وفي أماكن عملنا البعيدة عن المنزل، تكون الشابات ضعيفات وبلا حماية، والنسوية لم تؤهلهن لهذا الموقف. تتمسك النسوية بترديد حقيقة أن الجنسين متماثلان، وتستمر في إخبار النساء أنه بإمكانهن فعل أي شيء والذهاب إلى أي مكان وقول أي شيء وارتداء أي شيء. وأنا أقول:

لا، لا يمكنهن ذلك، المرأة دائماً عرضة للخطر الجنسي.

لقد ضاجعت إحدى طالباتي مؤخراً صديقاً لها في ممر الهرم الأكبر في مصر. حيث أغراها بوصف القمر والرمال، والصمت القديم والأصداء

الغريبة. لن أفعل ذلك، فأنا امرأة، ولست غبية بما يكفي للاعتقاد بأنني سأكون آمنة في مكان كهذا. إنها مغامرة الدخول إلى أرض منعزلة ولن أجرب ذلك أبداً. لطالما كانت النساء على علم بهذه الحقائق المؤلمة، لكن النسوية، بأوهامها المذهلة حول العالم المثالي، تضلل الشابات عن رؤية الحياة كما هي.

بالتأكيد يجب علينا علاج الفساد الاجتماعي بكل ما أوتينا من قوة، لكن هناك بعض الأشياء التي لا يمكننا تغييرها. هناك اختلافات جنسية لها أساس بيولوجي".

هذا موضع من مواضع تناقضات (باليا) الفجة في كتاباتها بحيث لا تعرف (ماذا تريد باليا بالضبط) ؟! فهل تسلم بوجود هذه الاختلافات على أساس بيولوجي : لكنها تختار منها وتترك كما يختار أحدهم حبات الطماطم (فتدعو النساء للخشونة والقوة والرياضات العنيفة) ؟ هل هو مجرد (هوى) و (مزاج) ؟

لا شك أن الحرية الجنسية والإباحية وإثارتها للشباب التي تدافع عنها (باليا) وقامت هي وأشباهها بنشرها في المجتمعات الغربية حتى صارت عنواناً للتفاهة والضياع : لا شك لها الأثر الأكبر في تحليلات (باليا) اليوم وتفسيراتها العجيبة، حيث تقول بعد الفقرة السابقة بعدة أسطر :

"... فالبنات يصرن نساءً ببلوغ الحيض، في حين يجب على الرجال فعل شيء أو دخول مغامرة ليكونوا رجالًا، ويصبح الصبي رجلًا فقط عندما يقول الرجال الآخرون أنه كذلك، وممارسة الجنس مع امرأة هي إحدى الطرق التي يصبح بها الصبي رجلاً".

رحم الله زمناً كان الشاب المسلم فيه قدوة للأوروبيين بعلمه وعلو همته في

طلب العلم الديني والدنيوي بشتى ألوانه، وكان يتعلم الشباب الأوروبي منه معنى الرجولة والمروءة في الوقت الذي يسمونه اليوم مراهقة !

ودعونا نستكمل مع (باليا) سردها للحال المزري الذي قادت فيه وأشباهها المرأة والفتيات والطالبات بدعوى الحرية ثم تشتكي منه ! تقول :

"إن الشباب في مرحلة الجامعة تكون هرموناتهم في ذروتها، لقد تركوا أمهاتهم للتو ويبحثون الآن عن هويتهم كذكور. وتزداد خطورتهم عندما يكونون في مجموعات. أي امرأة تذهب إلى حفلة رجالية فإنها تسير في غابة مليئة بالتستوستيرون، غابة من الصبار الشائك والمدافع المشتعلة. إذا حدث وذهبت، فيجب أن تكون مسلحة بالحذر الشديد، يجب أن تدخل مع صديقاتها وترحل معهن. إن الفتاة التي تسمح لنفسها بالشرب حتى السكر في حفلة رجالية حمقاء، والفتاة التي تصعد إلى الطابق العلوي بمفردها مع صديق في حفلة غبية. تسمي النسويات هذا "لوم الضحية" وأنا أسميه الفطرة السليمة".

أها... هل تتحدث (باليا) الآن عن (الفطرة السليمة) ؟! ونواصل :

"على مدى عقد من الزمان، لقنت النسويات أتباعها مقولة "إن الاغتصاب جريمة عنف وليست جريمة جنس". لقد أدى هذا الهراء إلى وقوع الفتيات الشابات في كوارث. فإنهن – بسبب ضلالات النسوية – لا يتوقعن الاغتصاب من الأولاد اللطفاء الذين يجلسون بجوارهن في الفصل وتربوا في منازل راقية.

العدوان والإثارة الجنسية متشابكان بعمق. التصيد، والترقب، وتتبع الفريسة مبرمجة بيولوجياً في الخيال الجنسي للذكور. جيلًا بعد جيل، يجب

أن يتعلم الرجال وتغرس فيهم محاسن الأخلاق لتمنعهم من ميلهم نحو الفوضى والوحشية".

(باليا) تدعو لـ (محاسن الأخلاق) ! مَن يقرأ لها يشعر أنها (تتعمد) تقديم جميع الآراء للقراء والمنخدعين بها وللمجتمع، جميع الآراء مهما كانت متناقضة، وبذلك تضمن لنفسها المخرج دوماً من أي مأزق ! فإن قمت بإثبات خطأها في رأي : أبرزت لك عكسه من كلامها الآخر ! أما الأخطر كما قلنا من قبل فهو أنها تضع البنزين بجوار النار ثم تزعم أنه لن ينفجر !

تراها عندما تتحدث على سجيتها وهي تنسج خيوط إفساد المرأة وتضييعها في حياة التحرر الجنسي : ترفض وتسخر من فرض الوصاية الأبوية أو المجتمعية على المرأة لحمايتها ! أما عندما تتحدث كرد فعل على جريمة أو ظاهرة تقلق المجتمع بشدة فتقول مثل الكلام التالي :

"المجتمع ليس هو العدو، كما تزعم النسوية الحمقاء، بل المجتمع هو حماية المرأة من الاغتصاب. إن الحركة النسوية بقمعها الرسمي الذي يحمل اسم (كاري نيشن)، لا يمكنها أن ترى ما هو المثير للشهوة الجنسية أو العنصر الممتع في الاغتصاب، وخاصة السعار الوحشي المسبب للعدوى المتمثل في الاغتصاب الجماعي. إن النساء اللاتي لا يفهمن الاغتصاب لا يمكنهن حماية أنفسهن منه.

يُظهر الجدل حول الاغتصاب في المواعدة أن النسوية تضرب بوعودها عرض الحائط. كانت نساء جيلي في الستينيات أول فتيات محترمات في التاريخ يستخدمن الكلمات الفاحشة بحرية وطلاقة، ويتناولن الشراب حتى تذهب عقولهن، ويسهرن الليل كله... باختصار يتصرفن مثل الرجال، لقد

سعينا إلى الحرية الجنسية الكاملة والمساواة، ولكن مع مرور الوقت، استيقظنا على الواقع الأليم. إن المعايير القديمة التي تميز بين الرجال والنساء كانت حماية للنساء، لكن عندما يصبح كل شئ مباح، فإن النساء هن الخاسرات".

لا تعليق : "إن المعايير القديمة التي تميز بين الرجال والنساء كانت حماية للنساء، لكن عندما يصبح كل شئ مباح، فإن النساء هن الخاسرات" ! ويأبى أهل الباطل إلا أن يصفوا أهل الصلاح والخير دوماً بما فيهم هم (أي أهل الباطل)، وذلك على غرار المقولة الشهيرة : "**رمتني بدائها وانسلت**" !

هكذا هي (باليا) تماماً ، تسخر من أهل الصلاح والخير في مواضع فتلصق بهم اتهاماتها الباطلة التي (وياللعجب) تنطبق عليها هي لا هم، ثم تخلع في مواضع أخرى تخبطها في شكل نقد عقلاني للشابات اللاتي (لا يعرفن ماذا يردن) واسألوا أنفسكم : وهل تعرف (باليا) نفسها ماذا تريد ؟! تقول :

"لا تعرف شابات اليوم ماذا يردن. إنهن يرون أن النسوية لم تجلب السعادة الجنسية. إن موجات الغضب الشعبي وردود الفعل الدرامية على الاغتصاب في المواعدة هي طريقة لاستعادة القواعد الجنسية القديمة التي تحطمت على يد جيل الستينيات، لأنه لم يتغير شيء في بيولوجية كلا الجنسين في الحقيقة. الفيلم الكوميدي (######### ١٩٦٠م)، هو تعبير عن انتهاء الأخلاقيات الجنسية في الخمسينيات – ولا يزال على صلة مباشرة بعصرنا – إنه يُظهر نساءً أذكياء يتجنبن بمهارة العشرات من الإستراتيجيات التي يحاول بها الرجال الأشرار إدخالهن إلى الفراش. وقد كان مشهد الاغتصاب في المواعدة محبوكاً ببراعة من بدايته إلى ذروته. حيث الضحية – (إيفيت ميميو) – ترتكب خطأً بعد خطأ، وهو ما كان

واضحاً للفتيات الأخريات. إنها تسمح لنفسها بأن تُؤخذ بعيداً عن صديقاتها، وأن تنعزل مع الأولاد الذين تسيء فهم شخصياتهم ونواياهم. هذا الفيلم يخبرنا الحقيقة كاملة، إنه يُظهر أن الإغواء والغزل لعبة خطيرة لا تكون فيها الإشارات لفظية بل خفية.

لا تستطيع النسوية المتشددة – المهووسة باللغة اللائقة سياسياً – ولا النسوية الأكاديمية – التي تعتقد أن المعرفة والخبرة "منوطة" باللغة فقط – أن تفهم ما وراء اللفظ أو المعاني غير الملفوظة. إن النسوية، التي تركز على السياسة الجنسية، لا تستطيع أن ترى أن الجنس يجري من الجسم مجرى الدم. لا يمكن ترجمة الرغبة الجنسية والشبق الجنسي بالكامل إلى مصطلحات لفظية، وهذا هو السبب في سوء التفاهم بين الرجال والنساء".

يذكرني كلام (باليا) هنا بواحد من أكثر الكتب طرافة وإضحاكاً (وقد حجز مكانته في أكثر الكتب مبيعاً في الخارج) رغم أن كل صفحاته بيضاء (١٩٦ صفحة فارغة) دون أدنى كلمة واحدة !

كان عنوان الكتاب معبراً بشكل ساخر ومبالغ فيه عن حجم التفكير في الجنس لدى الرجال، كان عنوان الكتاب :

"ما الذي يفكر فيه الرجال بعيداً عن الجنس" ؟

What Every Man Thinks About Apart from Sex

ورغم أن سعر الكتاب ١٦ دولار تقريباً، إلا أنه يُباع بشكل عادي خاصة بين الأزواج والشباب والشابات والزملاء والزميلات في العمل أو الجامعة !

والآن... نعود مع (باليا) إلى انتقاد ما يحمي المرأة من الوصاية ! ألم أقل لكم ما أسرع تناقضاتها حتى في النقل الواحد ؟! حيث تقول بعد الكلام السابق بعدة سطور :

"لفهم الاغتصاب، يجب عليك دراسة الماضي. لم ولن يكون هناك تناغم جنسي. يجب على كل امرأة تحمل المسؤولية الشخصية عن حياتها الجنسية، والتي بمثابة شعلة الطبيعة الحمراء. يجب أن تكون حكيمة وحذرة بشأن أين تذهب ومع مَن. وعندما ترتكب خطأً، يجب عليها أن تتحمل العواقب، ومن خلال النقد الذاتي لا تصمم أبداً على ارتكاب هذا الخطأ مرة أخرى. الهلع إلى الأب والأم في لجنة التظلمات بالحرم الجامعي لا يتناسب مع المرأة القوية، وإن نشر قوائم الرجال المذنبين في المرحاض هو سمة الجبناء وتصرف طفولي.

تتبنى فلسفة الحياة الإيطالية سياسة الصدم والمواجهة. فعندما يقول لك أحد الأولاد عبارة خادشة للحياء لا تهربي وتنزوي على نفسك وتتقلصي كزهرة البنفسج، تعاملي مع الأمر وقولي "اخرس أيها الحقير! وازحف مرة أخرى إلى سلة القمامة التي جئت منها" بشكل عام، النساء اللاتي يتخذن هذا الموقف الجرئ والمسيطر تجاه الحياة يتعرضن لمضايقات أقل".

تتحدث (باليا) وكأن الشخص أو الأشخاص الذين سيضايقون المرأة بعبارات خادشة للحياء سيظهرون في حياتها مرة واحدة ثم يختفون إلى الأبد !

ألم يكن الأجدر (والأعقل) أن تنصحها بقطع دابر (السبب) الذي يدفع أمثال هؤلاء لمضايقتها جنسياً في المقام الأول مثل طريقة اللبس والسلوكيات ؟

أو كان الأجدر بها (والأعقل) محاربة الإباحية الناشرة للفاحشة في المجتمع ؟!

وهنا أقفز بكم إلى نهاية المقال، وإلى (الحكمة) و (الخلاصة) التي تتحف بها (باليا) النساء، والتي تتركز في اللجوء إلى ما كانت ترفضه لكن في حالة واحدة : وهي بعد وقوع الاغتصاب بالفعل !

لاحظوا معي ... يمكن لـ (باليا) أن تذكر أي شيء وكل شيء (مهما كان متناقضاً) إلا شيئاً واحداً لا تذكره أبداً رغم أنه الحل الوحيد المعروف لدى كل عاقل : استر أموالك أو احفظ أثمن ما لديك حتى لا تتعرض للسرقة أو الاعتداء ثم تبكي وتشتكي بعدها ! تقول :

"الحل الوحيد لحالات الاغتصاب هو الوعي الذاتي للمرأة والتحكم في نفسها. إن خط الدفاع الأول للمرأة هو نفسها. عندما تحدث جريمة اغتصاب حقيقية، ينبغي عليها إبلاغ الشرطة بذلك، أو التوجه للجان الكلية لأن المحاكم "تستغرق وقتاً طويلاً" وهو أمر مثير للسخرية، وللأسف إدارات الكلية ليست فرعاً من فروع القضاء، ولم يتم تجهيزهم أو تدريبهم على التحقيق القانوني. يجب على الكليات تنبيه الطلاب الجدد إلى مشاكل ومخاطر البلوغ، ثم الانسحاب من لعبة الجنس".

لا شك أن العنف (الزوجي) أو بين الشريكين الحميمين بسبب (الجنس) هو من أكبر المشاكل الزوجية كما ذكرنا من قبل، لكن ما يهمني هنا هو ما يربطه بدافع الغيرة، فالمرأة (وكما قلنا أيضاً من قبل) قد تقوم بأشياء ظاهرها عرض نفسها على الرجال أو إغرائهم أو لفت أنظارهم إليها : في حين قد تكون نيتها غير ذلك تماماً، لكن هل يمر هذا على زوجها أو شريكها دون أن يثير مشكلة ؟ خاصة إذا نصحها أكثر من مرة ووضّح لها ما سيثيره ذلك في الرجال تجاهها ؟

هنا تكمن المشكلة، وهي (الغياب التام) لهذا الوعي (الأنثوي) وإدراك المرأة أن **الرجل أعلم منها بمخاطر تلك التصرفات أو الملابس**، وأنها تجعل المرأة (التي من المفترض أنها له) : مشاعاً للجميع ينتهكون جسدها رؤيةً وإغراءً وخيالاً ! وهي الخطوات التي تسبق بالتأكيد : إما تخطيطهم للإيقاع بها في علاقة حب، وإما تخطيطهم للإيقاع بها جنسياً - سواء برضاها أو جبراً (اعتداءً أو اغتصاباً) - وفي كل تلك الحالات : لن يصمت الزوج ويصم أذنه ويعمي بصره وهو يعرف مآلات الأمور ! **فهو رجل، ويعلم ما يحرك الرجال مثله !**

الكلمة المتغنجة أو التي تصدر منها بدلال لرجل آخر ! العطر المحرك للشهوة وكأنه دعوة للجماع (والذي مكانه غرفة النوم) ! التكشف والتجسيم والشفاف في الملابس والتنورات القصيرة والمفتوحة التي تستعرض الزوجة أو الشريكة بها جسدها أمام الرجال (وكأنها تستعرض ملابس داخلية) ! كل ذلك يثير مشاكل الغيرة عند الرجال بقوة قد تصل إلى العنف، فإذا أضفنا إلى ذلك الطامة الكبرى وهي أن تصدر كل تلك الإغراءات بقصد أو من دون قصد من المرأة لغير زوجها أو شريكها في حين لا توليه هو عشر معشار ذلك من الاهتمام أو التجمل أو الإغراء في حياتها معه ! فهنا تكون القاصمة للأسف.

أقول هذا الكلام وأنا أدرك تماماً أن الرجل الغربي هو مثل الرجل العربي أو الشرقي سواء في الغيرة أو الاستثارة، **فطبيعة الرجال لا تختلف مهما حاول إعلامنا العربي خداع شعوبنا بذلك** ! واكتشاف هذا الخداع كان صعباً فيما مضى، حيث كانت وسائل الاطلاع على أحوال الغرب الحقيقية محصورة في إعلام يجيد التزييف والتلميع لكل ما هو غربي، أما اليوم فالأمر قد اختلف.

حتى الممثلين والمشهورين بمشاهدهم الساخنة :

يرفض أغلبهم ذلك لنسائه !

فمن الممثلين العرب الذين ذكروا ذلك في لقاءات علنية مصورة (واضطروا فيها لوصف أنفسهم بالنقص وعدم التحضر لأنهم يرفضون ذلك لنسائهم : أي المشاهد الساخنة والقبلات !) :

(عادل إمام) [1] **(سعيد صالح) (أحمد السقا) (هاني سلامة)** [2] **– (يونس شلبي)** [3] **– (ماجد المصري)** [4] وغيرهم.[5]

---

[1] صرح في لقاء مع جريدة (المصري اليوم) بتاريخ ٢٤ –٦ – ٢٠١٠م برفضه لعمل ابنته في التمثيل ومشاهد (البوس) أو التقبيل وأنه لن يكون سعيداً كأب، جاء ذلك قرب نهاية اللقاء الذي حمل عنوان : (عادل إمام يتحدث عن «حياة عادل إمام» .. (الحلقة الأخيرة) لا أنكر أننى قدمت أفلاماً سيئة لكننى لم أندم عليها لأننى وافقت عليها بإرادتى). وقد أثار تصريحه جدلاً واسعاً وقتها خاصة بين الممثلات.

[2] يمكن مشاهدة أقوالهم في فيديو مجمع على اليوتيوب بعنوان : (أحمد السقا وهاني سلامة وعادل إمام وسعيد صالح يرفضون التمثيل لبناتهم بسبب القبلات).

[3] يمكن مشاهدة جزء من لقائه على اليوتيوب بعنوان : (يونس شلبي لا يريد ابنته تعمل في التمثيل) وتصريحه عن ابنته في آخر الفيديو وقد ربط ذلك بالإسلام.

[4] صرح في لقائه ببرنامج (شيخ الحارة) برفضه عمل ابنته في التمثيل بل : وأنها لن تستطيع طلب ذلك منه أصلاً لأنها تعرف أنه (ممنوع) عنده، يمكن مشاهدة هذا المقطع من اليوتيوب بعنوان : (ماجد المصري عن شغل بنته مش هتقدر تقول كده أصلا).

[5] راعيت اختيار حالات رفض تمثيل الابنة بالذات (لأن الرجل قد يحب ابنته أكثر من زوجته) رغم وجود لقاءات أخرى لممثلين رفضوا ذلك لنسائهم (خاصة زوجاتهم) لكن بحجة أنه لن يناسبه عمل زوجته في التمثيل وانشغالها عن بيتها إلخ، أيضاً لم أتوسع في ذكر الممثلين الذين انتقدوا الوسط الفني بأكمله وكشفوا تعارضه الفج مع الأخلاق والقيم والدين، ولعل من أشهرها لقاء الممثل الكوميدي (محمد نجم) في سنه الكبير ببرنامج (العاشرة مساء) مع (وائل الأبراشي) والذي يمكن مشاهدته أو مقاطع منه على اليوتيوب (لأن اللقاء يزيد عن الساعتين وهناك مَن اقتطع الأجزاء الهامة منه وهي خطيرة الدلالة بالفعل).

وكما قلت سابقاً :

هذا خاص بكل رجل (وحتى بكل امرأة تغير على زوجها)، فإذا ذهبنا إلى المصدر العالمي لمشاهد اللحظات الحميمية والقبلات الجريئة عند ممثلي وممثلات هوليود الأمريكية أنفسهم، نجد أن هذه الظاهرة (أي الغيرة الفطرية) موجودة في عدد كبير منهم كذلك، بل وتسببت في العديد من الخلافات التي وصلت في كثير منها إلى الانفصال.

حيث لم تفلح أكذوبة التبرير البارد بأن (هذه القبلة غير حقيقية) في تمرير هذه الدياثة جهاراً عياناً (بعض الممثلين والمخرجين يحاولون إقناع أنفسهم وأزواجهم أو شركائهم بأن : كل ذلك تمثيل ولذلك لا يستحق الغيرة) لكن سرعان ما تسقط هذه الأكذوبة في فخ التناقض عندما تستمع لنفس الممثل أو الممثلة وهو يقول أن من أسباب النجاح هو أن (يتقمص تماماً) الدور الذي يلعبه وأن يعيشه بكل مشاعره وجوارحه !

وسأكتفي هنا بوضع بعض عناوين الأخبار لمن يهمهم متابعة هذه الفئة من الناس، والذين – وكما ذكر محررو هذه الأخبار – يود الكثير من معجبيهم أن يكونوا أزواجهم أو شركاء حياتهم : في حين لا يعلمون ما يتعرض له أولئك من توتر دائم في العلاقات الزوجية وغيرة ومشاكل مع شركائهم !

فمن موقع Screenrant يطالعنا العنوان التالي :

" ١٥ من نجوم التلفاز في مشاهد أصابت شركاءهم خارج الشاشة بالغيرة".

15 TV Stars In Scenes That Made Their Off-Screen Partners Jealous

ومن موقع Worldation يطالعنا عنوان :

"هذه المشاهد جعلت شركاء الممثلين يشعرون بالغيرة".

These scenes actually made the actors' partners jealous

ومن موقع Therichest نقرأ العنوان التالي :

مكتبة
t.me/t_pdf

"أسوأ ١٢ خلافاً بسبب الغيرة في هوليود".

Top 12 Worst Jealous Rages In Hollywood

لذلك صار على أي زوج أو شريك (إذا أراد الإبقاء على علاقته مع هؤلاء المشاهير طمعاً في شهرة أو مال أو تباهي بين الناس بهم) أن يغض الطرف عن كل ما يثير الرجال أو النساء من غيرة مشروعة !

وبالعودة إلى الحياة الزوجية، فعلى الزوجة أن تدرك حاجة زوجها إلى الإشباع الجنسي وأهميته، وأن تعد تلك الحاجة في نظرها كحاجة أبنائها إلى الطعام والشراب، أي يجب عليها أن لا تتأخر فيها أو في عرض نفسها على زوجها بانتظام، تلك هي الطريقة الوحيدة التي تحقق له الاستقرار وراحة البال من التفكير في الجنس خارج الزواج، أو تتبع المواد الإباحية لسد ذلك الجوع الجنسي لديه.

وعلى هذا تقع الكثير من الخلافات والشجارات (سواء المبررة أو غير المبررة) من الزوج : عندما يرى انشغال زوجته عن تلبية تلك الحاجة الأساسية في حياته، وانشغالها عنه بالأبناء أو العمل أو وسائل التواصل ونحوه... لكن دعونا نأخذ نظرة أقرب على خطر الإباحية !

تسلب الإباحية من المرأة جمالها الداخلي ورقتها وعاطفتها، فلا تتركها في عين الرجال إلا مادة جنسية لتفريغ الشهوة، سرعان ما يذبل جمالها الخارجي.

المرأة بطبيعتها مرهفة الحس، تفيض بالمشاعر التي تهفو لمن يتفاعل معها ويُشبعها مع تقدير ودلال، لا نقول إن الإباحية تسلب رهافة الحس من المرأة ومشاعرها، بل نقول إنها تسلب المرأة نفسها كأنثى يبقى داخلها ذلك الحلم بمَن يتفاعل مع رهافة الحس والمشاعر ! فالمرأة هي المرأة مهما كبرت وتغيرت بها الأحوال، هي الأنثى في صغرها وتقدير وتدليل والدها لها، وهي الأنثى في كبرها وحاجتها لنفس التقدير والتدليل من الزوج لمكانتها المتوجة في قلبه، والإباحية تقتل كل ذلك للأسف.

أما بالنسبة للرجل، فالإباحية تلهب مشاعره على الدوام بمئات أو آلاف النساء اللاتي يراهن بشتى مستويات الجمال الخارجي والإثارة، وعندما تلهب الإباحية مشاعر الرجل في سن المراهقة والشباب، فهي تزين له وتدعوه إلى (تقليد ما يراه)، وبذلك فهي تلجئه إما إلى الزنا والخيانة، وإما إلى التعدي والتحرش والاغتصاب، وفي كل الأحوال سيسقط غالباً في إدمان العادة السرية (أو الاستمناء)، حتى ولو لم يمارس الجنس فعلياً قبل الزواج.

وإدمان العادة السرية يرفع مستوى حساسية العضو الذكري، وهذا له مردود كارثي في سرعة القذف عند الجماع، وعدم لذة الزوج مع زوجته بالمعاشرة التي قد لا تستغرق أكثر من ثواني ! وهذا يصيبه دوماً بالإحباط، بل ويجعله يلجأ للمزيد من الإباحية لمحاولة تعويض اللذة ! لذلك يحاولون نفي أضرار الاستمناء !

فالاستمناء وكثرته له أضرار صحية على البروستاتا بجانب الأضرار النفسية، وهذه الحالة من عدم الرضا من الزوج التي تدفعه إلى المزيد من مشاهدة الإباحية، تلهب خياله وتجعل استثارته في أعلاها، فإن كان فاسداً لجأ إلى الزنا، وإن كان معروفاً بالأخلاق والاحترام بين الناس : حاول تفريغ تلك الشهوة مع زوجته، فيصطدم من جديد بسرعة القذف، وتتبدد كل أماله في الاستمتاع الحقيقي، فيلجأ من جديد للعادة السرية ومشاهدة الإباحية، وهكذا في دائرة مغلقة ...

وحتى لو تغلب على سرعة القذف بأي دواء أو مخدر موضعي، فإن الإباحية والمداومة على مشاهدتها تجعله في مقارنة دائمة لحال زوجته مع مَن يشاهدهن، تلك المقارنة الجائرة التي لا ينظر فيها إلى زوجته كامرأة لها مشاعر، وكزوجة لها حقوق، وكأم أصابها التعب أغلب أوقات اليوم، فضلاً عن عوائق السن والجسم واللياقة ! وبذلك تعود المحصلة إلى استمرار المشاكل الزوجية وعدم الرضا الزوجي. وياليته نظر لنفسه مثلها وإلى تغيراته الجسمية والعمرية بعين العدل !

الإباحية تصور النساء للزوج على أنهن (شبقات) (متعطشات) دوماً إلى الجنس، تجعله يتخيل أنه بمجرد دخوله إلى المنزل فإن الزوجة أو الشريكة ستتوجه إليه طلباً للمعاشرة، أو ستتفنن في طرق الإغراء له كما يراها في المومسات والغانيات والعاهرات في الإباحية ! ونسي أن أولئك يتحتم عليهن فعل ذلك لأنه مصدر دخلهن الوحيد الذي يتكسبن منه المال والشهرة ! أما زوجته فغالباً مشغولة، وقد تحتاج إلى (تدليل عاطفي) أو تمهيد من حلو الكلام والتلميح والتصريح ! وهذا هو الصواب بالفعل.

فالإباحية تعمي عين الزوج عن (رومانسيات) الزواج، تعميه عن (جماليات) المرأة، تعميه حتى عن إبصار الممتلكات الثمينة التي صارت لديه (وقد يتمناها غيره) مثل الأبناء، والزوجة الوفية الأمينة على عِرضه، والبيت المستقر !

هذا كله ولم نتحدث عن أمراضها وأضرارها هي والعادة السرية الناتجة عنها كما قلنا، بل ولم نتحدث عن أنواع الممارسات الجنسية الشاذة التي قد يقلدها ! ممارسات تصل إلى الحرمانية حتى مع الزوجة مثل المعاشرة في الدبر أو في حيض المرأة ونفاسها، أو تصل إلى السادية والتعذيب ! والسؤال : ما ذنب المسكينة التي ستعاني معه كل ذلك الانحطاط الذي جلبته عليها (الإباحية) !

فهل تهتم (نسوية) (ملحدة) (شاذة جنسياً) غير مكترثة مثل (كاميل باليا) بكل هذه المآسي الحقيقية للنساء ؟ بل ولزوجات وربات بيوت محترمات تهدمت بيوتهن من جراء نشر الإباحية ودفاع أمثال (بالي) عنها، ومحاولتها التقليل من مخاطرها بكل برود واستخفاف ؟

تقول (باليا) في واحد من أشهر مقالاتها في كتبها على الإطلاق :

" تلقي النسوية تَبِعة الاغتصاب على المواد الإباحية، وتفسر – باستدلال دائري متعصب – تفشي السادية على أنه رد فعل عنيف ناتج عن الإباحية، والغريب أن الاغتصاب والسادية ظاهرتان معروفتان على مر التاريخ، بل وفي جميع الثقافات".[1]

نقول : وهكذا القتل أيضاً معلوم منذ فجر التاريخ، فهل لا ينكر عاقل دور أو أثر مشاهد القتل التفصيلية في الأفلام (بل وفي كارتون الأطفال والرسوم المتحركة وألعاب الفيديو) في مَن يشاهدها ؟! ما وجه العلاقة بين وجود الجريمة منذ آلاف السنين وبين ترويجها المتصاعد اليوم وتقريبها إلى الوعي أو اللاوعي بأعمال مصورة : تشجع عليها وتقربها وتحفز عليها في الخيال والعقل ؟!

---

(١) من مقال (الجنس والعنف، أو الطبيعة والفن) – مصدر سابق.

لاحظوا المثال التالي : كانت تعيش العائلات في الماضي كجيران متقاربين في أمان، بل وكل جار كان يشعر بمسؤولية كبيرة نحو جاره وكأنه امتداد لأسرته، يحمي حقوقه، ويدافع عنه، ويحترم خصوصية أسراره ونسائه (أي لا يتلصص عليهن بنظر أو سماع ونحوه)، فلم تكن أفكار (الخيانة الجنسية مع زوجة جارك) مثلاً حاضرة في الذهن إلا فيما ندر، لكن ماذا يحدث مع إشاعة آلاف الأفلام والمقاطع الجنسية التي تصور كل ذلك وتقربه للعقل والخيال وتزينه ؟!

لا يشك عاقل بالطبع أن انتشار تلك المواد سيكون سبباً من الأسباب المباشرة في انتشار مثل تلك الخيانات ! وقس على ذلك باقي الأفكار !

نعم ... كانت خيانة الجيران والأصدقاء في زوجاتهم معروفة قديماً، لكن هل كانت بنفس النسبة والانتشار المخيف الذي صارت إليه اليوم ؟! **هذه هي نقطة الخلاف والحوار**، أما محاولة (باليا) الالتفاف على الأمر بالرد على شيء آخر لم يدعيه أحد (وكأن المعترض يقول أن الاغتصاب لم يظهر **إلا** بسبب الإباحية) فهذه مغالطة منطقية معروفة اسمها (رجل القش) أي الرد على شيء لم يقله الطرف الآخر أصلاً ! بل واقرأوا معي كلامها المخيف التالي :

" إن انتهاك المحرمات وتدنيس المقدسات جزء من انحراف الجنس، والذي لن يتماشى أبداً مع النظريات الليبرالية عن الخير البشري. كل مخطط للسلوك الجنسي الصحيح أخلاقياً أو سياسياً سيتم إحباطه، وذلك عن طريق قانون الطبيعة الشرس. كل ساعة من كل يوم، تُرتكب بعض الفظائع في مكان ما. وإن النسوية – بسوْقها الحجج من وجهة نظر المرأة الخاضعة – تتغافل تماماً عن شهوة الدم في الاغتصاب، ونشوة الانتهاك والتدمير.

لقد تم توثيق جماليات وإغراء الانتهاك – الشر من أجل الشر، وشحذ

الحواس بالقسوة والتعذيب- في كتابات (ساد) و(بودلير) و(هويسمان). قد تكون النساء أقل عرضة لمثل هذه التخيلات لأنهن يفتقرن جسدياً إلى المعدات اللازمة للعنف الجنسي، ولا يعرفن إغراء الغزو القسري لقدسية جسد آخر.

وتتوسع معرفتنا بهذه التخيلات عن طريق المواد الإباحية، وهذا هو السبب في أنه ينبغي أن نتسامح معها، على الرغم من أن عرضها على العامة يجب أن يكون مقيداً وبشكل معقول. الخيال لا يمكن ولا يجب ضبطه. وتُظهر لنا المواد الإباحية قلب الطبيعة الشيطاني، تلك القوى الأبدية التي تعمل تحت عباءة الأعراف الاجتماعية. لا يمكن فصل الإباحية عن الفن؛ حيث يتداخل الاثنان مع بعضهما البعض أكثر بكثير مما اعترف النقد الهيوماني. يقول (جيفري هارتمان) – وهو محق – : "الفن العظيم دائماً ما يكون محاطاً بأخويه في الظلمة : الكفر، والإباحية" [1] حتى (هاملت) – أيقونة الأدب الغربي – مليء بالمجون والخلاعة. المجرمون عبر التاريخ – من (نيرو) و(كاليجولا) إلى (غيل دي ريز) والقادة النازيين – لم يحتاجوا أبداً إلى مواد إباحية لتحفيز قدراتهم الإبداعية والبشعة، فالعقل البشري الشيطاني وحده كفيل بذلك". [٢]

تعترف (باليا) بأن هذه أفعال المجرمين : ثم لا تمانع من نشرها !

كما قلنا سابقاً : عندما تسقط امرأة في فخ النسوية المتحررة، وعندما تبدأ أولى خطواتها (أو تنازلاتها) القيمية أو الدينية أو الأخلاقية فيها باسم (الحرية الشخصية) : فلن تستطيع التوقف بعد ذلك إلا مَن رحم الله !

---

(1) Beyond Formalism: Literary Essays 1958–1970 (New Haven, 1970), 23.

[٢] من مقال (الجنس والعنف، أو الطبيعة والفن) – مصدر سابق.

وبالتالي لن تستطيع الإنكار على مَن يسبقونها بمراحل في التحرر والتفسخ الأخلاقي لأن المصدر واحد، والمنطق الذي يعتمد عليه كل منهما واحد ! فكيف تشجب أو تستنكر ما يمكن رده عليها ؟!

لذلك تلجأ (باليا) إلى التشويه المتعمد للنسويات اللاتي يحاربن الإباحية ويأخذن صف المرأة العادية والزوجة المحترمة، فتقول :

" تكره (دوركين) و(ماكينون) المواد الإباحية لأنها ترمز إلى كل ما لا يفهمنه ولا يمكنهن السيطرة عليه في أجسامهن. النسوية الحالية – بتحيزها المناهض للعلم والبنيوية الاجتماعية – لا تولي الطبيعة أي اهتمام، وبالتالي، لا يمكنها التعامل مع الجنس المغروس داخل الجسم وينشط بالغريزة. يكمن الخطأ الأساسي في خطابات (ماكينون) و(دوركين) في أنهن يطابقن بين المواد الإباحية والمجتمع، ومن ثم يصفونها بأنها ذكورية وقمعية. في الواقع، تُظهر المواد الإباحية – التي تنفجر تعبيراً عن الحرية الشخصية – الوجه المظلم للطبيعة الذي تخفيه زخارف الحضارة. إن الإباحية تتعلق بالشهوة وجانبنا الحيواني الذي لن يستطيع الحب ترويضه بالكامل. إن الشهوة الجنسية عنصرية، وعدوانية، وأنانية. تسمح لنا الإباحية باستكشاف الجوانب العميقة والمحرمة لأنفسنا. إن تصريحات حزب (دوركين) و(ماكينون) حول المواد الإباحية مثيرة للضحك، فقد أعلنوا في قانون مينيابوليس أن : "المواد الإباحية مبنية على التمييز الجنسي".

وفي بيان آخر سموا الإباحية "أدب الكراهية". "معظم النساء يكرهن المواد الإباحية؛ وكل صناع الإباحية يكرهون النساء". تُظهر (ماكينون) و(دوركين) جهلاً مذهلاً بالتقاليد الإباحية المقدسة القديمة للمجتمعات غير الغربية، فضلاً عن ثقافة الذكور الشاذين جنسياً. إن إدانة (دوركين)

الشديدة (للجنس الفموي) باعتباره مثيراً للاشمئزاز يجب أن تُغضب كل الرجال".[1]

إن الإباحية – وكما قلت من قبل – تسحق أي وجود للأنثى أو المرأة الحاملة للرقة والعاطفة والمشاعر ! تسحق أي (شعور بالآخر) أو (مراعاة) بين الزوجين.

في أحد الحوارات الخاصة مع زوج (كان مدمناً على مشاهدة الإباحية) أخبرني أنه لو ظل على طبيعته أو فطرته ما كان ليفكر أبداً في أن يدفع زوجته للجنس الفموي، وكانت زوجته تشمئز من ذلك ولا تفعله، في حين كان يتعلق به فقط لشهوة تقليد ما يراه في الإباحية لا غير (وهنا الخطورة)، وقد وقعت بينهما أكثر من مشكلة بسبب ذلك، يقول أنه لم يكن يتخيل صِدق اعتراضها واشمئزازها وأنها تكاد تتقيأ، إلى أن أنجبت زوجته وكانت مُرضعاً، فلمّا كان يأتي لبن الرضاعة في فمه أثناء العلاقة بينهما، كان يمتعض ويشمئز منه أيما اشمئزاز، فتعمدت زوجته أن تظهر له تعجبها بدورها (أي استغلت تبدل المواقف !) والشاهد : هل رأيتم ما وصلت إليه (باليا) –كنسوية – وهي تكتب مقالها لأشهر مجلة إباحية لتروج لهم إباحيتهم وشذوذهم وساديتهم ؟ تزعم أن هذه هي الطبيعة البشرية التي يجب ألا نقمعها ! ثم تأتي لنا بالقدوات في ذلك وهم : أشهر المجرمين والطغاة في العالم من (نيرون) إلى (كاليجولا) !

وقبل أن أواصل، أريد منكم قراءة الكلمات التالية المملوءة بالعاطفة ومراعاة الأنثى (أو المرأة عاطفياً) : ثم قارنوها بالصورة البشعة التي تروج لها (باليا) وتقتل بها أنوثة مئات الآلاف من الفتيات والشابات والنساء اللاتي تخدعهن، وتقدمها لهن على أنها (ثقافة) و (أسلوب حياة) و(تحرر) .. وما يدرين أنه (عبودية)

---

[1] من مقال (عودة كاري نيشن) الذي كتبته في أشهر مجلة إباحية– مصدر سابق.

ستنشب مخالبها في أعناقهن أبد الدهر ! اقرأوا معي هذا المنشور الرقيق القصير من الفيسبوك (وهو قطعة أدبية غاية الرقة والجمال) للكاتب الأستاذ (محمود توفيق) يقول فيه - ولعله يحكي موقفاً من أجدادنا وجداتنا - :

" زوج شاب ومعه عروسه، في طريق السفر، منذ نحو مائة عام، وفي وقت راحة في الطريق، والزوجة راقدة في الهودج، قام الزوج وغسل ثوبه، ووضعه على حبل شدَّه بين شجرتين. بعد قليل صعدت الشمس، وبدأت العروس تنزعج منها، ولاحظ الشاب ذلك، وكره أن تيقظ الشمس صغيرته من نومها، فحرَّك ثوبه الذي على الحبل، وجعله يستر وجهها عن ضوء الشمس، وكانت هي قد لاحظت ذلك وتناومت بدلال وابتهجت، وذهبت في النوم سعيدة جدًا.

تلك القصة بقيت في قلبها ناضرة، صحيحة الألوان، لون الشمس، ولون السماء، ولون الشجرتين، ولون الثوب، وخلَّدتها هي، وانتقلت منها لبناتها وأحفادها من ضمن الحكايات الجميلة، أما هو الذي فعل هذا، فنسي ذلك قبل الضحى، ولم يكن يشعر بالأساس أنه قام بعمل كريم؛ لأنه يعتقد جازمًا أن غسل الثوب يتكلف من الجهد أكثر من تحريكه على الحبل.

المرأة تخلِّد الأشياء التي نسيها الرجل، أو اهترأت في ذاكرته، سواء كانت جميلة أو مثيرة للنقمة، تبقى فيها بألوانها الطبيعية، وتبقى فيها بآثارها العاطفية. الرجل يصنف أشياء بأنها قليلة الأهمية، لأنها لا تستلزم مجهودًا كبيراً، وقد تعظم المرأة نفس هذه الأشياء، لأنها تراها مشحونة ومعبِّرة.

المرأة كائن مشغول بالتعبير بطبعه، سواء باللسان أو بغيره، وكثير مما يقوم به مَن تحبهم ومَن تكرههم من حولها، تراه تعبيراً عن شيء ما، جيد، أو غير جيد، وإذا استيقظت فيها ذكرى ما وتمطَّأت، وفردت نفسها، حجبت تلك

الذكرى ما هو أوضح وأعظم، مثلما حجب الثوب الصغير الشمس كلها التي بسطت ضياءها على البر كله، فإن قامت فيها ذكرى سيئة، فهي تحجب عنها وقت قيامها شمسًا من البر، وإن قامت فيها ذكرى جميلة حجبت عنها شمسًا من الجحود.

عبِّر كي تعبر إليها، بأعمالك، ولسانك، ونبرتك، ومواقفك الجميلة".[١]

تثير مثل هذه الكتابات الحزن والأسى على حال المرأة في (الإباحية) إذ : من أين لها أن تتذوق جمال هذه التعابير التي تُحيي فيها (الأنثى) ومشاعرها وعاطفتها ؟ خاصة عند رجل يحبها وتحبه ؟ أو أبناء تربيهم في بيئة نظيفة ؟ لا عند ٣٠ رجلاً يتناوبون عليها في اليوم في بيت دعارة أو أمام أبنائها ! أو يكتم أحدهم أنفاسها من الصراخ والاستغاثة أثناء تصويرها لفيلمٍ إباحيٍ حتى لا يعكر صفو المشهد ولا المشاهد !

نعم .. فحال الكثير من النساء في مجال الإباحية لا يقل سوءًا عن حالهن في الدعارة ! نفس الضغط العصبي والنفسي والعاطفي والجسدي، ونفس نوبات الاكتئاب والهروب إلى الإدمان وغياب الحب الحقيقي !

وهذا هو الجانب المرعب في الإباحية، وهي أن إدمان مشاهدتها سيؤول في النهاية إلى البحث عن المزيد من (الإثارة) أي : عن أشكال جديدة، وجديدة، وجديدة، مختلفة عن الصورة النمطية للجنس العادي بين رجل وامرأة، هذا التجديد هام حتى تستمر تجارة الإباحية التي تدر مليارات الدولارات سنوياً في استقطاب المزيد من الضحايا !

---

[١] من صفحته الخاصة على الفيسبوك بتاريخ ١٢ أكتوبر ٢٠٢٠م.

نعم ... مشكلة (باليا) وكل المطبعين مع نشر الإباحية والشذوذ أنهم يحتجون بأن (الناس البالغين) يمتلكون حرية الاختيار في المشاهدة أو التقليد ! وفي الحقيقة يتهربون من ذكر تفاوت عقول الناس ومداركهم ! فمن الناس مَن يحمل عقلية المتلقي السلبي لما يراه دون فلترة أو تمحيص، إنه يشبه (الطفل الكبير) الذي يقع في (التقليد)، ولا يملك من الدين أو الحكمة أو خبرة الحياة رادعاً يجعله يتوقف عن الخطأ إذا وقع فيه !

انظر إلى الأطفال إذا عرضت عليهم فيلماً لبطل أسطوري : ستجدهم يقلدونه بعدها، أو عرضت عليهم فيلماً قتالياً : ستجدهم يقلدونه كذلك !

وبقدر ما تنتهي هذه المرحلة في الطفولة ... إلا أنها تستمر عند البعض !

ومن أمثالهم يظهر المغتصبون والقتلة والسفاحون والقتلة المتسلسلين.

ثلاث مقالات تفضح الوجه الأسود لـ (الإباحية)

من إبداعات الدكتور (إسماعيل عرفة) أنه تتبع منذ ٤ سنوات تقريباً موضوع الإباحية وكتب فيه ٣ مقالات تكشف مدى جناية وجريمة المروجين مثل (باليا) في إشاعتهم ونشرهم لها، حيث عرض آثارها المدمرة على المرأة بل وعلى الأطفال كذلك ! فضلاً عن الرجال والحياة الزوجية.

ويتميز دكتور (إسماعيل) [1] بأسلوبه الواقعي السهل الذي يقدم الحقائق والمراجع والاقتباسات بين يدي القاريء والباحث عن الحقيقة.

---

[1] للدكتور (إسماعيل عرفة) كتابان نشرهما له مركز دلائل وهما (لماذا نحن هنا ؟) عام ٢٠١٧م، و (الهشاشة النفسية) عام ٢٠٢٠م.

أول هذه المقالات الثلاثة هو مقال من عام ٢٠١٧م بعنوان :

"هكذا تؤثر الأفلام الإباحية على قدراتك الجسدية والذهنية".

ويتحدث فيه دكتور (إسماعيل) عن واقع الإباحية اليوم ومدى انتشارها وتوغلها بين المراهقين بل وأنها أكثر مشاهدة في المتزوجين عن العزاب — عكس المتوقع - ! وكذلك إثبات الدراسات العلمية لحاجتها بالفعل إلى التجديد المستمر لكي يحافظ صناع الإباحية على أقصى تحفيز مستمر عند المشاهد فيما يطلق عليه (التحفيز فوق – الطبيعي) Supernormal stimuli.

وكذلك يعرض بالأبحاث العلمية الأثر السيء لمشاهدة الإباحية على تقدير الزوج لزوجته أو رؤيته وتقييمه لها نتيجة مقارنته الدائمة لها بآخريات ممّن يشاهدهن من كل صنف ولون.

كذلك عرض المقال للأبحاث التي تثبت الأضرار النفسية للإباحية على الرجل، مثل قلة الحساسية وقلة الاستمتاع (حتى مع ما كان يستمتع به في السابق من أمور) وكثرة الغضب والقلق وقلة التركيز وغيرها.

أيضاً عرض الأبحاث التي تتبعت قرابة ٣٠٠ فيلم إباحي لترصد الإهانة المتعمدة والتحقير الفاحش والعنف اللفظي والجسدي الموجه دوماً للمرأة، مع تمثيلها للقبول أثناء ذلك وهو ما ينعكس على ترسيخ ثقافة (لا آدمية) المرأة في المجتمع وأنها (أداة جنسية) Sex object.

ثم يختم المقال بجزء عن إمكانية التعافي من إدمان الإباحية ودرجات ذلك وصعوبته على البعض، لأنه كما نقل قول أحدهم عن الإباحية :

"تدخل إلى الجسم كإبرة، وتخرج كخطاف" !

أما المقال الثاني، فهو مقال من عام ٢٠١٨م بعنوان :

"الاغتصاب كطريق للمتعة.. تعميم الذوق الإباحي الشاذ".

ويمكن العثور عليه أيضاً باسم :

"اغتصاب من أجل المتعة.. صناعة الأفلام الإباحية".

وفيه يستعرض اعترافات بعض ممثلات الإباحية عما يتعرضن له من عنف وإيذاء كبير أثناء التصوير واستغاثات دون مجيب وكأنها عملية (اغتصاب) مدفوعة الأجر ! كذلك يستعرض الكثير من المعلومات عن حجم صناعة الإباحية الضخم لندرك لماذا يجب أن يتمسح بها أمثال (باليا) حتى يزيدونها استفحالاً في المجتمعات ؟

أيضاً يشير إلى كتابات الغربيين أنفسهم في ترتيب أسباب ولوج الفتيات والشابات في صناعة الإباحية، فيأتي **أولها** : الاستغلال المادي للراغبات في المال لفقرهن أو سداد حاجاتهن، **ثانيها** : البحث عن الشهرة، ثم يأتي **ثالثها** وأقلها فعلياً : كنوع من الإثارة أو الشهوة (وهو عكس الترتيب الذي يصورونه للمراهقين والشباب والرجال بأن ممثلات الإباحية هن باحثات عن الجنس والشهوة في صورة خيالية تبقى مسيطرة على عقولهم أو تفكيرهم للأسف).

وكذلك يستعرض خطر الأمراض الجنسية والإيدز الذي يصيب الممثلين والممثلات رغم كل الترتيبات والإجراءات الوقائية التي (من المفترض) أنهم صاروا يعملون وفق شروطها بموجب القوانين الرسمية !

أما المقال الثالث والأخير فهو مقال من عام ٢٠٠٨م أيضاً بعنوان :

" أطفال في الأفلام الإباحية.. كيف ينتهك الغرب الطفولة ؟ ".

ويمكن العثور عليه أيضاً باسم :

" براءة منتهكة.. الغرب والاستغلال الجنسي للأطفال في الأفلام الإباحية".

حيث يعرض فيه دكتور (إسماعيل عرفة) بالمراجع والاقتباسات والمصادر : قصص الأطفال الذين يتم خطفهم صغاراً (مثل سن ٨ سنوات) واستغلالهم في تصوير مئات وآلاف المقاطع الجنسية التي لها جمهورها للأسف، مع تسليط الضوء على أشهر عمليات القبض على تلك الشبكات (ومنها عابر للقارات) وكشف أعدادها والتي تتركز في الدول التي تعد السوق الأساسي لترويج (باليا) وأمثالها للإباحية بلا حدود، بما في ذلك السادية والمازوخية بل والأطفال في البيدوفيليا كما سنرى بعد قليل !

تأتي في مصاف هذه التجارة الإباحية القذرة بالأطفال دول كبرى مثل أمريكا والدنمارك والسويد والنرويج (أضخم عدد فيديوهات إباحية للأطفال كان في شبكة بالنرويج) ! وكذلك فضائح استغلال قساوسة العديد من الكنائس للأطفال جنسياً في دول تعد من مصاف أعلى الدول ثراءً وتفسخاً أخلاقياً وتحرراً مثل النمسا وإسبانيا وسويسرا وأيرلندا.

مع التركيز على أن حجم ما يتم القبض عليه والكشف عنه يعد قليلاً مقارنة بما لم يتم الكشف عنه ويتوقع وجوده في شبكات أضخم !

المشكلة لم تنحصر في الحجم الهائل لهذه التجارة الإباحية فقط، وإنما في المحتوى المقزز والسادي والشاذ الذي انطوت عليه !

لقد شملت الفيديوهات المضبوطة تصويراً لكبار يمارسون الجنس مع أطفال بالكاد يستطيعون المشي ! ويمارسون الجنس مع أطفال يتم تقييدهم وتعجيزهم !

وفيديوهات لأطفال يتم إجبارهم على الجنس مع الحيوانات ! وأطفال يمارسون الجنس مع أطفال ! بل وتضيف الشرطة اعتراف أحد المقبوض عليهم بانتظاره لولادة صديقته حتى يبدأ في استغلال الوليد جنسياً !

(هل تتذكرون خبر الطفلة مريم في الحضانة الألمانية) ؟

هذا الغثيان هو نتيجة طبيعية للعبث المزري الذي تروج له (باليا) وتحاول وضعه في جمل وقوالب فلسفية وإسقاطات فكرية ليظهر على أنه رؤية ثقافية عميقة لطبيعة الحياة وحقيقة وحشيتها **التي لا يجب أن نعيقها !**

ثم يتطرق دكتور (إسماعيل) في نهاية مقاله بذكاء إلى بعض أسباب تفشي هذه الظاهرة بهذه الصورة المرعبة (أي استغلال الأطفال جنسياً وانتشار اشتهائهم بهذه الطريقة المريضة).

فذكر دور الإعلام القذر في تمرير (جنسنة) الأطفال Sexualization من خلال الأفلام والمسلسلات.

حيث ذكر عدة أمثلة لمسلسلات تدور جميع حلقاتها بصورة أساسية حول تصوير الفتيات (الصغيرات) بشكل جنسي بكامل الماكياج والملابس الخليعة المغرية ! وكيف يحذر المفكرون الغربيون من انتشار هذه الثقافة الآن في وعي الشعوب للأسف (أي ثقافة الصورة) والتي تؤثر فيها الصورة بشكل أقوى وأعمق من الكلام **(ليته كان عاصر نيتفيلكس بترويجها بفيلم كامل لذلك) !**

ثم يتطرق دكتور (إسماعيل) لخطر آخر أكبر وهو الإباحية (تلك التي تروج لها باليا وتزعم في خبث أنه لا ضرر منها وتهاجم النسويات اللاتي يطالبن بوقفها)، حيث نهدي لها الاقتباس التالي الذي نقله دكتور (إسماعيل) على لسان (جيل داينز) أستاذة علم الاجتماع تقول :

" في ٢٠٠٩م كنت أدير جلسة علاج نفسية لمغتصبي الأطفال في أحد السجون. معظمهم حدثوني عن دور الأفلام الإباحية في جرائمهم، شارحين بأن الإباحية العادية بالنسبة لهم صارت مملة وغير محفزة، فلجأوا إلى البحث عن خيار أشد إثارة وأكثر حميمية، فوجدوا ضالتهم في اغتصاب طفل".

وهو نفس ما ذكرناه سابقاً ودلل عليه دكتور (إسماعيل) في مقاله الأول عام ٢٠١٧م ببحث علمي كان يعرض مقطعاً إباحياً على مجموعة من الشباب، حيث كانت استثارتهم له كبيرة في أول مرة يشاهدونه، ثم يقل استمتاعهم واستثارتهم تدريجياً مع تكرار مشاهدته إلى أن تصل إلى الصفر ! وبمجرد عرض الباحثين لمقطع إباحي جديد :

تقفز استثارتهم إلى أعلى مستوياتها مرة أخرى، ثم تقل تدريجياً تدريجياً مع تكرار المشاهدة وهكذا، وهذا سبب البحث عن الجديد الذي يفضي إلى الشذوذ الجنسي والممارسات الغريبة التي يبحث عنها مدمنو الإباحية، والذين بلغوا درجات خطيرة في التعلق والاستجابة به للأسف !

كذلك يعرض دكتور (إسماعيل) خدعة استدراج يتبعها هؤلاء الشياطين في جثامين إنس وهي تعمد ارتداء ممثلات الإباحية في تلك الفيديوهات لملابس أطفال ! مثل ملابس المدرسة والتنانير القصيرة والإمساك بالمصاصات ونحوه، وكما يعلق المختصون على ذلك بأنه :

لا يتحول أحد إلى مغتصب أطفال إلا بعد مروره بثلاث مراحل :

الأولى : مشاهدة المواد الإباحية !

الثانية : مشاهدة الممثلات الإباحيات في ملابس الأطفال !

الثالثة : مشاهدة المواد الإباحية للأطفال !

تجدر الإشارة إلى ذكر دكتور (إسماعيل) لواحد من أشهر المجرمين الأمريكيين المعترفين بدور مشاهدة الإباحية في جعله مجرماً مغتصباً وقاتلاً ! ألا وهو (تيد باندي)، يقول عنه في مقاله :

" سر تيد باندي الصغير.. لقاء مع متهم اغتصب وقتل أكثر من ٣٠ فتاة قاصرة وامرأة، يعترف بأنه ما وجد أحداً من زملائه في عنبر المغتصبين للأطفال إلا وهو مدمن للأفلام الإباحية".

أقول : مشاهدة هذا المقطع وحده كفيلة برمي كل كلام (كاميل باليا) عرض الحائط، وعودة العقل والمنطق لكل مخدوع بكلامها وتنميقاتها الباردة في تزيين الإباحية والتهوين من مصائبها وخطورتها ! واللقاء موجود على اليوتيوب مصور ومترجم باسم : "**سر تيد باندي الصغير**".

ويحكي فيه كيف تحول من شخص هادىء : إلى ما صار إليه عن طريق إدمانه لمشاهدة الإباحية في غرفته دون علم أسرته بشئ !

تقول (كاميل باليا) وهي تتملق الإباحية في مقالها بأشهر مجلة إباحية :

" في هذا العالم التكنولوجي الميكانيكي، يجب تأجيج نيران الجنس. ولهذا السبب يجب أن تستمر الإباحية في لعب دور رئيسي في حياتنا الثقافية. إن الإباحية هي ساحة وثنية من الجمال والحيوية والوحشية، التي تعبر عن قوة ونشاط الطبيعة القديمة، يجب أن تكسر كل قاعدة، وأن تخرق كل قانون أخلاقي. تمثل المواد الإباحية الحرية المطلقة للخيال". [١]

---

[١] من مقال (عودة كاري نيشن) الذي كتبته في أشهر مجلة إباحية– مصدر سابق.

هل وصل بكم التعجب لمنتهاه من كلام (باليا) بعد ؟

أعتقد يمكننا أخذ اقتباس آخر يدل على أن هذه المرأة تتلاعب بعقول متابعيها للأسف وباستخفاف عجيب، تقول عن أثر الإباحية في اعتراف نادر :

"هناك رمزية طقوسية في ارتكاب جريمة الجنس لا تدركها معظم النساء، وبالتالي لا يمكنهن تسليح أنفسهن ضدها. من الواضح بجلاء أن المؤثرات البصرية لها تأثير مباشر على النشاط الجنسي للذكور، وهو أكثر ما يهتم به الذكور في المواد الإباحية. إن المعتدي الجنسي – الذي غالباً ما يكون منبوذاً ومهزوماً ومثقلاً بإخفاقاته – يكون مدفوعاً بغريزة الصيد العنيف، لذلك فمسماه الدقيق "المفترس" لأنه يحول ضحاياه إلى فريسة".[١]

هل تدرون في أي مقال كتبت هذا الكلام ؟ إنه المقال الذي (ويا للعجب) تحذر فيه الفتاة أو الشابة من ارتداء الملابس المغرية دون الانتباه لمن قد ينظر إليها ويتربص بها ! **والسؤال** : لماذا قالت هذا الكلام في هذا الوقت المتأخر من تاريخها النضالي المفسد للأخلاق والدافع للمرأة لتلبس ما تشاء من إغراء خصوصاً في الجامعة ؟

والإجابة : هي محاولة ماكرة منها للمسارعة في تبرئة ساحتها من جرائم اختفاء عديدة لفتيات والعثور على جثث بعضهن مغتصبات مقتولات !

عنوان المقال : "**الحرم الجامعي الحديث لا يمكنه احتواء الشر**" !

وإليكم اقتباسين من أول وآخر المقال، حيث تقول في بدايته :

---

[١] من مقالها : (الحرم الجامعي الحديث لا يمكنه احتواء الشر) The Modern Campus Cannot Comprehend Evil، موقع Time.com، ٢٩ سبتمبر ٢٠١٤م.

" اختفاء (هانا غراهام) – الطالبة في السنة الثانية بجامعة فرجينيا – قبل أسبوعين – هو الأحدث في سلسلة طويلة من حالات اختفاء الفتيات، والتي غالباً ما تنتهي بشكل مأساوي. لاعب كرة قدم سابق يبلغ من العمر ٣٢ عاماً، ويزن ٢٧٠ رطلاً كان قد هرب إلى تكساس، ثم أُعيد إلى فرجينيا ووُجهت إليه تهمة "الاختطاف بنية الاعتداء الجنسي". وحتى هذا التاريخ، ما زال مصير (هانا) ومكان وجودها مجهولين. [١]

إن الادعاءات المبالغ فيها حول انتشار وباء الاعتداءات الجنسية في حرم الجامعات الأمريكية تمنع الفتيات – اللاتي غالباً ما ينصرف انتباههن إلى الهواتف المحمولة أو الأجهزة اللوحية – من رؤية الخطر المحدق بهن في الأماكن العامة : جرائم الجنس القديمة المتمثلة في الاختطاف والقتل".

وحتى تحفظ ماء الوجه، تعيد (باليا) تكرار مفهوم كررته في عشرات المواضع من كتبها ومقالاتها ألا وهو : إن العملية الجنسية من الرجل ما هي إلا محاولة منه للحط من شأن المرأة التي هي الأصل وهي القوة وهي وهي (تضع باليا مجموعة كبيرة من الصفات الغريبة تمجيداً للأنثى) ! وكذلك الأمر في الاعتداء الجنسي أو الاغتصاب (أي يريد الانتصار عليها بالقوة كما سنقرأ الآن) لكنها تضطر لذكر الحقيقة في النهاية فتقول :

" تنبع جريمة الجنس من الخيال، والهلوسة، والوهم، والهوس. تصبح الشابة الساذجة كبش فداء لرد الفعل الغاشم ضد القوة الجنسية للإناث، لذلك نرى العديد من مرتكبي جرائم الجنس يقولون "لقد دفعتني إلى فعل

---

[١] عندما أعادت (باليا) نشر المقال الذي كان في ٢٩ سبتمبر ٢٠١٤م في كتابها (حرائر وأحرار) ذكرت ملحوظة أنه تم العثور على جثة (هانا) يوم ١٨ أكتوبر ٢٠١٤م .

ذلك". إن العبارات الأكاديمية المحفوظة حول "تسليع" النساء في ظل الرأسمالية لا معنى لها هنا : إنها الحالة البيولوجية المتفوقة للمرأة كمنتجة غامضة للحياة هي الهدف الذي تهدف بربرية جرائم الجنس لمحقه وتمزيقه.

إن النساء الشابات اللاتي يقعن في تيه التفاؤل الساذج وينخدعن بعبارات مثل "استمري يا فتاة !" وغيرها من العبارات التشجيعية، لا يمكنهن رؤية عيون المفترسين التي تتوهج في الظلام. إنهن يفترضن أن الجسم الجذاب والملابس المثيرة ليست سوى قطع أزياء لا تتضمن أية رسائل قد يساء فهمها أو تحدث بلبلة واضطراباً، إنهن لا يدركن هشاشة الحضارة والحضور الدائم للطبيعة الوحشية".

والآن... هل لا زلنا في شك من تورط فكر (باليا) وما يترتب عليه من شذوذ في الجنس وغرابة وتعذيب : فيما قرأناه من جرائم ومختلين نفسيين بالفعل ؟! أقول : إذا كنا في شك، فإليكم أحد أخطر مقالاتها التي تروج فيها لكل شاذ وغريب وسادي للأسف ! المقال بعنوان :

"**عبودية العلماء : الدوغمائية تهيمن على دراسات الغرابة الجنسية**"، مراجعة لكتب : "**تقنيات اللذة**" لمارجوت فايس، و"**الرقص على الحافة**" لستايسي نيوماهر، و"**الفيمدوم / المرأة المهيمنة**" لدانييل ليندمان. مجلة The Chronicle Review، ٢٤ مايو ٢٠١٣م.

في هذا المقال تدافع (باليا) وتروج لشتى أنواع (الغرابة الجنسية) أي جميع الممارسات الجنسية الغريبة مثل :

التلذذ الجنسي **بتعذيب الآخر** ! والتلذذ الجنسي **بالشعور بالألم والتعذيب والإهانة والضرب** ! والتلذذ الجنسي **باستخدام الجمادات** ! والتلذذ الجنسي

بسيطرة المرأة (السيد) على الرجل (العبد) **وضربه وإهانته ووضع قوانين له !** والتلذذ الجنسي **بعضو معين من أعضاء الجسم غير جذاب في الأصل** مثل أصابع القدمين ! والتلذذ الجنسي **بالأطفال** (أو ما يعرف بالبيدوفيليا وهو الآخذ في الانتشار اليوم للأسف وتدعمه كاميل باليا).

إلى آخر هذه اللائحة الطويلة من ممارسات التعذيب التي أخذت (باليا) في سردها في هذا المقال مشيدة بها أحياناً، وعاتبة على المؤلفين في أحيان أخرى عدم صراحتهم في ذكر تفاصيلها وفلسفة إسقاطاتها العميقة أحياناً أخرى ! حيث تضيف لهذه الأمراض النفسية عبارات ومعاني فلسفية لمحاولة تجميلها كعادتها كما رأينا من قبل !

لن أعرض المقال أو أجزاء منه لأنه لن يضيف جديداً في وقاحة الحصيلة الثقافية التي تروج لها (باليا) للأسف، وإنما سأنتقل إلى الجزء الهام والأخير هنا عن (الإجهاض)...

لم آمره بالقتل !

يحكي لي أحد الأشخاص (مسلم عاش في الغربة) أنه اقترب جداً من تعظيم هذا الدين (أي الإسلام) بسبب فيلم رآه !

في البداية لم أسأله عن الفيلم، ولكن سألته عن ما الذي لم يكن يعرفه في دينه الإسلام ثم عرفه فجعله يقترب جداً من تعظيمه ؟! فقال لي :

"**تذكرت كلاماً لأحد الشيوخ كان يتحدث في أحكام البيع، فكان يذكر أن الأصل في بيع الأشياء كلها أنها مباحة ما لم يكن هناك نص محدد بتحريمها، أو كان هناك معرفة أو يقين من أنها (أي تلك المباحات) ستفضي**

إلى حرام أو ضرر محقق، فسأله الحاضرون عن معنى ذلك، فضرب مثالاً ببيع السكاكين، فقال أنه مباح، لكن إذا قامت مشاجرة مثلاً بجوار المحل وعلم البائع يقيناً أن الذي سيشتري منه الآن سيستخدمها في الإضرار أو القتل : فهنا صارت حراماً لحرمة الدم الذي ستتسبب فيه".

لم أعلق كثيراً على هذه النقطة لعلمي بها، فالإسلام لا يتعامل بالفعل مع ظاهر الأشياء كما تفعل القوانين الوضعية للبشر، وإنما يربط كل نفس بمراقبة خالقها العليم الخبير مباشرة، فهو المطلع عليها وعلى ما في قلبها، وهذا يجعل المسلم يحاسب نفسه فيفعل الشيء أو يمتنع عنه حتى ولو غفل عنه القانون.

ثم سألته عن الفيلم الذي كان سبباً في ذلك فقال فيما أتذكر :

"كنت أبحث في إحدى الليالي عن فيلم أقضي معه سهرتي قبل النوم، فإذا بصورة فيلم في أحد المواقع يبدو منها احتوائه على مشاهد ساخنة، فدخلت عليه لتحميله بعد أن قرأت ملخص قصته بأن بطلته تعمل في الدعارة، كنت ضعيف النفس أمام مثل هذه البوسترات الإغرائية والصور العارية للممثلات، والتي يتفننون في وضعها في مختلف الأفلام لجذب المشاهد إليها سواء أفلام الرعب أو المغامرات أو غيرها، والشاهد : بدأ الفيلم، وكان على غير المتوقع : يحكي مأساة شابة وقعت في براثن الدعارة، حيث كانت تتمنى دخول عالم الإعلانات أو التمثيل وهي ابنة قرية أوروبية نائية، فقابلها أحد المسوقين وصناع الشهرة، ولم يكن في الحقيقة إلا قواداً، ولم تكن وظيفته إلا شحن أمثال هؤلاء الساذجات إلى شبكات الدعارة داخل المدن الكبرى في بلدان بعيدة عن قراهن، حيث يتم هناك معاملتهن بكل قسوة من ضرب إلى اغتصاب، بل إلى قتل كل مَن تسول لها نفسها الاعتراض أو الهرب أو محاولة إبلاغ الشرطة (والتي غالباً ما يكون لها تعاون

مع تلك الشبكات للأسف).

يتم إبلاغ الفتاة أن عليها مبلغ كبير لسداده حتى يمكنها أن تحصل على حريتها، هذا المبلغ يتم تحصيله عن طريق الدعارة وبيع جسدها، كذلك تم تهديدها بقتل أخيها الصغير الذي في قريتها إن حاولت الهرب، وبالفعل رأت قتل إحدى زميلاتها ممَن حاولن ذلك، فاستسلمت للأمر الواقع في النهاية، لأول مرة أشعر بنوع من الشفقة على أمثال هؤلاء اللاتي لم يكن في رغبتهن ولا في حسابهن الانزلاق إلى هذه الهاوية، حيث بدأت إدمان المخدرات للتخفيف من التفكير في واقعها الأليم، كانت تتعرض لرغبات غريبة من طالبي المتعة من الشاذين جنسياً إلى غريبي الأطوار إلى المازوخيين وغيرهم ! إلى أن جاءت نهاية الفيلم، وهي إرسالها مع زميلة لها إلى أحد العملاء (ظناً منهما أن الهدف هو الدعارة فقط) فإذا به رجل سادي يتلذذ بتعذيب الداعرات حتى الموت، مع تصوير كل ذلك ونشره على الإنترنت الخفي لكسب الملايين ! وقد ماتت زميلتها بالفعل لكن تم إنقاذها في النهاية".

هذا الواقع المؤسف (وهو ليس بخيالي بعد قراءتنا لكل ما سبق) : إذا سألت عنه أمثال (كاميل باليا) ستتنصل منه كالحمل الوديع قائلة : **"أنا لست مع الاغتصاب، أنا لست مع القتل، أنا لم أقل بكذا، أنا لم أحث على كذا"** !

وكذبت ...

فالمشارك في الجريمة ليس من الضروري مَن يمسك أداة القتل بيده !

فالذي يزين الجريمة في عين المجرم هو مشارك، والمخادع للضحية لتقع في شباك المجرم هو مشارك، والمدافع عن هذه الجرائم ويلبسها لباس المعاني العميقة والفلسفية الزائفة هو مشارك، وكل ذلك تفعله (باليا) بلا استحياء ! وما أرحم

الله عندما تحدث عن أمثال هؤلاء الفتيات المرغمات على الدعارة فقال :

﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ سورة النور - ٣٣.

أي إن الله غفور رحيم لهؤلاء الفتيات، فلن يحاسبهن ولا يؤاخذهن على ما تم إكراههن عليه من البغاء أو الدعارة !

وبالطبع ليست هذه دعوة عامة لالتماس العذر لكل داعرة أو بغي، **وإنما للتي تم إكراهها على ذلك فقط**، ليس لمن أقبلت عليه منشرحة الصدر تبحث عن المال أو الشهرة أو الشهوة ! فالله تعالى لا يؤاخذ مَن تم إكراهه على قول كلمة الكفر، فيكون ما دون ذلك أهون. ورغم هذا : فحتى اللاتي دخلن باب الإباحية والدعارة بحثاً عن الشهرة أو المال : فمنهن مَن تراجعت أو تركته وهي نادمة بعد ذلك، حيث أدركت مدى الدونية النفسية التي صارت إليها مهما حازت من شهرة أو مال، فهي في عين كل مَن يعرفها مومس أو بغي !

وسبحان الله ! لذلك لا نستغرب من تجميع اعترافات ممثلات إباحيات سابقات في حركة شهيرة باسم (حارب المخدرات الجديدة) Fight the New Drug يقصدون بها الإباحية، لأن إدمان مشاهدتها بالفعل هو نفس تأثير إدمان المخدرات على المخ. ولهم قناة بنفس الاسم على اليوتيوب.

مكتبة
t.me/t_pdf

فتيات في مهب الريح

إن المرء ليشفق (فعلياً دون مبالغة) مما عليه حال المجتمعات الغربية التي لا

يظهرون من وجهها القبيح في الأفلام والمسلسلات إلا أقل القليل، وهو يكفي الحقيقة للاشمئزاز ! فتيات في سن الزهور يتم إحاطتهن بشتى أنواع المغريات الجنسية والتشويق لخوض التجربة بزخارفها ! ليس الزنا فقط .. بل حتى الترويج لعمليات التحول الجنسي لأطفال في عمر ١٣ سنة بعمليات جراحية وهرمونات ولا يستطيع آباؤهن حتى الاعتراض أو النصح بقوة القانون ! [١]

هل تتخيلون أن تمشي الأسرة في الشارع وبجانبهم محلات بيع شرائط الفيديو الإباحية أو إعلانات وواجهات نوادي التعري والدعارة ؟! كل هذا (قانوني) و (رسمي) في دول (التقدم) و(الرقي) زعموا ! هل تتخيلون بيع المجلات الإباحية والصور المثيرة من حولك في كل مكان وفي الأفلام وحتى التلميحات الجنسية الفجة التي وصلت إلى أفلام الرسوم المتحركة أو الكارتون ؟!

مع كل هذا الطوفان من المغريات لا نجد أمثال (باليا) - إذا صدقت نيتها في حماية أولئك الضحايا – تنصحهن لحمايتهن حقاً، لا نجد أمثالها تطالب بصلاح الأخلاق والمجتمع (بل تؤسس لعكس ذلك تماماً) ! فنرى كل اهتمامها ينصب في توعية الفتيات عن الجنس وعن أهمية الواقي الذكري وعن التحذير من الحمل إذا لم يكن مستعدات له ! والسؤال : هل لحظة الشهوة يغلب فيها التفكير في العواقب ؟! وهل مع شرب الخمر سيعي الزاني والزانية أهمية الواقي الذكري ؟! لقد تم توزيع الواقيات الذكرية على طلاب المدارس بالملايين : ولا زالت فاجعة حمل فتيات المدارس كما هي وحالات الإجهاض الرسمية المسجلة فقط مئات الآلاف سنوياً !

ففي خبر موقع صوت العرب من أمريكا arabradio.us بعنوان :

---

[١] يمكن مشاهدة لقاء ٣ دقائق على اليوتيوب لأب يحكي مأساته بعنوان : المحكمة الكندية أجبرت الأب على قبول حقن ابنته بهرمونات الذكورة حتى تتحول إلى ذكر!

"انخفاض معدلات الإجهاض بنسبة ٢ % في أمريكا خلال ٢٠١٨م".

جاء فيه حسب مركز الوقاية ومكافحة الأمراض أن عدد حالات الإجهاض المسجلة (رسمياً فقط) في ٢٠١٨م بلغ ٦٢١,٦٤١ ألف حالة !

وهو ما يساوي نسبة إجهاض ١٨٦ طفل من بين كل ١٠٠٠ طفل !

ويساوي نسبة ١١,٦ امرأة من كل ١٠٠٠ امرأة من سن ١٥ إلى ٤٤ سنة ! (لاحظوا أن تلك الأرقام للإجهاض القانوني الذي تم الإبلاغ عنه فقط وبإشراف طبي رسمي ! فما بالنا بالأرقام التي لم يبلغ عنها) ؟!

يحضرني هنا مقال كنت قرأته في عام ٢٠١٩م بموقع BBC العربي بعنوَان لافت ومشوق يقول :

" **الإجهاض: تعرف على الدولة التي تزيد فيها معدلاته على الإنجاب**".

فقرأته لمعرفة ما هي تلك الدولة، فوجدتها (جرينلاند) تلك الجزيرة الباردة شمال الكرة الأرضية، والتي بلغ تعداد سكانها في ٢٠١٩م عدد ٥٦ ألف نسمة، ومنذ ٢٠١٣م بلغ عدد المواليد ٧٠٠ : في مقابل ٨٠٠ حالة إجهاض ! إن قرابة نصف الحوامل يجهضن حملهن في جرينلاند ! وهو ما يعني ٣٠ عملية إجهاض لكل ١٠٠٠ فتاة وامرأة ! حتى أنهن يسمين يوم الأربعاء في العاصمة (نوك) بـ (يوم الإجهاض) لأنه المخصص لهذه العمليات لاسيما الفتيات والطالبات ! وهو ما دعاهم للاهتمام أكثر بمشروع تأخير حمل المراهقات !

كانت الشخصية الرئيسية في المقال هي الشابة (بيا) البالغة من العمر ١٩ عاماً، (بيا) أجرت ٥ عمليات إجهاض في عامين فقط !

ورغم أن مواد منع الحمل توزع على الجميع بالمجان : إلا إنها تقول أحياناً

تستخدمها وأحياناً تنسى ! ويفيد استطلاع للرأي أن ٥٠ % يعرفونها، لكن ٨٥ % لا يستخدمونها أو يستخدمونها بطريقة خاطئة !

لماذا أذكر هذا المقال الآن ؟

الإجابة : لكي نعرف أنه **مهما اتخذ أدعياء التحرر من تدابير لمنع الحمل (خصوصاً للفتيات والمراهقات وغيرهن) : فإن قدر الله نافذ في أن تتذوق أكثرهن مرارة الإجهاض بعد معاناة الحمل، أو تربية الوليد الجديد بمفردها لسنوات تطول أو تقصر : بعد فرار الطرف الآخر أو تنصله منها كالعادة !**

ففي نفس المقال تذكر إحدى الممرضات أن شرب الخمر غالباً ينسي الطرفين استخدام موانع الحمل ! كما تقول باحثة أخرى أن الاضطرابات والمشاكل والخمر أو الكحول : كل ذلك قد ينسي الفتاة أو المرأة أخذ حبوب الحمل، كما أن الرجل يرفض أحياناً كثيرة ارتداء الواقي الذكري. (أقول : وقد يتمزق الواقي، وكل هذه أسباب قدرية لا يمكن لـ (باليا) ولا غيرها منعها) !

فماذا تقول (باليا) في هذا الموضوع ؟ نراها في أواخر كتاباتها في ٢٠١٤م تحاول حفظ ماء الوجه كذلك من مصائب حمل الطالبات !

أنقل لكم من مقالها : "**أعيدوا الجنس إلى التعليم الجنسي**" التالي :

"حالياً، هناك ٢٢ ولاية مع مقاطعة كولومبيا أقرت التعليم الجنسي، لكنها تركت القرارات التوجيهية والتنفيذية للإدارات التعليمية. مدرسو التعليم الجنسي هم خليط من خبراء الصحة المعتمدين، والمتطوعين، و"المثقفين الأقران"، وهؤلاء تلقوا الحد الأدنى من التدريب. ومن الواضح أن بعض المعلمين قد يدخلون تحيزاتهم الجنسية الإباحية أثناء معالجة هذه المناهج، ويتجلى ذلك في الفضائح المتفرقة حول الاستخدام غير المناسب

للمواد أو المواقع الإباحية.

بدأت الحملة الحديثة لإدخال التربية الجنسية في البرامج التعليمية في عام ١٩١٢م باقتراح من الجمعية الوطنية للتعليم لتخصيص فصول لتدريس "النظافة الجنسية" للحد من انتشار الأمراض المنقولة جنسياً مثل الزهري. خلال أزمة الإيدز في الثمانينيات، دعا الجراح العام (جيم إيفرت كوب) إلى تدريس التعليم الجنسي ابتداءً من الصف الثالث. في التسعينيات، حوَّل مختصو التعليم الجنسي اهتمامهم إلى ظاهرة "المراهقات الحوامل" في الأحياء الفقيرة.

أثار التعليم الجنسي جدلاً متكرراً، ربما لأن المحافظين المتدينين ينظرون إليه كأداة للإمبريالية الثقافية العلمانية لتقويض القيم الأخلاقية. لقد حان الوقت لليبراليين أن يعترفوا بأن هناك شئ من الحق في هذا الأمر، وأنه لا ينبغي للمدارس الحكومية أن تنشر أو تتحيز لأي أيديولوجية. كان الرد الليبرالي على مطالبة المحافظين بأن يكون هدف التعليم الجنسي الامتناع عن ممارسة الجنس خارج إطار الزواج : هو إدانة هذه الدعوى بأنها تفرض "الخوف والخجل" على الشباب، ولكن ربما يكون المزيد من الخجل والخوف الذي ينقذ صاحبه مفيداً في بيئة اليوم المتشبعة بالشهوة وصور الإعلام.

تمرد جيلي من فتيات طفرة المواليد بجرأة على مبدأ (دوريس داي) لتقديس البكارة في الخمسينيات من القرن الماضي، لكننا خلفنا وراءنا الكثير من الفوضى. يهاجم الشبابَ الآن سيلٌ من الصور والرسائل الجنسية السابقة لأوانها. كما أن الفتيات المراهقات – اللاتي يرتدين الملابس المغرية – غير مستعدات للتعامل مع الانتباه الجنسي الذي يجذبنه. أصبح التعليم الجنسي متهافتاً ومفككاً بسبب مهامه المتراكمة، وأصبح من الضروري تقسيمه إلى

أجزاء نستطيع أن نضمن أنها ستؤدي وظيفتها بشكل أفضل.

أولاً، يجب أن تضم مواد البيولوجيا العامة دورات في علم التشريح وبيولوجيا الإنجاب، وأن يقوم مدرسو العلوم المؤهلون بتدريسها في المرحلة المتوسطة. يجب تغطية كل جانب من جوانب علم وظائف الأعضاء، من سن البلوغ إلى انقطاع الحيض. يجب أن يتلقى الطلاب جرعة علمية رائعة وواضحة وموضوعية عن الجسد، بدلاً من الثرثرة اللطيفة والتدليل الذي ينتشر الآن في المصنفات الجنسية.

ثانياً، يجب على إخصائي التوعية الجنسية المعتمدين – الذين يقدمون المشورة للأطفال بغسل أيديهم لتجنب نزلات البرد – مناقشة الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي في المدارس المتوسطة أو المرحلة الثانوية الأولى.

ولكن في الوقت الذي يجب توفير معلومات حول العوازل الطبية/الواقي الذكري، فلا يجب على المدارس الحكومية أن تتحول بحال من الأحوال إلى أماكن لتوزيع الواقي الذكري، كما هو الحال في مدارس بوسطن ونيويورك ولوس أنجلوس. يجب ترك توزيع الواقي الذكري للمستشفيات والعيادات ومنظمات الخدمات الاجتماعية.

وبالمثل، لا يجب أن يكون للمدارس العامة علاقة بنشر قائمة عن أنواع وطرق الإشباع الجنسي، من العادة السرية إلى الجنس الفموي والشرجي، لكن يجب على إخصائيي الصحة الإجابة عن أسئلة الطلاب حول الآثار الصحية المترتبة على مثل هذه الممارسات.

مسألة الشذوذ الجنسي هي قضية ملحة. من وجهة نظري، يجب ألا

تعتمد حملات مكافحة التنمر والمضايقات التي يتعرض لها الشاذون على التأييد السياسي للشذوذ الجنسي. على الرغم من أن الطلاب يجب أن يكونوا أحراراً في إنشاء مجموعات مخصصة للشاذين، إلا أن المدارس يجب أن تظل محايدة وأن تسمح للمجتمع بالتطور من تلقاء نفسه".[١]

وسبحان الله العظيم.

ما علمت طريقة لتوصيل المعلومات الجنسية أو النظافة الشخصية المتعلقة بالأعضاء التناسلية والبلوغ ونحوه : أفضل من وضعها في سياق ديني ! حيث يتم الحديث عن أحكام الطهارة والنظافة في سياق آيات قرآنية وأحاديث نبوية تحمل في طياتها إلى المستمع إجلال المتحدث، وبُعده التام عن إثارة الشهوة والغرض إلا النصح والإرشاد والمصلحة، قارنوا ذلك بآخر ما أضفته لهذا الكتاب من أخبار عن تقرير (منظمة الأمم المتحدة للطفولة) أو **اليونيسيف** الصادم الذي يقول أن مشاهدة الأطفال للإباحية قد لا يكون ضاراً بل قد يسعدهم ! وأن منعهم من مشاهدة الإباحية قد يدخل ضمن التعدي على حقوقهم المدنية ! يمكن قراءة المقال التالي من موقع مركز حقوق الأسرة والإنسان بنيويورك بعنوان :

UNICEF Report Says Pornography Not Always Harmful to Children

ولعلم (باليا) بالمصائب التي يجرها هذا التفسخ على الفتيات والطالبات من وقوعهن فريسة للأولاد ثم الحمل ثم الولادة أو الإجهاض، فهي تنادي بالتدخل لـ (تقويم الأخلاقي) للطلاب الذكور ! (أي عكس ما تروج له) فتقول :

---

(١) من مقالها : (أعيدوا الجنس إلى التعليم الجنسي) صحيفة التايم Time، ٢٤ مارس ٢٠١٤م.

"من العبث تجنب الواقع القاسي المتمثل في أن الذكور ليس لديهم ما يخسرونه من الممارسة المستمرة للجنس من أجل المتعة، على عكس الفتيات اللاتي يخاطرن بالحمل، وقد تتعرض خصوبتهن للخطر في المستقبل بسبب الأمراض.

يحتاج الذكور إلى دروس في الأخلاق والحس الأخلاقي حول الجنس (على سبيل المثال، عدم استغلال المواعدات التي تشرب فيها الفتاة الخمر حتى يذهب عقلها)، بينما يجب أن تتعلم الفتيات التمييز بين الطواعية والخضوع الجنسي، وبين نيل الحظوة وتحقيق الشهرة".[١]

إنه أسلوب (حفظ ماء الوجه) عندما تواجه (باليا) المحظور مرة أخرى ! وعندما تريد التهرب من النتائج الكارثية لتعاليمها وأفكارها للأسف !

يكفي أن نعرف أن أكبر سبب للموت في العالم اليوم هو الإجهاض، ففي عام ٢٠١٩م فقط تم إجهاض قرابة ٤٢ مليون جنين ! إنهم أمة أو دولة كاملة بحساب الأمم ! وسبحان الله العظيم، ويمكن متابعة عدد حالات الإجهاض سنوياً لحظة بلحظة من موقع Worldometers على الرابط التالي :

https://www.worldometers.info/abortions

مكتبة
t.me/t_pdf

إلى هنا تنتهي رحلتنا في عقل نسوية....

في عقل (كاميل باليا).. ويا لها من رحلة.. ويا لها من نسوية....!

---

(١) من مقال (أعيدوا الجنس إلى التعليم الجنسي) صحيفة التايم، ٢٤ مارس ٢٠١٤م.

الخاتمة

إن أمثال (كاميل باليا) في حياتنا كثر (رجالاً ونساءً) .. وقليل مَن ينتبه إليهم للأسف، يحملون السم في أفكارهم، لكنهم يخلطونها ببعض الصواب حتى يمرروها بين ضحاياهم، أولئك الضحايا الذين لو تكشفت لهم تلك الأفكار المسمومة على حقيقتها ونتائجها المدمرة عليهم وعلى أبنائهم وعلى الأسرة والمجتمع : للفظوها ولفظوا أصحابها بفطرتهم إذا لم تتلوث بعد !

لقد وهبنا الله تعالى نعمة العقل لنحكم به بين الأفكار، وحذرنا من التقليد واتباع الأكثرية واتباع الأعلى صوتاً وإعلاماً، وكل منا شهيد على نفسه، لن ينفعه رمي ذنبه على أحد، فالفكرة التي ستتبناها أو تناصرها — وأنت تعلم من داخلك بأضرارها - ثم تروجها وتنشرها : ستتحمل وزر كل مَن سيعمل بها.

قد نتقبل شخصاً يجتهد بصدقٍ فيصيب ويخطيء، عندها نجتهد في الأخذ بصوابه واجتناب خطئه، لكن هناك علامات لذلك المجتهد ليس منها تناقض الإتيان بالأخلاق والنفع تارة، وبالفحش وضياع الأنساب والأعراض أخرى !

فهذا إما مختل يجهل الناس اختلاله، أو جاهل يخفى على الناس جهله، أو صاحب هوى يتمنى انتشار الرذيلة، أو مدفوع الأجر لتخريب المجتمع، وفي كل الحالات لم يكن لأي منهم أثر إلا مع جهل عامة المسلمين للأسف. أما العاقل فيكفيه ذلك التناقض الصارخ فلا يسلم عقله له بعد ذلك ولو في شطر كلمة. خاصة أن الصادق مع نفسه ينظر إلى النتائج والمآلات، ليس إلى زخرف الإعلام والدعايات، وقد أكرمنا الله برؤية مآلات التحرر والانحلال في أهله دون الحاجة إلى تجربتها بأنفسنا، فكفى بالدين والعقل نعمة، والحمد لله رب العالمين.

للاطلاع على إصدارات المركز والشراء من متجر دلائل الإلكتروني :

https://dalail.center

لمتابعة جديد المركز وأخباره وعروض المبيعات :

- تليجرام - تويتر : (@Dalailcentre).
- واتساب : (00966539150340).

تتوفر كتبنا أيضاً في :

- جرير: (www.jarir.com).
- دار مفكرون - مصر :
  - فيسبوك: (@mofakroun) - تويتر: (@mofakroun).
  - تواصل: (00201110117447).
- جملون: (www.jamalon.com).
- النيل والفرات: (www.neelwafurat.com).

مكتبة | سُر مَن قرأ

رحلة في عقل نسوية

« ولم يكن ليمنعنا من ترجمة كتابها أنها (ملحدة) (شاذة جنسياً) إذا استحق نقدها للنسويات النقل لجمهورنا العربي والإسلامي ، وذلك باعتبارها واحدة من (الداخل النسوي) - وهو المطلوب - لكن مع قراءة المقال تلو الآخر وجدنا أنها ليست إلا (نسوية) أخرى ربما أشد خطراً من النسويات اللاتي تنتقدهن !

نعم .. هي تقدم بعض النقد المفيد، لكنها تعود فتناقضه بأراء أخرى تصب في عكسه ! بالإضافة إلى أفكار عديدة أكثر تطرفاً في اتجاه إفساد المرأة والتحرر الجنسي خصوصاً ! وهذا حال الباطل دوماً يتناقض .

والنسويات لسن فكراً واحداً ينافحن ويدافعن عن مطالب واحدة، بل هن أشد اختلافاً » .

م . أحمد حسن

باحث مختص في الإلحاد والمذاهب اللادينية المعاصرة صدر له عدة مؤلفات مثل : (الميديا والإلحاد) (أسس غائبة) (أركيولوجية الإسلام) (أقوى براهين د. جون لينكس).

Ahmad271119@gmail.com

المترجم :

م . مصطفى هندي ، مهتم بقضايا الفكر والترجمة ، له مقالات وترجمات متنوعة بمركز (نماء) ثم موقع (أثارة) الذي تولى قسم الترجمة فيه مؤخراً .

MostafaHendy56@gmail.com

telegram @t_pdf

جوال : ٠٥٣٩١٥٠٣٤٠
E-Mail:dalailcentre@gmail.com
Dalailcentre/
DALAIL
9 786037 655147